

السلفيون

في مصر

تأليف

محمد حامد محمد

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ

عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ
وَإِنْ زَخَرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي ، وَأَنْتَ عَلَى طَرِيقِ
مُسْتَقِيمٍ.

[سير أعلام النبلاء ٧/١٢٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .
اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل
إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران/ ١٠٢ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء/ ١ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
﴾ الأحزاب/ ٧٠ - ٧١ .

ثمّ أما بعد...

فالحمد لله الذي هدانا بعد ضلال ، وبصرنا بعد عمى ، وأرشدنا سبيل
المؤمنين الاتقياء ، المتبعين بإحسان النبي الأمين ، وصحابته الأخيار
الراشدين ، فبهم نهتدي ونقتدي إلى يوم الدين .

الحمد لله القائل في كتابه العزيز ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء/ ١١٥ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فصار في شق، والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له .

وقوله: [ويتبع غير سبيل المؤمنين] هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة الحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبیهم " اهـ .

والمراد بقوله ﴿ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هم المذكورون في قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة/ ١٠٠ .

قال الشوكاني رحمه الله تعالى : " ومعنى الذين اتبعوهم بإحسان: الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة " اهـ

قال السعدي رحمه الله تعالى : " (بإحسان) بالاعتقادات والأقوال والأعمال ، فهؤلاء هم الذين سلموا من الدم وحصل لهم نهاية المدح وأعظم الكرامات من الله . " اهـ

هذه هي السلفية ...

نعم الاتباع بإحسان للنبي المختار وصحابته الأبرار...

السلفية التي هُوجمت ، وشُنت عليها الحروب الضروس ، ونالها مبعضي الحق وكارهيه، منذ القرن الرابع وحتى الآن !

ونال السلفيون ، ما نالهم من اضطهاد ، وسجن ، وتعذيب ، وتنكيل ، ما لا يقدر على تحمله إلا أصحاب الدعوات الراسخة ، المستمدة قوتها من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وتأمل هذه القصة :

قال ابن كثير : (١)

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين:

وفيها كان مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله وأكرم مثواه، وكان سبب ذلك أن هذا الرجل وهو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي وجده مالك بن الهيثم من أكبر الدعاة في الناس إلى دولة بني العباس، وكانت له وجاهة ورياسة، وكان أبوه نصر بن مالك يغشاه أهل الحديث، وقد بايعه العامة في سنة إحدى ومائتين على القيام بالأمر والنهي عن المنكر حين كثرت الدُّعار والشُّطار في أرجاء بغداد في زمان غيبة المأمون عن بغداد كما قدمنا بسط ذلك، وبه تعرف سُويقة نصر ببغداد.

وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير، ومن أئمة المسلمين وأهل السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله متزل

(١) البداية والنهاية ١٤/٣١٠ ط دار هجر

غير مخلوق، وكان هارون الوثائق من أشد الناس في القول بخلق القرآن، يدعو إليه ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً ؛ اعتماداً على ما كان أبوه المعتصم وعمه المأمون عليه في ذلك من غير دليل ولا برهان، ولا حجة ولا بيان، ولا سنة ولا قرآن، فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بأن القرآن كلام الله متزل غير مخلوق، في أشياء كثيرة دعا الناس إليها، فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد والتف عليه من الألوف أعداد، وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر هذا رجلان وهما أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي، وطالب يدعو أهل الجانب الغربي.

ولما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على السلطان لبدعته، ودعوته إلى القول بخلق القرآن. فتواعدوا على أنه في الليلة الثالثة من شهر شعبان وهي ليلة الجمعة يضرب طبل في الليل، فيجتمع الناس الذين بايعوا في مكان اتفقوا عليه، وأنفق طالب وأبو هارون في أصحابه ديناراً ديناراً، فكان في جملة من أعطوه رجلان من بني أشرس، وكانا يتعاطيان الشراب فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من أصحابهم، واعتقدا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد، وكان ذلك قبله بليلة، فقاما يضربان على طبل في الليل ؛ ليجتمع إليهما الناس، فلم يجيء أحد وانخرم النظام، وسمع الحرس في الليل، فأعلموا نائب السلطنة وهو محمد بن إبراهيم بن مصعب نائب أخيه إسحاق بن إبراهيم ؛ لغيبته عن بغداد فأصبح الناس متخبطين، واجتهد نائب السلطنة على إحضار ذينك الرجلين فأحضرا فعاقبهما، فأقرا على أحمد بن نصر في الحال فطلبه، وأخذ

خادمًا له فاستقره، فأقر بما أقر به الرجال، فجمع جماعة من رءوس أصحاب أحمد بن نصر معه، وأرسل بهم إلى الخليفة بسرَّ مَنْ رَأَى، وذلك آخر يوم من شعبان من هذه السنة فأحضر له جماعة من الأعيان، وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي، ولم يظهر منه على أحمد بن نصر عتب، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الخليفة الواصل لم يعاتبه على شيء مما كان منه في أمر مبايعة العامة له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعرض عن ذلك كله، وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله. وكان أحمد بن نصر قد استقَّتل، وحضر وقد تحنَّط وتَنَوَّر، فقال له الواصل: فما تقول في ربك، أتراه يوم القيامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد جاء القرآن والأخبار بذلك، قال الله تعالى: (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» فنحن على الخير. زاد الخطيب في إيراده: قال الواصل: ويحك، أيرى كما يرى المحدود المتجسم؟ ويحويه مكان ويحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته.

قلت: وهذا الذي قاله الخليفة الواصل لا يرد، ولا يلزم، ولا يرد به مثل هذا الخبر الصحيح. والله أعلم.

ثم قال أحمد بن نصر الخزاعي للواصل: وحدثني سفيان بحديث يرفعه «إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلَّبُهُ» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويلك، انظر ما تقول. فقال: أنت أمرتني بذلك. فأشفق إسحاق من ذلك، وقال: أنا أمرتك بذلك؟ قال: نعم، أنت أمرتني

أن أنصح له. فقال الوثائق لمن حوله: ما تقولون في هذا؟ فأكثروا القول فيه ؛ فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضيا على الجانب الغربي فعزل وكان مُوَادًّا لأحمد بن نصر قبل ذلك: يا أمير المؤمنين، هو حلال الدم. وقال أبو عبد الله الأرميني صاحب أحمد بن أبي دؤاد: اسقني دمه يا أمير المؤمنين. فقال الوثائق: يأتي على ما تريد. وقال القاضي أحمد بن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، هو كافر يستتاب، لعل به عاهة أو نقص عقل. فقال الوثائق: إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومنَّ أحد معي، فإني أحتسب خطاي. ثم نهض إليه بالصمصامة وقد كانت سيفاً لعمر بن معدي كرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته، وكانت صفيحة موصولة في أسفلها، مسمورة بثلاثة مسامير فلما انتهى إليه ضربه بها على عاتقه، وهو مربوط بجبل قد أوقف على نطع ثم ضربه أخرى على رأسه ثم طعنه بالصمصامة في بطنه فسقط رحمه الله صريعا على النطع ميتا فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم انتضى سيما الدمشقي سيفه فضرب عنقه، وحز رأسه، وحمل معترضا حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك الخرمي فصلب فيها، وفي رجله زوج قيود، وعليه سراويل، وقميص، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياما، وفي الجانب الغربي أياما، وعنده الحرس في الليل والنهار وفي أذنه رقعة مكتوب فيها: هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر، ممن قتل على يدي عبد الله هارون الإمام الوثائق بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن، ونفي التشبيه، وعرض عليه التوبة، ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح، فالحمد لله

الذي عجله إلى ناره وأليم عقابه بالكفر، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه.

ثم أمر الخليفة الواثق بتتبع رءوس أصحابه، فأخذ منهم نحواً من سبعة وعشرين رجلاً، فأودعوا في السجون وسموا الظلمة، ومنعوا أن يزورهم أحد وقيدوا بالحديد، ولم يجر عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين، وهذا ظلم عظيم. اهـ

وما يتعرض له السلفيون اليوم ما هو إلا حلقة في تلك السلسلة الضاربة في أعماق التاريخ :

انبرت السهام على السهام تصيب المنتسبين للمنهج السلفي ، وللسلفية على حدٍ سواء . فكان ماذا ؟ الانقسام والتشردم حول السلفية والسلفيين ، وتباينت آراء السلفيون أنفسهم فيما هم مقبلون وواقعون فيه الآن . فكان لزاماً تجلية الأمر ، وبيانه ، وإظهار حقيقة السلفيين ، وموقفهم من بعض المسائل والأمور الحادثة الآن على الساحة . فكان هذا الكتاب " السلفيون... في مصر " .

والذي أسأل الله عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، هو ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مُقدِّمة هَامَّة في الفُرقة والافتراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كونوا جميعاً يا بني إذا اعتري خطب ولا تتفرقوا أحاداً
تأبى العصي إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أفراداً

إنَّ الدَّعوة إلى الله ، وإرشادَ الضَّالِّ ، وتعليمَ الجاهلِ ، مِنْ أَفضلِ الأعمالِ ، وهي وظيفة الرسل الكرام عليهم السلام وَمَنْ اقتدى بهداهم واقتفى آثارهم مِنْ أُولي الأفهام .

قال الله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) . [الجمعة : ٢]

وقال سبحانه : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت : ٣٣]

وقال تعالى مخاطباً نبيه عليه السلام : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [النحل : ١٣٣]

وقال سبحانه : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف : ١٠٨]

ومِمَّا يعين على احتساب الأجر في دعوة الخلق ويبحث الهمم على احتمال الصعاب قول الرسول ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام حين أعطاه الراية يوم خيبر : ((انفذ على رسلك وانزل بساحتهم ثم ادعهم إلى

الإسلام ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النّعم)) (١).

ولولا مَنْ يقيمه الله لدعوة الناس إلى الحق والصبر على أذاهم لَمَا وَصَلْنَا هذا الخير الذي نَنعمُ به ، فَلَنَجْتَهِدَ في إيصال هذا النور لمن يحمل الأمانة بعدنا .

ويجب أن تكون الدّعوة إلى الله وإلى كتابه وسُنّة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف ، لا إلى النفس ولا إلى مقرّرات الحزب وما افترعته عقول البشر .

فالدّعوة إذا افتقدت الإخلاص لم يبارك فيها ، وإن لم تتوخَّ الصواب ولزوم السُنّة ضلّت وأضلّت .

وما يُدعى الناسُ إليه من أمر الدين نوعان :

نوع : يشترك في معرفته وإدراكه العلماء والعامة ، كالدّعوة إلى أفراد الله بالعبادة وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، واجتناب المحرّمات الظاهرة كقتل النفوس بغير حقّ والزنا والربا وعقوق الوالدين ، فهذا النوع يجب أن يقوم به مَنْ تحصل بهم الكفاية من الأُمة .

والنوع الثاني يختص به العلماء لحاجته إلى الاستدلال والبصر بالأدلة ، وإذا دخل فيه العامةُ وأشباههم أفسدوا .

وقد حدث في شأن الدّعوة في العصور المتأخرة أمور أوجبت الاختلاف وبذرت الشقاق من أهمها تقديم غير المتأهلين للدّعوة والإصلاح ، فتمحورت الدّعوة حول أشخاصهم ، وقلّ الاحتساب ،

(١) أخرجه أحمد ٣٣٣/٥ و"البخاري" ٥٧/٤ (٢٩٤٢) و"مسلم" ١٢١/٧ (٦٣٠٢)

فتسمع عبارات مثل : مكاسب الدَّعوة ، وإخفاقات الدَّعوة ، والمقصود أمور دنيوية من مال أو جاه ورئاسة واحتلال مناصب إن تخلفت أو نوزعوا فيها استوجب الأمر النفير للدفاع عن مكاسب الدَّعوة - زعموا - مهما أصيبت الدَّعوة الحقّة في مقتل وتزعزع أمن الناس وذلّ المسلمون .

ومن تلك الأمور التي أوجبت الاختلاف أنّه لما فرط كثير من الحكّام في كثير من الأحكام قابلهم أناس من الدُّعاة جعلوا كلّ همّهم مصارعتهم وانتزاع السلطان من أيديهم ، فخرجت الدَّعوة من أن تكون علاجاً إلهياً لأدواء المجتمع بما فيهم الحكّام إلى شيء آخر وهو تأليب المحكومين على الحكّام حتّى فقدوا الثقة في الدُّعاة ، مع أنّ المطلوب من الدّاعية أن يعرض الإسلام على نقائه وفطرته وأن يُطهّر الأجواء من المعكرات وما يجلب سوء الظنّ به حتى لا يتحجّج كاره الإسلام بأنّه إنّما يدفع عن سلطانه عُشّاق السُّلطة .

ومن هذا الأمر الأخير نجم - والله أعلم - نشوء الأحزاب السياسية في الإسلام ، فهل هي ضرورية للدفاع عن الإسلام وحفظه على أصوله الأولى ؟ أم هي عبء عليه ؟

ثمّ ظهر مصطلح الحزبية مراداً به الذمّ وترامى الناس بها فمست الحاجة إلى بيان مرتكزاتها ، وحكمها في الإسلام ، وهل يجوز إحداث الحلف في الإسلام ؟ وهل تتسع جماعة المسلمين لاتجاهات متباينة ، أو هي جماعة واحدة ؟

وهذه الأمور الأربعة هي التي نتناولها في هذه المقدمة الهامة ، فإليك بيانها:

مسألة في مرتكزات الحزبية المعاصرة:

قد تُعَرِّض الحركات الإسلامية الحزبية المعاصرة بعض طلبة العلم ببريق ألويتها المرفوعة وإعلاناتها المنشورة ، فيقع في فخها المنسوب وشراكها المعقود ، فيعيش تحت لوائها وظلها رداً من الزمن وحيناً من الدهر ، فيلمس واقعها المرير ، ويطلع على أحوالها المؤلمة عن كثب ، فيحصل له العلم بأن هذه الحركات لا تخلو من هذه المحذورات الآتية التي هي بمثابة تنقيح المناط في الحكم على جماعة ما بأنها متحزبة تحزباً مذموماً :
أولاً : عقد الولاء والبراء على ما لم يعقده الله عليه من الكينونة داخل الحزب ، أو تأييده وإن لم ينتظم فيه .

مع أن أصل الولاء يُعطى للمسلم لجرّد كونه مسلماً ، ويزاد فيه لحسن إيمانه وتقواه وصحة منهجه ، وبحسب علمه بالحق ونصرته له ، ويُعَادَى الشَّخْص لإخلاله بمقتضيات الإيمان وتعصّبه للباطل وأهله (١) .

فالمؤمن أخو المؤمن يواليه وينصره وإن تناءت الديار واختلفت الأجناس . فالإسلام أقام الأخوة بين المؤمنين على أساس متين ، وأحكمها بحيث لا تحتاج إلى عمادٍ من الحزبية .

قال الله تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة : ٧١]

قال العلامة السعدي في تفسيرها : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ) أي : ذكورهم وإناثهم (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) في المحبة والموالاتة والانتماء والنصرة

(١) ينظر مجموع الفتاوى (٥١٢/١١)

(يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) وهو اسم جامع لكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، وأوّل مَنْ يدخل في أمرهم أنفسهم (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وهو كلّ ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة والأعمال الخبيثة والأخلاق الرذيلة (وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أي : لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) أي : يدخلهم في رحمته ويشملهم بإحسانه (١) .

قال صفي الرحمن المباركفوري : ((إذا قلنا بتكوين الأحزاب السياسية في الإسلام ، فالحزب إمّا أن يجعل الإسلام أساس الولاء والبراء أو يجعل أمراً آخر غيره ، فإنّ جعل الإسلام هو الأساس فإنّ الإسلام لا يحتاج إلى إقامة حزب آخر ، أو تنظيم جماعة أخرى ، بل هو نفسه يكفي لذلك ، وإن جعل أساسهما أمراً آخر غير الإسلام فإنّ هذا الأمر في معظم أحواله لا يخلو من أن يكون من أمور الجاهلية من العنصر والقبيلة واللغة والوطن وغيرها ، ومعلوم أنّ الإسلام قد نهى عن الدّعوة إليها ، وعن الانضمام تحت لوائها ، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عَمِيَةٍ يَغْضِبُ لِعَصْبِيَةٍ أَوْ يَدْعُو لِعَصْبِيَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَةً فَقَتَلَ فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةٌ)) (٢) .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣٠٣)

(٢) أخرجه مُسلم ٢٢/٦ (٤٨٢٠)

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة : مُلحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سُنَّة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهرق دمه)) (١) .
إذن فلندع هذا الأساس المتن للأحزاب ، ولا نلوّث به الإسلام)) (٢) .

ثانياً : أخذ البيعة - وهي العهد بالطاعة - للحزب أو لزعيمة بقصد الربط بين أفراد مجموعة الحزب وإحكام تنظيمهم لينطلق بهم إلى تنفيذ أهداف الحزب ، فالمسلمون لا يخلو حالهم من أمرين :
١ - أن يكون لهم إمام ثبتت ولايته بإحدى الطُّرق المعتمدة عند أهل السُّنَّة ، فلا يجوز إحداث بيعة أخرى ، قال رسول الله ﷺ : ((مَنْ بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)) (٣) .

٢ - أن يكونوا متفرقين متحرّين فلا يتبع أحد هذه الأحزاب في الفرقة ، ولا يُبايع أحد المتنافسين من أهل الشوكة ، وهي الحال التي سأل عنها حذيفة حين قال : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ فأجابه النبي ﷺ بقوله : ((فاعتزل تلك الفرق كلها)) (٤) .

(١) أخرجه البخاري ٧/٩ (٦٨٨٢)

(٢) الأحزاب السياسية في الإسلام (٤٦ - ٤٧) .

(٣) أخرجه أحمد ١٦١/٢ و"مسلم" ١٨/٦ (٤٨٠٤)

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٢/٤ (٣٦٠٦) و"مسلم" ٢٠/٦ (٤٨١٢)

وأما مَنْ لا شوكة لهم ولا يحصل بهم مقصود الإمارة من إنصاف المظلومين ، وتأمين السُّبُل ، وإقامة الحدود ، وإيصال الحقوق والولايات إلى أهلها ، فهم أبعد من أن يُبَايَعُوا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِطَاعَةِ الْأُئِمَّةِ الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرُونَ بِهِ عَلَى سِيَاةِ النَّاسِ ، لَا بِطَاعَةِ مَعْدُومٍ وَلَا مَجْهُولٍ ، وَلَا مَنْ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَا قُدْرَةٌ عَلَى شَيْءٍ أَصْلًا . كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْاجْتِمَاعِ وَالْإِتِّلَافِ ، وَنَهَى عَنِ الْفِرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِطَاعَةِ الْأُئِمَّةِ مُطْلَقًا ، بَلْ أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ دُونَ مَعْصِيَتِهِ)) (١) .

وبعضهم يقول : ما دام أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ بايعَ النَّاسَ بِيَعَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي مَنَاسِبَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، فَنَحْنُ نَقْتَدِي بِهِ فِي ذَلِكَ .
ولو تَأَمَّلُوا الْأَحَادِيثَ السَّالِفَةَ لَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَفْتَحِ الْبَابَ عَلَى مَصْرَاعِيهِ ، فَأَقْرَبُ بِيَعَةِ الْخُلَفَاءِ وَنَهَى عَنِ مَنَازَعَتِهِمْ .
وَعَمَلُ الصَّحَابَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ اسْتَبَقُوا بِيَعَةَ الْخُلَفَاءِ فَقَطْ ، وَرَأَوْا مَا عَداها مِنْ خِصَائِصِ الرَّسُولِ ﷺ .

ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَعْمَلُ بَعْضَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ : إِنَّ الْإِقْتِدَاءَ بِهَا فِيهَا يَقْتَضِرُ عَلَى أَوَّلِي الْأَمْرِ ، فَمَا مَقَامُ الْحِزْبِيِّ فِي الْأُئِمَّةِ حَتَّى يَسُوغَ لَهُ زَعْمُ أَنَّهُ مُقْتَدٍ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي فَعْلِهِ ؟ ! .

بَلْ إِنَّ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ قَامُوا مَقَامَهُ ﷺ فِي سِيَاةِ الْأُئِمَّةِ ، لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ التَّوَسُّعُ فِي الْبِيَعَاتِ حَتَّى الْبِيَعَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ .

(١) منهاج السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ (١١٥/١)

يقول المعلّم : ((في الصحيحين وغيرهما عن عبادة بن الصامت أنّ النَّبِيَّ ﷺ بايعهم على مثل بيعة النساء ، وجاء مثله عن جرير بن عبد الله ، وعبد الله بن عمرو .

وهذه المبايعة كأنَّ المقصود بها - والله أعلم - تفسير الشهادتين وتأكيدهما . ولذلك - والله أعلم - ترك أئمة الصحابة ومَن بعدهم مبايعة مَن يُسَلِّم مثل المبايعة المذكورة اكتفاءً بالشهادتين ، وبأنَّ معناهما وما يتعلّق به من التزام الأمور المذكورة قد اشتهر بين الناس)) (١) .

سُئِلَ الشيخ ابن باز : بعض الطُّلَّاب السلفيين يقولون : لا بدُّ أنْ نجتمع على عهد وعلى بيعة لأميرٍ لنا وإنْ كُنَّا على المنهج السلفي ، لسنا في الجماعات الأخرى ؟

فأجاب الشيخ بقوله : ((ما يحتاج بيعة ولا شيء أبداً ، يكفيهم ما كفى الأولين . الأولون طلبوا العلم وتعاملوا بالبر من دون بيعة لأحد)) (٢) .

وقال الشيخ ابن عثيمين في جواب له عن سؤال حول الجماعات : ((أرى أنْ هذه الجماعات التي جاء في السؤال أرى أنْ تجتمع على كلمة واحدة بدون مبايعة ، بدون معاهدة ، لأنَّ النَّاس ما داموا تحت لواء دولة وحكم وسلطان ، فلا معاهدة ولا مبايعة ، لأنَّ هذه المعاهدة والمبايعة إن

(١) كتاب العبادة ص ١١ .

(٢) من شريطٍ بعنوان ((أسئلة أبي الحسن للشيخين ابن باز وابن العثيمين)) سُجِّلَ بِمَكَّةَ

المكرّمة في السادس من ذي الحجة عام ١٤١٦ هـ .

كانت مخالفة للنظام السائد في الدولة ، فهذا يعني الخروج على الدولة والانفراد بما تعاهدوا عليه .

وإن كانت تعني التساعد فيما يهدفون إليه فهذا لا يحتاج إلى بيعة ومعاهدة ، بل يكفي كل واحد من الشباب أن يدرس على شيخ يثق بعلمه وأمانته ودينه ويتوجه بتوجيهاته دون أن يكون هناك مبايعة ومعاهدة ؛ كما كان أسلافنا .

الإمام أحمد رحمه الله إمام وله أصحاب ولم يجر بينه وبينهم معاهدة ولا مبايعة . الإمام الشافعي كذلك ، الإمام مالك وأبو حنيفة وسفيان الثوري وغيرهم من الأئمة ، هل أحد منهم طلب من تلاميذه وأصحابه أن يبايعوا أو يعاهدوا على أمر من الأمور ، أبداً لم نسمع بهذا ولم نعلم ولا يمكن لمدّع أن يدّعيه ، فلماذا لا نكون مثلهم .

إنّا لا نعلم أحداً عاهد أو بايع شخصاً ما يكون تحت سيطرته في الشدّة والرّخاء والحرب والسّلم إلّا الخوارج الذين يخرجون على أئمة المسلمين ويحصل بخروجهم ما لم تحمد عقباه ((١)).

ولنا عبرة بما وقع في عهد التابعين كما نسق بعضهم كلاماً فيه العبارات الآتية : الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والقرآن إمامنا ، ومن كان معنا كُنّا وكُنّا ، ومن خالفنا كانت يدنا عليه ، فعرض على من بالجلس يقال لكلّ منهم : هل أقررت يا فلان ؟ فوافقوا على ذلك إلّا مطرف بن عبد الله بن الشّخير ، فقليل له في ذلك ، فقال : إنّ الله قد أخذ عليّ عهداً في كتابه

(١) من الشريط السابق ، وتمّ تسجيله بعد عشرة أيام من لقاء الشيخ ابن باز .

فلن أحدث عهداً سوى العهد الذي أخذه عليّ ، فرجعوا كُلُّهم عن الإقرار ووافقوا التابعي الجليل مطرفاً - وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً (١) .
وقول بعضهم : إنّه امتنع من العهد لخلل في صيغة العهد ولما فيها من التعصب قول لا طائل تحته ، فإنّ صريح عبارته تعطي أنه ينكر مبدأ إحداث العهد ، ولو كان لخلل في عبارته لطلب منهم إصلاحه حتّى يوافق عليه .

ثالثاً : تعاطي أحقية الوصول إلى السلطة وشرعية البحث عنها .
فإنّ كان الحاكم المسلم موجوداً فالحزب يعارضه وينافسه بما تهيأ له من طريق ديمقراطي أو حدّ سيف و سنان .
وإن انفرط عقدُ الأمة فلم يكن لهم سلطان أو كان كافراً كُفراً بواحاً عندنا من الله فيه برهان ، فإنّ الحزب ينفرد عن أهل الحلّ والعقد ويسوّغ لنفسه البحث عن الحكم بأساليبه الخاصة لتصفو له الغنائم أو يكون له فيها الحظّ الأوفر .

وقد تحدّث الخليفة الراشد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عن الذين يستبدّون بالأمر عند شغور منصب الإمامة فأنكر فعلهم وحذّر المسلمين منهم على ملأ من جماعة الصحابة الذين شهدوا خطبته في بلد العلم والسنة ، مدينة النبيّ صلّى الله عليه وآله .

فقد أسند البخاري عن عبد الرحمن بن عوف أنّه قال لابن عباس بمعنى : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً ، فغضب عمر ،

(١) حلية الأولياء (٢/٢٠٤) ومن طريقه الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (٤/١٩٢) .

ثُمَّ قَالَ : ((إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِقَائِمُ الْعَشِيَّةِ فِي النَّاسِ فَمَحْذَرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ)) . ثُمَّ أَجَّلَ خُطْبَتَهُ إِلَى مَرْجَعِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَخَتَمَ خُطْبَتَهُ بِقَوْلِهِ : ((مَنْ بَايَعَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَبَايِعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَغَرَّةً أَنْ يُقْتَلَ)) (١) .

قال ابن حجر: ((أي : حذراً من القتل ، وهو مصدر من أغررته تغريراً أو تغرة ، والمعنى: أن مَنْ فعل ذلك فقد غرّر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل)) (٢) .

وشأن المسلمين التشاور بينهم في أمورهم العظيمة ، قال تعالى في وصف المؤمنين (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [الشورى : ٣٨] .

قال السعدي في تفسيرها : (وَأَمْرُهُمْ) الديني والديني (شُورَى بَيْنَهُمْ) أي : لا يستبد أحد منهم برأيه في أمرٍ من الأمور المشتركة بينهم ، وهذا لا يكون إلاّ فرعاً عن اجتماعهم وتوافقهم وتواديهم وتحابهم .

فمن كمال عقولهم أنّهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها حتّى إذا تبينت لهم المصلحة انتهزوها وبادروها ، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء أو غيرهما . وكالبحث في المسائل الدينية

(١) "البخاري" ١٧٢/٣ (٢٤٦٢) و ٨٥/٥ (٣٩٢٨)

(٢) فتح الباري (١٥٥/١٢) .

عموماً ، فإنَّها من الأمور المشتركة ، والبحث فيها لبيان الصواب ممَّا يحبه الله ، وهو داخل في هذه الآية(١) .

وبوّب البخاري في كتاب الاعتصام من صحيحه باباً في قول الله تعالى : (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) ، وقوله سبحانه : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) . وقال تحته : ((كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمراء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها ، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره))(٢) .

وهذا من عظيم فقهه رحمه الله حيث إنَّ الشورى تعصم من الفتن والاختلاف وتساعد على انتظام شئون الخلق . ولا يظنَّ ظانٌّ أنَّ التشاور في الأمور العامة مفتوح لكلِّ أحد ، بل هو خاص بالعلماء والأمراء مع استطابة نفوس من لا يتمُّ الأمر بدوهم من مُقدِّمي العامة .

وقد نهي النَّبيُّ ﷺ عن طلب الإمارة ، فعن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لي رسول الله ﷺ : ((يا عبد الرحمن بن سمرة ! لا تسأل الإمارة ، فإن أُعْطِيَتْهَا عن مسألة وُكِلَتْ إِلَيْهَا ، وإن أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا))(٣) .

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٠٦) .

(٢) فتح الباري (٣٣٩/١٣) .

(٣) أخرجه أحمد ٦١/٥ و"البخاري" ١٥٩/٨ (٦٦٢٢) و"مسلم" ٨٦/٥ (٤٢٩٢)

وعن أبي موسى الأشعري قال : دخلت على النَّبِيِّ ﷺ أنا ورجلان من قومي ، فقال أحد الرجلين : أَمَرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وقال الآخر مثله ، فقال : ((إِنَّا لَا نُؤَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ)) (١) .

ذكر المهلب أنَّ الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال النَّاسِ عليها حتَّى سَفِكَتِ الدِّمَاءُ وَاسْتَبِيحَتِ الْأَمْوَالُ وَالْأَعْرَاضُ، وَعَظُمَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ بِذَلِكَ (٢) .

ونبيُّ الله يوسف عليه السلام لم يطلب الولاية ابتداءً ، لكن لما قال له الْمَلِكُ (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) [يوسف : ٥٤] فمكَّنه من أرضه وائتمنه على أسرارِهِ ، بيَّن له ما يؤمِّلُ منه نفع عموم الخلق فقال : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [يوسف : ٥٥] فحدَّد العمل وبيَّن السبب ، وهو أَنَّهُ حَفِيظٌ عَلِيمٌ . ثُمَّ هو نبي يُوحَى إليه فهو أبعد من التُّهْمَةِ .

فَمَنْ لَمْ يَتَّهَمِ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ وَيَخَفُ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ لَا يَنْجُو ، ولذلك جاء في إحدى روايات حديث أبي موسى السابق قوله ﷺ : ((إِنَّ أَخَوَاتِكُمْ عِنْدِي مَنْ يَطْلُبُهُ)) (٣) .

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٩) .

(٢) فتح الباري (١٢٦/١٣) .

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٣/٤) .

فحكم على طالب الإمارة بالخيانة ، وذكر في الحديث الآخر أنه
يوكل إليها .

فمتى وُجدت المحاذير السابقة في جماعة واحدة فإن قيامها غير شرعي
لضرره المحقق لجماعة المسلمين إن عاجلاً أو آجلاً .

فكيف إذا تعددت الجماعات بذلك الوصف ، فإن تعاديتها وتخاصمها
والتنافس بينها على الدنيا يكون شديداً ، والثمرة المجنية تكون مُرة
كالعلقم ، فحرمة قيامها تكون أظهر .

وأما مَنْ تمسك بالإسلام على أصوله الأولى ونأى بنفسه عن
محدثات الأمور ، ولم يفتت على حقوق جماعة المسلمين بإحداث بيعة أو
حلف أو ولاء وبراء في غير محله أو استبداد بأمر إمارتهم ، فإن ما يفعله
من التعاون مع أهل الحق على البر والتقوى ونصرة دعوة الحق ونفع
المسلمين أمر حسن جميل وليس من الحزبية في شيء لاختلاف الوسائل
والغايات .

مسألة في حكم الحزبية المعاصرة :

بادئ ذي بدء يحسن ذكر مفسد الحزبية زيادةً على ما مضى في
مبحث مرتكزات الحزبية ، ثم نثني بإيراد أقوال العلماء في المسألة .
فقد عُرف من سمات الفرق القديمة أنهم يجتمعون على عقائد فاسدة
وأعمال بدعية يتعصبون لها ويوالون ويعادون عليها ، وهذا زيادة في
إثمهم ، لأن الواقع في الباطل يكون أقلّ لجرمه ألا يدعو الخلق إليه ، وألاً
يوالي ويعادي عليه ، كحال الكافر إذا كان ممن يصد عن سبيل الله فإنه
يكون أشدّ إثماً ممن يقتصر على كفره ولا يزيد عليه .

فَهَلْ سلمت الحزبيات المعاصرة من استلهاهم عقائد الفرق الضالة ؟
والجواب أنَّك واحد فيها مَنْ أسَّس منهاجه على مذهب الصوفية ، ومنهم
مَنْ اعتمد على منهج الأشاعرة ، ومنهم مَنْ قدَّم العقل على النقل وتحرَّر
من إجماع السلف ، ومنهم مَنْ لم يمانع في توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد
القصد والإرادة إلاَّ أنَّه وافق الخوارج والمعتزلة في بعض مسائل الأسماء
والأحكام فكفر مرتكب الكبيرة على الإطلاق ، أو فيما يتعلَّق بمسألة
الحكم والتحاكم ، واستحلَّ دماء أهل القبلة إمَّا مطلقاً أو مقيداً مخالفين
بذلك ما تقرَّر في الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة ومشى
عليه أئمة السنة المجتهدون في هذا العصر .

كما أنَّ الحزبيات المعاصرة لم تسلم من الطعن في أهل الحديث والسنة
، وهذا من علامات أهل البدع .
فإلى بعض مفاصد الأحزاب :

أولاً : ((الفرقة في الإسلام لا تكون إلاَّ على أساس الاختلاف في
الكتاب ، ونتيجتها تَمَزُّق الأمة إلى أحزاب ، قال الله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ
اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ
[البقرة : ١٧٦])) (١) .

ثانياً : قولهم : لا عمل للإسلام إلاَّ بحزب ، إذاً فإلى أي حزب ينتمي
الداعية ؟ أم يطلبون من المسلم أن يكون متحزباً مفرقاً لكلمة المسلمين ،
وأن تكون له الحرّية في الانتماء إلى ما شاء من الأحزاب حتّى يكونوا

(١) حكم الانتماء (١٣٨) .

سواء في الملامة والمؤاخذه كما كان يقول قوم لوط عن المؤمنين : (إِنَّهُمْ
أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) [النمل : ٥٦] .

ثالثاً : الإذن بالأحزاب في الإسلام فيه فتح باب لا يرد بدخول
أحزاب تتسمّى بالإسلام ، وهي حرب عليه ، فكم تبع أناس القاديانية
والبهائية وما إليها ، وكم التفّ حولها من المسلمين ما لا يحصيهم إلا الله
فأخرجهم من نور الإسلام إلى الضلال البعيد(١).

رابعاً : ((التعدّد داعية الفرقة ، والفرقة سبب للمنازعة المورثة للفشل
والضعف والوهن، قال الله تعالى : (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)
[الأنفال : ٤٦] فالحزبية مظنة الفرقة ، بل مئة لها ولل بغضاء بين أهل
الإسلام ، قال الله تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) [آل عمران : ١٠٥] “ (٢).

خامساً : ((كم كانت الحزبية - وبخاصة السياسية منها - سبباً
لصرف الأنظار عن الأمراض الحقيقية التي تنخر في جسم الأمة من
داخل ، فتفرز فيها القابلية للتخلف والهزيمة)) (٣).

سادساً : ((ومن أظهر مضارها أن تفتقد السير بالدعوة إلى الله تعالى
في مراحلها على منهاج النبوة ، فهي لا تعنى [بـ] ترسيخ الاعتقاد ،
ولا التفقه في الدين ، ولا نشر لسان العرب . فإن قيل : بلى ، قيل :
أرونا هذا بأدلته المادية ، فأين الدعاة الذين صفتهم في هذه الأحزاب :

(١) حكم الانتماء (١٣٩)

(٢) حكم الانتماء (١٤٢ - ١٤٣) .

(٣) السابق نفسه (١٥٠)

رسوخ الاعتقاد في التوحيد خالصاً من البدع والأهواء في القدوة وفي العمل ، مبرزاً في فقهه ، متضلّعاً بلغة العرب ونصاعة بياها ؟. أين هؤلاء ؟ وأين آثارهم العلمية والشبابية ؟ وأين معاقل العلم التي صنعوا بها رجالاً ؟ ((١).

سابعاً : ((وكم كانت الأحزاب المبنية على تصعيد النظرة السياسية الخالية من القاعدة الإسلامية الملتزمة سبباً في التسلُّط على الإسلاميين وحصدهم ، وتقهر الدعوة ، وقهر الدعاة ، وكبت الانطلاقة في الدعوة إلى الله تعالى)) (٢).

ثامناً : ((هل يسمح الحزب بتعدُّد الأحزاب في البلدة الواحدة ، وتوزع انتماءات أهلها ؟ ... فمن قال : نعم ، فهو جواب مَنْ لا يعقل ولا يريد بالأُمة خيراً . وإن قال : لا ، فكيف يسمح لنفسه بحزبه دون بقية الأحزاب ؟ ... ليس أمامنا إلا لزوم جماعة المسلمين السائرين على مدارج النبوة ، مَنْ كان على مثل ما عليه النَّبِيُّ ﷺ وأصحابه ﺭﺯﻯ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻬﻢ)) (٣).
تاسعاً : ((بدعيتهما ، ولو لم يكن من أمر الحزبية التي تنفرد باسم أو رسم عن منهاج النبوة ، إلا أنَّها عمل مستحدث لم يُعهد في الصَّدر الأوَّل [لكان كافياً في المنع منها] فليسعنا ما وسعهم)) (٤).

(١) السابق نفسه (١٥٠ - ١٥١)

(٢) المصدر السابق (١٤١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١٤٠) .

(٤) المصدر نفسه والصفحة ذاتها .

أقوال العلماء في منع التحزُّب :

قال الطبري في شرح حديث حذيفة الذي أورده البخاري تحت باب ((كيف الأمر إذا لم تكن جماعة)) قال : ((... وفي هذا الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً ، فلا يتبع أحداً في الفرقة ، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك ، خشيةً من الوقوع في الشر)) (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وليس للمعلِّمين أن يحزَّبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء ، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البرِّ والتقوى كما قال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة : ٢] .

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كلِّ ما يريده ، وموالاته من يواليه ، ومعاداة من يعاديه ، بل من فعل هذا كان من جنس جنكز خان وأمثاله الذين يجعلون مَنْ وافقهم صديقاً والي ، ومَنْ خالفهم عدوًّا باغي ، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله ، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله ، ويجرِّموا ما حرَّم الله ورسوله ، ويرعوا حقوق المعلِّمين كما أمر الله ورسوله .

فإن كان أستاذ أحد مظلوماً نصره ، وإن كان ظالماً لم يعاونه على الظُّلم ، بل يمنعه منه)) (٢).

(١) فتح الباري (٣٧/١٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٦-١٥/٢٨) .

وبعد معرفة موقف شيخ الإسلام الصريح من تلك الحزبية ، يحسن بنا نقل قول له يتعلّق به مسوِّغو الحزبية المعاصرة من بين ما يتعلّقون به في تسويغها ورؤية مشروعيّتها .

قال شيخ الإسلام في كلام له : ((وأما رأس الحزب فإنّه رأس الطائفة التي تتحرّب ، أي تصير حزباً ، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون ، لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم ، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصّب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل ، والإعراض عمّن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحقّ والباطل ، فهذا من التفرّق الذي ذمّه الله تعالى ورسوله ، فإنّ الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ، ونهيا عن الفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان . وفي الصحيحين عن النبيّ ﷺ أنّه قال : ((مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمى والسّهر)) (١) .

والتأمّل لمقولة شيخ الإسلام ، الجامع بين أطراف كلامه يلوح له أنّ الرئاسة التي يسوِّغها الشيخ هي رئاسة العلم ، وزعامة شيخ لحزبه ، أي تلاميذه وطلّبه الذين يعلمهم ويزكيهم ويربيهم على العلم والعمل كما كانت حياة أئمة السلف ، فما من أحد من علماء السلف إلّا كان له تلاميذ وأتباع يعلمهم ويربيهم ويخرجهم على يديه ، وهذا أمر متوارث جيلاً عن جيل ، وقرناً بعد قرن إلى يوم الناس هذا .

(١) المصدر السابق (١١/٩٢) .

وهي الرئاسة التي جاءت على لسان أبي حنيفة رحمه الله حين قيل له :
في مسجد كذا حلقة يتناظرون في الفقه ، فقال : ألهم رأس ؟ قالوا : لا ،
قال : لا يفقهون أبداً (١) .

وهي أيضاً الرئاسة التي وصف بها أبو جعفر الأنباري إمام أهل السنة
أبا عبد الله أحمد بن حنبل إبان فتنة خلق القرآن فيما ساقه الذهبي من
طريق الأصبم : حدثنا عباس الدوري : سمعت أبا جعفر الأنباري يقول :
لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ إِلَى الْمَأْمُونِ أُخْبِرْتُ ، فَعَبَّرْتُ الْفِرَاتَ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي
الْخَانِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ تَعَنَّيْتُ . فَقُلْتُ : يَا هَذَا أَنْتَ
اليوم رأس والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن
خلق ، وإن أنت لم تحب ليمتنعن خلق من الناس كثير .

ومع هذا فإنَّ الرَّجُلَ إن لم يقتلك فإنَّك تموت ، لا بدَّ من الموت ،
فأتق الله ولا تُحب ، فجعل أحمد يبكي ويقول : ما شاء الله . ثُمَّ قَالَ : يَا
أَبَا جَعْفَرٍ أَعِدْ عَلَيَّ فَأَعِدْتَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : مَا شَاءَ اللَّهُ (٢) .

وليس معنى قول شيخ الإسلام تسويغ الحزبية وزعامتها بالمفهوم
المعاصر التي تفرق بين الأمة وتجعلهم أوزاعاً وأحزاباً متناحرة متباغضة
متدبرة . قال رسول الله ﷺ : ((لا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله
إخواناً)) (٣) .

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٥٥٥/١) .

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٢٣٨/١١) .

(٣) أخرجه "أحمد" ٢٨٨/٢

فإن هذه المفاصد بنت تلك الحزبية المشئومة . وهذه الحزبية مقارنة للتفرُّق الذي ذمَّه الله ونهى عنه ، قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) [آل عمران : ١٠٣] وقال سبحانه : (إن الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) [الأنعام : ١٥٩] وقال تعالى : (ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون) [الروم : ٣٢] .

فكلُّ مَنْ خرج عن جماعة المسلمين وسوادهم بفهم أو عمل يخالف به ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسانٍ من سلف الأمة فإنَّ له نصيباً من الوعيد المذكور حتَّى يترع عمَّا سبَّب الفرقة والاختلاف .

وأما أبو إسحاق الشاطبي فإنَّه بنى كتابه ((الاعتصام)) على ذمِّ البدعة وأهل الافتراق، ومِمَّا قاله فيه عند كلامه على حديث الثنتين والسبعين فرقة : إنَّه لا يعمُّ الخلاف الواقع في مسائل الاجتهاد ((وإنَّما يراد به افتراق مقيد ، وإن لم يكن في الحديث نص عليه ، ففي الآيات ما يدل عليه : قوله تعالى : (ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون) [الروم : ٣٢] وقوله تعالى : (إن الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) [الأنعام : ١٥٩] وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على التفرُّق الذي صاروا به شيعاً .

ومعنى ((صاروا شيعاً)) أي : جماعات ، بعضهم قد فارق البعض ، ليسوا على تآلف ولا تعاضد ولا تناصر ، بل على ضد ذلك ، فإنَّ

الإسلام واحد ، وأمره واحد ، فافتضى أن يكون حكمه على الائتلاف التام لا على الاختلاف .

وهذه الفرقة مشعرة بتفرُّق القلوب المشعر بالعداوة والبغضاء ، ولذلك قال تعالى (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران : ١٠٣] فبيّن أنّ التّأليف إنّما يحصل عند الائتلاف على التعلُّق بمعنى واحد ، وأمّا إذا تعلّقت كلّ شيعة بحبل غير ما تعلّقت به الأخرى ، فلا بدّ من التفرُّق ، وهو معنى قوله تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام : ١٥٣] (١) .

وقال الشيخ الألباني في حديث حذيفة الذي فيه : ((فاعتزل تلك الفرق كلّها)) قال : ((في هذا الحديث أنّ المسلم إذا أدرك مثل هذا الوضع ؛ فعليه حينذاك ألاّ يتحرّز ، وألاّ تكتل مع أي جماعة أو مع أي فرقة ، مادام أنّه لا توجد الجماعة التي عليها إمام مبائع من المسلمين)) (٢) .

وسئِلَ سماحة الشيخ ابن باز : هل تُقرؤون مثل الدخول في هذه الجماعات : جماعة الإخوان ، جماعة التبليغ ، جماعة الجهاد ، أو تنصحونهم بالبقاء على طلب العلم مع طُلاب العلم من الدعوة السلفية ؟ فأجاب بقوله : ((ننصحهم جميعاً بالاجتماع على كلمة واحدة وهي طلب العلم والتفقه في الكتاب والسنة والسير على منهج أهل السنة والجماعة ، ننصحهم جميعاً بأن يكون هدفهم هو اتباع الكتاب والسنة

(١) الاعتصام (٢/٤٠٩) .

(٢) الدّعوة إلى الله لعلّي الحلي الأثري (٩٨) .

والسير على منهج أهل السنة والجماعة ، وأن يكونوا جميعاً يُسمُّون أنفسهم أهل السنة ، أو أتباع السلف الصالح .
أمَّا التحزُّب للإخوان المسلمين أو جمعية التبليغ ، أو كذا وكذا ، لا ننصح به ، هذا غلط ، ولكن ننصحهم بأن يكونوا كتلة واحدة وجماعة واحدة يتواصلون بالحق والصبر عليه ، وينتسبون لأهل السنة والجماعة .
هذا هو الطريق السوي الذي يمنع الخلاف ، وإذا كانوا جماعات على هذا الطريق ما يضر كونهم جماعة في ((إِب)) ، وجماعة في ((صنعاء)) ، لكن كلهم على الطريقة السلفية أتباع الكتاب والسنة يدعون إلى الله وينتسبون إلى أهل السنة والجماعة من غير تحزُّب ولا تعصُّب ، هذا لا بأس به وإن تعددت الجماعات ، لكن يكون هدفهم واحد وطريقهم واحد)) (١).

وسئِلَ الشيخ أيضاً : بعض الشباب يقول : نحن إذا دخلنا في جماعة مثل جماعة الإخوان ، أو التبليغ ، أو الجهاد نُصلِّح الأخطاء من الدَّاخل أحسن ما نكون بعيدين عنهم ندخل معهم إن طلبوا مِنَّا بيعة بايعناهم أو نرفض البيعة ولكن ندخل معهم لنصلح أخطاءهم ، هل تنصح بذلك ؟
فأجاب سماحة الشيخ ابن باز بقوله : ((أمَّا زيارتهم للصُّلح فلا بأس ، أمَّا الانتساب إليهم لا ، لكن زيارتهم للصُّلح بينهم وللدعوة إلى الخير وتوجيههم إلى الخير ونصيحتهم فلا بأس ، ولكن يكونوا مستقلين على طريق أهل السنة والجماعة .

(١) من شريطٍ بعنوان ((أسئلة أبي الحسن للشيخين ابن باز وابن العثيمين)) سُجِّلَ بمكَّة المكرمة في السادس من ذي الحجة عام ١٤١٦ هـ .

وإذا زاروا الإخوان أو جماعة التبليغ ونصحوهم لله وقالوا : دعوا عنكم التعصب ، عليكم بالكتاب والسنة ، تمسكوا بالكتاب والسنة ، كونوا مع أهل الخير ، دعوا التفرق والاختلاف ، هذا نصيحة طيب)) (١) .

وسئل الشيخ ابن عثيمين : هل هناك نصوص في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فيها إباحة تعدد الجماعات الإسلامية ؟ فأجاب بقوله : ((ليس في الكتاب والسنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب ، بل إن في الكتاب والسنة ما يذم ذلك ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [الأنعام : ١٥٩] ، وقال تعالى : (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) [الروم : ٣٢] .

ولا شك أن هذه الأحزاب تنافي ما أمر الله ، بل ما حث الله عليه في قوله : (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [المؤمنون : ٥٢] ، ولا سيما حينما ننظر إلى آثار هذا التفرق والتحزب حيث كان كل حزب وكل فريق يرمي الآخر بالتشنيع والسب والتفسيق ، وربما بما هو أعظم من ذلك ، لذلك فإنني أرى أن هذا التحزب خطأ)) (٢) .

وقال الشيخ بكر أبو زيد : ((إن إنشاء أي حزب في الإسلام يخالفه بأمر كلي أو بجزئيات لا يجوز ، ويترتب عليه عدم جواز الانتماء إليه ، ولنعزل تلك الفرق كلها ، وعليه فلا يجوز الانصهار مع راية أخرى

(١) من الشريط السالف نفسه .

(٢) مجلة الجندي المسلم ، العدد ٨٣ في ربيع الأول عام ١٤١٧ هـ .

تخالف راية التوحيد بأي وجهٍ كان من وسيلة أو غاية . ومعاذ الله أن تكون الدعوة على سنن الإسلام مَظَلَّةً يدخل تحتها أي من أهل البدع والأهواء ، فيُعْض النَّظَر عن بدعهم وأهوائهم على حساب الدعوة)) (١) .

وقال الشيخ صفى الرحمن المباركفوري : ((إنَّ الإسلام لا يتحمَّل في داخله تنظيماً آخر بحيث تكون أُسُس ذلك التنظيم وقواعده أساساً للولاء والبراء ... وذلك لأنَّ الإسلام لما قضى على جميع المواد التي كانت أساس الولاء والبراء في الجاهلية ، وجعل الإسلام نفسه مادَّة الولاء والبراء ، وجعل جميع المسلمين سواسية في الحقوق ، لم يبق عنده مجال لتعدد الجماعات والكتلات المتفرقة ، بحيث لا يكون لإحداها حقوق وعلاقات بالأخرى حتى يحتاج إلى عقد التحالف بينها)) (٢) .

وبما سبق يتبيَّن أنَّ الحزبية المفرقة بين الأمة ضررها أكبر من نفعها ، وإذا كان المسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن مَنْ أَمِنَهُ الناس على دمائهم وأموالهم ، فإنَّ التنظيم ذا التوجه الشمولي يعطي لنفسه الحق في الانفراد بقرارات تؤثر على مجموع الأمة كتدبير الانقلابات ، وشن الغارات بحيث لا يشعر الناس بالأمان من جانب ذلك التنظيم ويتوجسون منه الشر كل حينٍ وآن .
تنبيه على خطأ كبير :

(١) حكم الانتماء ١٥٣ .

(٢) الأحزاب السياسية في الإسلام ٤٥-٤٦ .

بعض من الذين كتبوا عن الجماعات والفرق الإسلامية المعاصرة للموازنة بينها ونقدها يذكرون من أقسامها أهل السُّنة والجماعة ! وهذا خطأ كبير في الفهم والتصور والبعد عن الحقيقة ، فإنَّ أهل السُّنة والجماعة وأهل الحديث هم جماعة المسلمين ، وليست هذه في شكلها ومضمونها إلاَّ دعوة الإسلام بجميع ما تعنيه هذه الكلمة ؛ بخلاف الجماعات الأخرى ، فهي أحزاب وفرق : منها ما فيه دخل ، ومنها ما يدعو إلى شعبة من شعب الإسلام دون الأخرى .

ومعاذ الله أن يكون المسلمون جماعاتٍ وأحزاباً ، بل إنَّ الطائفة المنصورة والفرقة الناجية - جماعة المسلمين الملتزمة بالكتاب والسُّنة والدعوة إليها - ما زالت ولن تزال باقية إلى أن يأتي أمر الله)) (١).

مسألة في حكم إحداث الحلف في الإسلام :

يستدل دعاة الحزبية المعاصرة على مشروعيتها بمشروعية الحلف في الإسلام في نظرهم ، وقيسونها عليه ويوردون مثل حديث ((لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفاً هو أحب إلي من حمر النعم ، ولو دعيت إليه اليوم في الإسلام لأجبت)) .

والجواب عن هذا أن أئمة السلف أشبعوا الكلام في الحلف وإحداثه في الإسلام واستوفوا القول فيه وهذا سياق كلام بعضهم فيها كموه :

(١) حكم الانتماء ١١٥ . وانظر كتابنا " السلفية .. إشكالية منهج أم مفهوم " ففيه تجلية وبيان لهذا المعنى .

قال الإمام محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ (١): ((حدثنا أبو كريب وعبد بن عبد الله الصفار ، قالوا: حدثنا محمد بن بشر، قال : حدثنا زكريا بن أبي زائدة ، قال : حدثني سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جبير بن مطعم ، عن النبي ﷺ قال : ((لا حلف في الإسلام ، وأما حلف كان في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة)) .

ذكر الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفاً هو أحب إلي من حمر النعم)) .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي ، أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال النبي ﷺ : ((لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً هو أحب إلي من حمر النعم ، ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت)) (٢) . قالوا : ومن الدليل على أن الحلف الذي شهدته النبي ﷺ حلف الفضول : ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : كان بين الحسين بن علي ، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال كان بينهما بذي المروة ، قال : فكان الوليد تحامل على الحسين بن علي في حقه لسلطانه فقال له الحسين : أقسم بالله لتنصفن لي من حقي ، أو لآخذن سيفي ، ثم لأقومن

(١) في كتابه ((تهذيب الآثار)) ص ١٩ .

(٢) ضعيف ، لكن هذا الحديث و الأحاديث بعده وردت من طرق أخرى صحيحة .

في مسجد النبي ﷺ ثم لأدعون بحلف الفضول ، فقال عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال الحسين ما قال - : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ، ثم لأقومنَّ معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً ، فبلغت المسور بن مخزومة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال مثل ذلك ، فلما بلغ الوليد بن عتبة أنصف حسيناً من حقه .

القول فيما في هذا الخبر من الفقه :

والذي فيه من ذلك : الدليل على أن كل حلف كان عقد في الجاهلية قبل الإسلام ، أن على أهله الوفاء به ، وذلك أن النبي ﷺ قال في الحلف الذي شاهده مع أعمامه من بني هاشم ، وبني المطلب قبل الإسلام : ((ما أحب أن لي حمراً النعم وأني أنكته)) ، وذلك نظير الأخبار الواردة عنه ﷺ أنه قال : ((لا حلف في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة)) .

ذكر الأخبار الواردة بذلك عنه :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا حلف في الإسلام ، وما كان في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة)) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا مصعب بن المقدم ، عن إسرائيل بن يونس ، عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا حلف في الإسلام ، وكل حلف كان في الجاهلية ، فلم يزد الإسلام إلا شدة ، وما يسرني أن لي حمراً النعم ، وأني أنقض الحلف الذي كان في دار الندوة)) .

وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هيثم قال : أخبرنا مغيرة ، عن أبيه ، عن شعبة بن التوأم الضبي ، عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي ﷺ عن الحلف ، قال : فقال : ((ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ، ولا حلف في الإسلام)) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبيه ، عن شعبة بن التوأم الضبي ، أن قيس بن عاصم سأل النبي ﷺ عن الحلف ، فقال : ((لا حلف في الإسلام ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية)) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن داود بن أبي عبد الله ، عن ابن جدعان ، عن جدته ، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : ((لا حلف في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة)) ، فإن قال لنا قائل : فإن كان الأمر في الحلف في الإسلام كما قلت من أنه غير جائز عقده ، فما أنت قائل فيما حدثكم به ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن عاصم ، عن أنس قال : حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في داري التي بالمدينة ؟ قيل : هذا أمر كان في أول الإسلام ، كان رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار ، وكانوا يتوارثون بذلك العقد ، وكانت الجاهلية في جاهليتها تفعل ذلك ، فنسخ الله - تعالى ذكره - ذلك بقوله : (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) [الأنفال : ٧٥] ورد المواريث إلى القرابات بالأرحام والحرمة بقوله : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) [النساء : ١١ - ١٢] الآيتين ، فإن قال : وهل من دليل على صحة ما قلت ؟ قيل : حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في قول الله سبحانه

وتعالى : (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) [النساء : ٣٣] قال : كان الرجل يعاقد الرجل فيرثه ، وعاقده أبو بكر مولى فورثته .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري في قوله : (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ) [النساء : ٣٣] قال : كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب ، فيرث أحدهما الآخر ، فنسخ ذلك في الأنفال فقال : (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) [الأنفال : ٧٥] فكان هذا هكذا إلى أن فتحت مكة ، فلما فتحت مكة نسخ ذلك ، فقال النبي ﷺ حينئذ : ((أوفوا بحلف الجاهلية ، فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة)) .

حدثنا حميد بن مسعدة الشامي ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا حسين المعلم ، وحدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : حدثنا حسين ، وحدثني حاتم بن بكر الضبي ، قال : حدثنا عبد الأعلى بن حسين المعلم ، قال : حدثنا أبي ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله ﷺ قال في خطبة يوم فتح مكة : ((أوفوا بحلف الجاهلية ، فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة ، ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام)) .

وحدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح ، قام خطيباً في الناس فقال : ((أيها الناس ! ما كان من حلف في الجاهلية ، فإن الإسلام لم يزد إلا شدة ، ولا حلف في الإسلام)) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله ﷺ مثله .

وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أسد بن عمرو ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ مثله .

وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا خالد بن مخلد ، قال : حدثنا سليمان بن بلال ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ بنحوه .

فإن قال لنا : أوجائز في الحلف الذي أمر النبي ﷺ بالوفاء به من حلف الجاهلية ، وقد علمت أن القوم إنما كانوا يتعاقدون بينهم على أن يرث بعضهم بعضاً ، ويكون بعضهم عوناً لبعض على من أرادوه بظلم أو أرادهم بذلك - أن يوفى بشروطه التي كانوا تعاقدوا عليها في الجاهلية ؟ قيل : إن الذي أمر النبي ﷺ بالوفاء به من ذلك هو ما لم يفسخه الإسلام ، ولم يطله حكم القرآن ، وهو التعاون على الحق ، والنصرة على الأخذ على يد الظالم الباغي ، فإن قال : فإن هذا حق لكل مسلم على كل مسلم فما المعنى الذي خص به في الجاهلية حتى وجب من أجله الوفاء به ، ونهي عن مثله في الإسلام استثنافه ؟ وهل على مسلم من حرج في معاقدة إخوان له من أهل الإسلام على التناصر إن بغى أحداً منهم أحداً بظلم أو قصده بسوء ؟ قيل : إن ذلك من معنى ما ذهب إليه بعيد ، وإنما معنى قول النبي ﷺ : ((ما كان من حلف في الجاهلية ، فتمسكوا به)) إنما هو الحلف على النصرة من بعضهم لبعض في الحق ، وذلك وإن كان

واجباً على كل مسلم لكل مسلم ، فإن على الحليف من ذلك لحليفه من وجوب حق نصرته على من بغاه بظلم دون سائر الناس غيره ما يجب للقريب على قريبه ، والنسيب على نسيبه ، دون سائر الناس غيره ، وإن نابتة نائبة من عدو له قصده بظلم ... فله من استصراخه عشيرته وقبيلته بمثله ، وذلك أن الأخبار متظاهرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((من تعزى بعزاء الجاهلية ، فأعضوه بهن أبيه ، ولا تكُنوا)) ... فهى ﷺ المظلوم عن الاعتزاء بما ذكرنا وأمر من ظلم فاستصرخ على ظالمه أن يقول : يا لعباد الله! ويا للمسلمين ! ثم أطلق له من الاستصراخ بحليفه مما نهى عن الاستصراخ بمثله بنسيبه من قبيلته وعشيرته ، فأجاز للرجل من أهل حلف الفضول أو غيره أن يقول : يا لحلف الفضول ! أو يا لحلف المطييين ! وما أشبه ذلك ، أو ما تسمعه يقول في الخبر الذي ذكرت عن عبد الله بن طلحة التيمي : ((ولو دعيت إليه اليوم في الإسلام لأجبت)) (١) أو ما ترى أن الحسين بن علي قال للوليد بن عتبة : أقسم بالله لتتصفن لي من حقي أو لأخذن سيفي ، ثم لأقومن في مسجد النبي ﷺ ثم لأدعون بحلف الفضول ؟ فذلك هو الخصوص الذي خص به الحليف

(١) ومعنى هذا الحديث كما يظهر في السياق الذي ساقه فيه أبو جعفر الطبري : أن النصرة بسبب الحلف الذي أبرم في الجاهلية بين الحلفاء مستمرة في الإسلام بينهم ، وأن من دُعي إلى الوفاء به في الإسلام لزمته إجابة حليفه وإنصافه من ظالمه تأدية إلى الحليف حق الحلف المبرم في الجاهلية ومقتضياته ، وليس معناه إنشاء حلف في الإسلام ، وعقد رباط به بين المسلمين لنفي النبي ﷺ الحلف في الإسلام ، ونهيه عنه ((لا حلف في الإسلام)) ((لا تحدثوا حلفاً في الإسلام)) بل عدَّ الإمام ابن بطة العكبري الحلف في الإسلام من البدع المحدثة كما يأتي النقل عنه .

بالحلف الذي كان عقده في الجاهلية من حليفه دون سائر الناس غيره)) .
اهـ كلام الإمام الطبري .

وقال الإمام المحدث الفقيه المفسر أبو جعفر الطحاوي ت ٣٢١هـ :
((قول النبي ﷺ : ((لا حلف في الإسلام)) إنما كان منه عند فتحه
مكة ، كما حدثنا أبو أمية ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى العبسي ،
قال : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن
عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، قال : لما دخل
رسول الله ﷺ مكة عام الفتح قام خطيباً ، فقال : ((أيها الناس ! إنه ما
كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة ولا حلف في
الإسلام)) ، وكما حدثنا ابن أبي داود ، قال : حدثنا الوهيبي ، قال :
حدثنا ابن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن
رسول الله ﷺ فذكر مثله .

أخبر عبد الله بن عمرو أن هذا القول إنما كان من رسول الله ﷺ يوم
فتح مكة ، والذي كان من رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار رضوان
الله عليهم من المؤاخاة التي حالف بينهم فيها كان قبل ذلك بالمدينة ،
وكان الذي كان من النبي ﷺ في خطبته يوم فتح مكة ، مما ذكره عبد
الله بن عمرو ناسخاً ولم يكن منه ﷺ بعد قوله : ((لا حلف في
الإسلام)) حلف إلى أن قبضه الله صلوات الله عليه)) (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري ت ٣٨٧هـ : ومن
البدع المحدثثة التي ليس لها أصل في كتاب ولا سنة - تشبهوا فيها بأفعال

(١) ((شرح مشكل الآثار)) ٤/ ٣٠٠ .

الجاهلية - اجتماعهم والتحالف بينهم على التعاضد والتناصر ، وهذا مبتدع مكروه ، وكانت الجاهلية تفعله فأذهب الله ﷻ وﻫﻜﻞ ﺑﺎﻟﯩﺴﻼﻡ ، ونهى عنه على لسان نبيه ﷺ ، وقال النبي ﷺ : ((لا حلف في الإسلام ، وأبما حلف كان في الجاهلية فما زاده الإسلام إلا تأكيداً)) (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((تنازع الناس هل يشرع في الإسلام أن يتآخى اثنان ، ويتحالفا كما فعل المهاجرون والأنصار؟ فقيل : إن ذلك منسوخ لما رواه مسلم في صحيحه عن جابر أن النبي ﷺ قال : ((لا حلف في الإسلام وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة)) ولأن الله قد جعل المؤمنين إخوانة بنص القرآن ، وقال النبي ﷺ : ((المسلم أخو المسلم ، لا يسلمه ، ولا يظلمه ، والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه)) ، فمن كان قائماً بواجب الإيمان كان أخاً لكل مؤمن ، ووجب على كل مؤمن أن يقوم بحقوقه ، وإن لم يجز بينهما عقد خاص ؛ فإن الله ورسوله قد عقدا الأخوة بينهما بقوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات : ١٠] ، وقال النبي ﷺ : ((وددت أني رأيت إخواني)) ومن لم يكن خارجاً عن حقوق الإيمان وجب أن يعامل بموجب ذلك ، فيحمد على حسناته ، ويؤلى عليها ، وينهى عن سيئاته ، ويجانب عليها بحسب الإمكان ، وقد قال النبي ﷺ : ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)) قلت يا رسول الله! أنصره مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : ((تمنعه من الظلم ، فذلك نصرك إياه)) . والواجب على كل مسلم أن يكون حبه وبغضه ، وموالاته ،

(١) ((الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة)) ص ٣٦٤ .

ومعاداته تابِعاً لأمر الله ورسوله ، فيحب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالي من يوالي الله ورسوله ، ويعادي من يعادي الله ورسوله ، ومن كان فيه ما يوالي عليه من حسنات وما يعادي عليه من سيئات عومل بموجب ذلك ، كفساق أهل الملة ؛ إذ هم مستحقون للثواب والعقاب ، والموالاتة والمعاداتة ، والحب والبغض ، بحسب ما فيهم من البرِّ والفجور ، فإن (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [الزلزلة : ٧ ، ٨] ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ، بخلاف الخوارج والمعتزلة ، وبخلاف المرجئة والجهمية ؛ فإن أولئك يميلون إلى جانب ، وهؤلاء إلى جانب ، وأهل السنة والجماعة وسط .

ومن الناس من يقول : تشرع تلك المؤاخاة والمخالفة ، وهو يناسب من يقول بالتوارث بالمخالفة)) (١) .

قلنا : وهذا القول الأخير مرغوب عنه لدى الشيخ حيث لم يسق له أي دليل يؤيده وينصره ، ويدل على بطلان القول الثاني أيضاً قول الشيخ : ((وهو يناسب من يقول بالتوارث بالمخالفة)) وقد ثبت قطعاً نسخ التوارث بالمخالفة ، فكذلك المخالفة المجردة المناسبة له منسوخة أيضاً كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، وذهب إليه الأئمة فيما سقناه آنفاً .

وهكذا تضافرت أقوال الأئمة وتظاهرت في نسخ الحلف ، ونسخ التوارث به ، ومنع إحداثه في الإسلام .

(١) ((مجموع الفتاوى)) ٩٣/٣٥ .

((ومن هنا يظهر أن الإسلام ربط المسلمين برابطة لا يمكن لأي تنظيم وضعي مهما حصل عليه من القوة والدقة أن يصل إلى مثلها ، وأن العلاقة أو الأخوة الإسلامية هي أساس الولاء والبراء في الإسلام ، فالمسلم ولي المسلم سواء عرفه أو لم يعرفه ، بل ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب ، وهذا يعني أن الإسلام لا يتحمل في داخله تنظيماً آخر بحيث تكون أسس ذلك التنظيم وقواعده أساساً للولاء والبراء ؛ لأن هذا النوع من التنظيم يقتضي أن من انتظم فيه يستحق العون والنصرة ، والإخاء وغيرها من الحقوق ، ومن لم ينتظم فيه لا يستحق تلك الحقوق ، مع أن الإسلام أعطى المسلم جميع هذه الحقوق لمجرد كونه مسلماً لا لسبب آخر)) (١).

جماعة المسلمين واحدة :

جعل الله سبحانه وتعالى أهل الحق حزباً واحداً قدراً وشرعاً وناط به الفلاح في أنفسهم والغلبة على أعدائهم فقال : (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [المجادلة : ٢٢] ، وقال أيضاً : (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [المائدة : ٥٦] . وهذه الغلبة الموعودة ثابتة لحزب الله بالحجة والبرهان في كل صقع وآن ، وتتبعها الغلبة بالسيف والسنان إذا كانت أحوالهم مستقيمة ، وقاتلوا من أمر الله بقتالهم ، قال تعالى : (وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) [الصافات : ١٧٣] وقال سبحانه : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [غافر : ٥١] ، فهذه بشارة عظيمة

(١) الأحزاب السياسية في الإسلام ، للشيخ صفى الرحمن المباركفوري ٤٥ .

لمن اتصفوا بأنهم من جند الله وتحلّوا بالإيمان أنهم غالبون لغيرهم منصورون من ربهم نصراً عزيزاً يتمكنون فيه من إقامة دينهم (١). وهذا الحزب هو المعبر عنه بـ ((الجماعة)) في حديث افتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، قال ﷺ ((ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة)) (٢). ومن شواهد لفظ ((ما أنا عليه وأصحابي)) .

وهو مدلول حديث العرباض بن سارية المرفوع (فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) (٣).

وهذا الحزب حزب واحد قد فرغ من إنشائه على يدي رسول الله ﷺ فيجب على كل مسلم ينشد الحق ويسعى في فكك نفسه من عذاب الله أن يلزم غرز هذا الحزب وينأى بنفسه عن شق عصاه وإنشاء حزب شقاق داخل هذا الحزب الواحد .

وكان هذا الحزب متمثلاً في جيل الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ، وكانوا ينابذون بشدة ويناصبون أشدّ العداء كل من يفتّ في عضد هذه الجماعة بمفهومها ((العلميّ المنهجيّ)) و ((السياسيّ)) ويخرج عليها من حيث العقيدة والسلوك والسياسة .

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٦٥٤ - ٦٥٥ .

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٨/٤ ح ٤٥٩٧) من حديث معاوية و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠٤) .

(٣) أخرجه أحمد (١٢٧ / ٤) ، والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣) وغيرهم وهو حديث صحيح .

ففيما يتعلق بالمخالفة العقدية بنجد الإنكار الشديد والحاسم من عبد الله بن عمر رضي الله عنه على منكري القدر ، فقد روى مسلم ^(١) عن يحيى بن يعمر قال : ((كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي . أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله . فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى . فقلت: أبا عبد الرحمن ! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر . وأن الأمر أُنْفُ . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم برآء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)) .

ومن حيث المخالفة السلوكية نرى كيف أن عبد الله بن مسعود شدد التَّكْرِير على هؤلاء الذين أحدثوا أنماطاً في العبادة لم تكن في عهد رسول الله ﷺ من إحصاء الأذكار وعدّها، مما لم يؤمروا به، فكان مما قال لهم في تعنيفهم: ((إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحوا باب ضلالة . قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ؛ ما أردنا إلا الخير . قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه)) أخرجه الدارمي ^(٢) بإسناد جيد .

(١) في صحيحه ٣٦/١ ح (٨) .

(٢) في مسنده (٢٨٧/١) .

ومن حيث المخالفة السياسية لجماعة المسلمين نرى كيف أن ابن عمر هدد حشمه وولده بالمفاصلة بينه وبينهم في شأن خلع يزيد بن معاوية ، فقد روى البخاري (١) أن ابن عمر جمع حشمه وولده فقال : إني سمعت النبي ﷺ يقول : ((يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة)) ، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ﷺ ، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يُبايع رجلٌ على بيع الله ورسوله ثم يُنصب له القتال ، وإني لا أعلم أحدًا خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه .

ولا يعني ذم التحزب والافتراق أن تشتت الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ولا يجتمع منهم اثنان كما يحلو لبعض المتحزبين أن يصموهم به لتخذيل الناس عنهم وتشويه صورتهم وإظهارهم بمظهر الرافض للتعاون الشرعي والمفرق لكلمة المسلمين .

فالإسلام لا يحجر على أهل الحق أن يتعاونوا لإعزاز دين الله ، بل يوجب عليهم أن يتضافروا لنصرة دين الله بكل طريق لا يتعارض مع الشرع ومصلحته خالصة أو راجحة ، ولا يضيق عليهم في إنشاء المدارس والجامعات وجمعيات النفع العام والمراكز التي تخدم دعوتهم بشرط أن يتجنبوا مفاسد التحزب والتفرق من الافتئات على حقوق أهل الحل والعقد في نصب الإمام أو منابذته حين يُشرع ذلك ، وتخريب المجتمع وتوزيع ولائه على الأحزاب وأخذ البيعات وعهود الطاعات عليهم .

ثم إن الإسلام كما نهى عن الاختلاف والتفرق والتحزب وكل ما يكدر صفو ألفة المسلمين وتمامهم وتعاظمهم الذي يكفل لهم وحدة

(١) في صحيحه (٢٦٠٣/٦) .

صفهم الداخلي وتضافر القوى والجهود في التصدي للعدو الخارجي الغاشم = شرع لهم تشريعاً يدلهم على مكانة وحدة المسلمين وسدّ الذرائع التي قد تفتّ في عضدهم وتفرّق شملهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ذلك: ((إنه ﷺ سنّ الاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى وفي الجمعة والعيد والاسْتِسْقَاء وفي صلاة الخوف وغير ذلك مع كون إمامين في صلاة الخوف أقرب إلى حصول الصلاة الأصلية لما في التفريق من خوف تفرق القلوب وتشتت الهمم ، ثم إن محافظة الشارع على قاعدة الاعتصام بالجماعة وصلاح ذات البين وزجره عما قد يفضي إلى ضدّ ذلك في جميع التصرفات لا يكاد ينضبط ، وكل ذلك شرعٌ لو سائل الألفة ... وزجر عن ذرائع الفرقة)) اهـ (١) .

ومن أمثلة ذلك أنه إذا كان المسلمون في أمرٍ جامعٍ وأمكن اجتماع أبدانهم في صعيد واحد كره لهم أن يتفرّقوا إلا من عذر ؛ لأن ذلك أدعى لائتلاف قلوبهم وأبعد عن تفرّقها ، كما روى الإمام أحمد (٢) ، وأبو داود (٣) ، والنسائي (٤) وغيرهم واللفظ لأحمد : من حديث أبي ثعلبة الخشني قال : كان الناس إذ نزل رسول الله ﷺ مترلاً فعسكر تفرقوا عنه

(١) بيان الدليل على بطلان التحليل ص: ٣٧١ لابن تيمية تحقيق فيحان المطيري، نشر مكتبة

لينة في مصر ط ٢ ، ١٤١٦هـ .

(٢) في المسند (٢٣٧/٢٩) .

(٣) في السنن (٤١/٣) .

(٤) في السنن الكبرى (٢٦٩/٥) .

في الشعاب والأودية ، فقام فيهم فقال : ((إن تفرقكم في الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان)) قال : فكانوا بعد ذلك إذا نزلوا انضم بعضهم إلى بعض حتى إنك لتقول : لو بسطت عليهم كساء لعمهم أو نحو ذلك .

وشرع لهم النبي ﷺ أيضاً - أنه إذا كان إمام الصلاة مريضاً ولم يستطع أن يصلي بالناس قائماً فصلّى قاعداً - أن يصلوا بصلاته قاعدين حفاظاً على الوحدة ومراعاة عدم الاختلاف على الإمام .

أخرج الشيخان من حديث عائشة قالت: اشتكى رسول الله ﷺ فدخل عليه ناس من أصحابه يعودونه ، فصلّى رسول الله ﷺ جالساً ، فصلّوا بصلاته قياماً فأشار إليهم : أن اجلسوا فجلسوا ، فلما انصرف قال : ((إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا صلى جالساً فصلّوا جلوساً)) (١) .

ولم يجز الإسلام حين عجز الإمام عن الصلاة قائماً أن يتشتوا ويتفرقوا ويصلوا أوزاعاً وجماعات .

وهذا أحد الأقوال في المسألة ، وبه عمل أئمة الصحابة بعد النبي ﷺ لما اعتلّوا فصلّوا قعوداً والناس خلفهم قعود وإليه ذهب فقهاء أهل الحديث، وهو الذي تأتلف به الآثار في المسألة.

ثم إن الأحزاب والجماعات الإسلامية دأبوا على الاستماتة في الدفاع عن تفرقهم وتحزبهم والاستبسال في تسويغ فعلتهم تلك عند مضايق

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به ، (فتح الباري ١٧٣/٢) ،

وصحيح مسلم ٣٠٩/١ ح (٤١٢) .

الطرق عليهم فأصبحوا يبحثون عن شبهات يؤيدون بها مواقفهم ويحفظون بها ماء وجوههم فافتروا على السلفيين أهل الحديث أنهم أيضاً أحزاب وجماعات لهم مدارسهم ومعاهدهم وجمعياتهم الخيرية ، قالوا : ولا يحسن من العاقل أن يعير غيره بما هو واقع منه ومتربع فيه .

والحقيقة أن الحزبيين في شبهتهم هذه يتعاملون عن حقيقة أن أهل الحديث هم الامتداد الطبيعي لجيل الصحابة والتابعين ، وأن تعاونهم فيما بينهم بريء من مرتكزات الحزبية التي سقناها في مبحث سابق .

فليس وصم السلفيين بالتحزب المذموم بمغن عنهم فتيلاً ، وما هو إلا كما قيل : رمتني بدائها وانسلت ، وإلا فإن أهل الحديث هم المشهورون بالتحذير من التحزب والحزبية وبالكتابات الجادة في ذلك ، وتربية المسلمين على الإسلام المصفى من كل شائبة ، والاعتصام بحبل الله جميعاً وترك التفرق ورعاية حقوق الراعي والرعية ، كل ذلك على هدي من العلم بالحق والرحمة بالخلق ونشر السنن والعقيدة السلفية بتفصيلاتها وقمع البدع بشعبها ، كما تميزوا بتحقيق النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، فأني يصح رميهم بالتحزب والحزبية والحال ما ذكر ؟

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص والصدق في النية والقول والعمل .



مفهوم السلفية

اتفق علماء اللغة على أن السلف يطلق على الماضي المتقدم .

● قال الجوهري في الصحاح (٦٠٣) :

"سلف يسلف سلفاً أى : مضى ، والقوم السلاف المتقدمون ، والجمع أسلاف ، وسلاف ، والسلف نوع من البيوع يعجل فيه الثمن ، وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم ، والسلف والسليف المتقدم ، والتسليف التقديم " اهـ .

● وقال الرازى في مختار الصحاح (٣٠٩):

"سلف يسلف بالضم مضى ، والقوم السلاف المتقدمون ، والجمع أسلاف " اهـ .

● قال الراغب الأصفهاني في مفرداته (٢٤٤):

"السلف : المتقدم ، قال تعالى (وجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين)ولفلان سلف كريم : أي آباء متقدمون " اهـ .

● وقال الفيروز آبادى في القاموس المحيط (١٥٨/٣):

"والسلف كل من تقدمك من آبائك وقرابتك " اهـ .

● وجاء في العين (باب السين واللام والفاء معهما) :

" سلف: أسلفته مالا: أقرضته، والسلف من القرض. والسلف: كل شيء قدّمته فهو سلفٌ، والفعل سَلَفَ يسْلِفُ سُلُوفاً. والقوم إذا أرادوا أن يَنْفِرُوا فمن تقدّم من نفيهم فسَبَقَ فهو سَلَفٌ لهم، قال: نحن مَنَعْنَا مَنِبَتَ النَّصِيِّ بَسَلَفٍ أَرَعْنَ عَنَبَرِيَّ

والسُّلْفَةُ: ما يَتَسَلَّفُ الرجلُ فيأْكُلُ قبلَ غَدائه. والأُمَمُ السالفةُ الماضية
أمام الغابرة، قال:

ولاقَتْ مَناياها القُرُونُ السَّوَالِفُ كَذَلِكَ تَلَقَّاهَا القُرُونُ الخَوَالِفُ
أي يموت من بقي كما مات من مَضَى. " اهـ

● وجاء في المقتضب (باب السين واللام والفاء) :
السَّلَفُ: من القَرَضِ، أسَلَفَ إِسْلافاً، وتَسَلَّفْتُ واستَسَلَفْتُ. وكذلك
ما قَدَمْتَهُ أَمَامَكَ فهو سَلْفُكَ، والفِعْلُ: سَلَفَ يَسْلُفُ سُلُوفاً. وكذلك
القَوْمُ إذا أرادوا النَفَرَ فَمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ نَفِيرِهِمْ فَسَبَقَ فهو سَلَفٌ. والمُسَلِفُ:
الجاريةُ إذا كانتَ فَوْقَ الكاعِبِ، وقد أسَلَفْتُ. وَبَعِيرٌ مُسَالِفٌ: أي مُتَقَدِّمٌ.
وهذا سَلِيفٌ من الناس: أي سَلَفٌ، وهو ضِدُّ الخَلِيفِ. والأُمَمُ السالفةُ:
هي الماضيةُ أَمَامَ الغابرةِ، وهي السَّوَالِفُ. اهـ

● وجاء في تهذيب اللغة (مادة سلف) :

والسلف أيضا: من تقدّمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك
في السن والفضل، واحدهم سالف، ومنه قول طفيل الغنوي يرثي قومه:
مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ وَصَرَفُ الْمَنَايا بِالرِّجَالِ تَقَلُّبُ
أراد أنهم تقدّمونا وقصد سبيلنا عليهم أي نموت كما ماتوا فنكون
سلفاً لمن بعدنا كما كانوا سلفاً لنا.

وقال الفراء في قول الله جل وعز: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) [الزخرف : ٥٦] يقول: جعلناهم سلفاً متقدّمين ليتّعظ بهم الآخرون.
قال: وقرأ يحيى بن وثّاب " سَلَفًا " مضمومة مثقلة.
قال: وزعم القاسم أنه سمع واحداً سَلِيفاً، قال: وقرئ " سَلَفًا " كأن
واحدها سُلْفَةٌ، أي قطعة من الناس مثل أمة.

وقال الليث: الأمم السالفة: الماضية أمام الغابرة، وتُجمع سواف، وأنشد في ذلك:

وَلَا قَتْ مَنَايَا الْقُرُونِ السَّوَالِفُ كَذَلِكَ يَلْقَاهَا الْقُرُونُ الْخَوَالِفُ

• قال ابن منظور في لسان العرب (مادة سلف) :

والسلفُ أيضاً من تقدّمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السنّ والفضل واحدٌهم سالفٌ ومنه قول طُفَيْلِ الْغَنَوِيِّ يَرْتِي قومه: مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ وَصَرَفُ الْمَنَايَا بِالرِّجَالِ تَقَلُّبُ أَرَادَ أَنَّهُمْ تَقَدَّمُونَا ، وَقَصْدُ سَبِيلِنَا عَلَيْهِمْ أَي نَمُوتُ كَمَا مَاتُوا فَنَكُونُ سَلَفًا لِمَنْ بَعْدَنَا كَمَا كَانُوا سَلَفًا لَنَا . وفي الدعاء للميت: واجعله سلفاً لنا قيل هو من سلفِ المال كأنه قد أسلفه وجعله ثمناً للأجر والثواب الذي يُجَازَى على الصبر عليه وقيل سلفُ الإنسان مَنْ تَقَدَّمَه بالموت من آبائه وذوي قرابته ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح ومنه حديث مَذْحِجٍ نَحْنُ عُبابُ سَلَفِهَا أَي مُعْظَمُهَا وهم الماضون منها وجاءني سلفٌ من الناس أي جماعة اهـ

قلتُ : ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضى الله عنها : "فإنه نعم السلفُ أنا لك " أخرجه مسلم (٢٤٥٠/٩٨).

والسلفى هو : المنسوب أو المنتسب للسلف ، لأن الياء هذه ياء النسبة ، فالسلفى هو الذى ينسب نفسه ، أو ينسبه غيره للجماعة المتقدمين ، ولا بد من علة لهذه النسبة.

هذه العلة ليست سوى تحقيقه-أو زعمه التحقيق-بجانب السبق الذى صار به أولئك سلفاً ، تقدم به على الخلف معه فى السير أو حيازة الفضل الذى كان السابقون به سلفاً ، ونحو ذلك ^(١).

● واصطلاحاً :

ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه فى الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن المبارك والنخعي والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن، دون من رمي بالبدعة أو شهر بلقب غير مرضي مثل: الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة ^(٢).

فكل من التزم بعقائد وفقه هؤلاء الأئمة كان منسوباً إليهم وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم وإن عاش بين أظهرهم وجمع بهم نفس المكان والزمان .

و يعضد هذا الذي ذهبنا إليه قول الإمام البخاري رحمه الله - فى صحيحه

[باب : الركوب على الدابة الصعبة ، والفحولة من الخيل ، وقال راشد بن سعد : كان السلف يستحبون الفحولة لأنها أجرى وأجسر].

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح(٥١/٦) :

"قوله: (كان السلف) : أى من الصحابة فمن بعدهم" اهـ.

(١) السلفية وقضايا العصر ، د. عبد الرحمن بن زيد الزبيدي ص ١٩ ، ط دار إشبيليا

(٢) العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية ٦/١

قلتُ : راشد بن سعد ، من الثالثة ، كثير الإرسال ، قد روى عن جماعة من الصحابة ، فيكون المقصود بالسلف هنا : الصحابة ، ومن تبعهم على طريقتهم من التابعين .

وقال (٢٠٦٨/٥): باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره.

وقال أيضاً : قال الزهري في عظام الموتى - نحو الفيل وغيره - : "أدركت ناساً من سلف العلماء يمتشطون بها، ويدّهنون بها ولا يرون بأساً" فتح الباري (٣٤٢/١).

وأخرج مسلم من طريق محمد بن عبد الله قال سمعت علي بن شقيق سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف. مقدمة صحيح مسلم ص٦

وقال الأوزاعي: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم قل بما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم". الشريعة للآجري ص٥٨

- وقال القاضي عياض في "إكمال المعلم" (٥٥٣/٨):
"بين السلف اختلاف كبير في كتابة العلم من الصحابة و التابعين "
اهـ. فحد السلف بالصحابة و التابعين .

- قال القلشاني -رحمه الله- في " تحرير المقالة" (٣٦):
"السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم ، المهتدون بهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، الحافظون لسنته ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، وانتخبهم لإقامة دينه ، ورضيهم أئمة الأمة ، وجاهدوا في

سبيل الله حق جهاده ، وأفرغوا في نصح الأمة ونفعها ، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم .اهـ

- قال السفاريني - رحمه الله - في الواقع الأنوار (٢٠/١):

"والمراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بقلب غير مرضى مثل الخوارج و الروافض والقدرية و المرجئة والجبرية والجهمية و المعتزلة و الكرامية ونحو هؤلاء" اهـ

وقال السمعاني في الأنساب (٢٧٣/٣): "السلفي؛ بفتح السين واللام وفي آخرها فاء: هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذهبهم على ما سعت منهم" اهـ

وقال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/٢١) عند ترجمة : الحافظ أحمد بن محمد المعروف بـ أبي طاهر السلفي: "السلفي بفتحيتين وهو من كان على مذهب السلف". اهـ

* وقال في ترجمة الفسوي "وما علمت يعقوب الفسوي إلا سلفياً" السير (١٨٣/١٣)

* وقال في ترجمة محمد بن محمد البهراني : "وكان ديناً خيراً سلفياً". معجم الشيوخ : (٢٨٠/٢)

* وقال في ترجمة: أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي: "وكان على عقيدة السلف" معجم الشيوخ : (٣٤/١)

* وقال في السير (٤٥٧/١٦) " وصحّ عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إليّ من علم الكلام.

قلت - أي الذهبي - لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدل، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً".

* وقال في ترجمة ابن الصلاح "قلت وكان سلفياً حسن الاعتقاد كافاً عن تأويل المتكلمين " تذكرة الحفاظ (١٤٣١/٤)

* وقال في ترجمة عثمان بن بن خرزاذ الطبري : "فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً ذكياً نحويًا لغويًا زكياً حياً سلفياً" السير (٣٨٠/١٣)

* وقال في ترجمة الزبيدي "وكان حنفياً سلفياً" السير (٣١٧/٢٠)

* وقال في ترجمة ابن هبيرة "وكان يعرف المذهب والعربية والعروض سلفياً أثرياً" السير (٤٢٦/٢٠)

* وقال في ترجمة ابن المجد "وكان ثقة ثبتاً ذكياً سلفياً تقياً" السير (١١٨/٢٣)

* وقال في ترجمة يحيى بن إسحاق: "وكان عارفاً بالمذاهب خيراً متواضعاً سلفياً حميد الأحكام ...". معجم الشيوخ رقم (٩٥٧).

- سئلت اللجنة الدائمة : ما هي السلفية وما رأيكم فيها ؟
الجواب:

" السلفية نسبة إلى السلف ، والسلف هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - رضى الله عنهم- الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير في قوله(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة

أحدهم يمينية ويمينية شهادة) رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم ، والسلفيون جمع سلفى نسبة إلى السلف ، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب و السنة والدعوة إليهما و العمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة و الجماعة "اهـ^(١)

و تعريف "السلف" بالصحابة و التابعين لا نجده عند أهل الحديث فقط، بل كان الاصطلاح متداولاً ووارداً عند أهل الكلام ، قال أبو حامد الغزالي في "إلجام العوام عن علم الكلام" (ص ٦٢) مُعرِّفاً السلف : "أعني مذهب الصحابة و التابعين" .اهـ

وقال الشيخ محمد أمان الجامي - رحمه الله - : " عندما نطلق كلمة السلف إنما نعني بها من الناحية الاصطلاحية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حضروا عصره فأخذوا منه هذا الدين مباشرة غصاً طرياً في أصوله وفروعه. كما يدخل في هذا الاصطلاح التابعون لهم الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد، والذين شملتهم شهادة الرسول لهم وثناؤه عليهم بأنهم "خير الناس" حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" ، كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين." اهـ^(٢)

- قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز - رحمه الله -:

(١) فتاوي اللجنة الدائمة (١٦٥/٢) فتوى رقم (١٣٦١) .

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتزيه (ص ٥٧)

"إن السلف هم أهل القرون المفضلة ، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم فهو (سلفي) ومن خالفهم في ذلك فهو من (الخلف)" اهـ^(١)

- وقال سماحة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله - :

" وإذا قيل : السلف ، أو السلفيون ، أو لجادتهم : السلفية : فهي هنا نسبة إلى السلف الصالح : جميع الصحابة رضی الله عنهم من الخلف الذين انشقوا عن السلف الصالح باسم أو رسم ، وعليه فإن لفظه (السلف) هنا يعنى : السلف الصالح ، بدليل أن هذا اللفظ عند الإطلاق يعنى كل سالك في الاقتداء بالصحابة رضی الله عنهم حتى ولو كان في عصرنا .. وهكذا ، وعلى هذا كلمة أهل العلم ، فهي نسبة لم تنفصل لحظة واحدة عن الصدر الأول ، بل هي منهم وإليهم ، اما من خالفهم باسم أو رسم ، فلا وإن عاش بينهم ، وعاصرهم ، ولهذا تبرأ الصحابة رضی الله عنهم من القدرية و المرجئة ونحوهم " اهـ .^(٢)

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في شرح العقيدة الواسطية (٥٣/١-٥٤) ما نصه : "... يخطئ من يقول : إن أهل السنة والجماعة ثلاثة : سلفيون، وأشعريون، وماتريديون، فهذا خطأ نقول : كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون !! (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) [يونس:٣٢] ، وكيف يكونون أهل سنة وكل واحد يرد على الآخر؟! هذا لا يمكن إلا إذا أمكن الجمع بين الضدين. فنعم وإلا فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة . فمن هو ؟! الأشعرية ؟ أم الماتريدية ؟

(١) نقلا من تعليق الشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري على العقيدة الحموية ص ٢٠٣

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص ٤٦

أم السلفية ؟ نقول : من وافق السنة فهو صاحب السنة، ومن خالف السنة فليس صاحب سنة، فنحن نقول : السلف هم أهل السنة والجماعة ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً، والكلمات تعتبر بمعانيها. لننظر كيف نسمي من خالف السنة أهل السنة لا يمكن، وكيف يمكن أن نقول: عن ثلاث طوائف مختلفة إنهم مجتمعون فأين الاجتماع ؟ فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنه سلفي " .اهـ

إذن فالسلفية علم على أصحاب الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة و التابعين من القرون الثلاثة الأولى المشهود لهم بالخيرية ، و من حيث المضمون فتعني السلفية في الإسلام كما يقول الدكتور مصطفى حلمي في كتابه "السلفية بين العقيدة الإسلامية و الفلسفة الغربية"(ص ٥) " التعبير عن منهج المحافظين على مضمونه في ذروته الشائخة ، و قمته الحضارية ، كما توجهنا إلى النموذج المتحقق في القرون الثلاثة الأولى المفضلة و فيها تحقق الشكل العلمي و التنفيذ الفعلي، و منه استمدت حضارة المسلمين أصولها و مقوماتها ممثلة في العقيدة خضوعاً للتوحيد ، و بيئاً لدور الإنسان في هذه الحياة ، و تنفيذاً لقواعد الشريعة الإلهية بجوانبها المتعددة ، في الاجتماع و السياسة و الاقتصاد و روابط الأسرة و فضائل الأخلاق".اهـ

و هي من جهة أخرى اقتداءً بالنبي محمد صلى الله عليه و سلم و سائر الأنبياء عليهم السلام ، و هذا يتضح من خلال التدرج في الدعوة و البدء بالأهم و مراعاة ما يسمى بـ "فقه الأولويات"، فالدعوة السلفية إصلاحية تعمل على النهوض بالفرد قبل المجتمع أو بتعبير آخر تسعى

لتربية النفس قبل الدعوة إلى إصلاح الأنظمة ، و من هنا سر اهتمام السلفية بالتوحيد و دعوتهم لإخلاص العبادة لله و نبذ الشرك بكل مظاهره و الإنكار على أصحاب الطرقات و الغالين في الأولياء ، و هذا سيراً على نهج الأنبياء في البدء بالدعوة إلى التوحيد، قال تعالى مبيناً ذلك (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل : ٣٦] و قال تعالى (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [الأعراف: ٦٥] و قال كذلك (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٧٣] و الآيات التي تبين أهمية الدعوة إلى التوحيد و نبذ الشرك كثيرة في الوحيين ، بل هي لب الرسائل السماوية و جوهرها و غايتها الأولى.

عكس بعض الحركات الإسلامية التي تعمل على تعبئة الجمهور بتبنيها لإيديولوجيا إسلامية ، لكنها أبعد ما تكون عن الاقتداء بمنهج الرسول صلى الله عليه و سلم.

وعليه....

فليس مجرد هذا التحديد الزمني كافياً في الانتساب الصحيح للسلف ، بل لابد أن يضاف إلى ذلك موافقة الكتاب والسنة في العقيدة و الشريعة و السلوك ، فمن خالف رأيه ما جاء في القرآن الكريم ، وما صح من السنة النبوية الشريفة ، فليس بسلفي ، وإن عاش في القرن الأول للهجرة ، ذلك أننا نجد بعض من عاشوا في زمن الصحابة رضی الله عنهم وهم ضلال مضلون بعيدون كل البعد عن عقيدة السلف ومنهجهم ، أمثال عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي بن أبي طالب رضی الله عنه : أنت الإله حقاً ، وزعم أن علياً لم يمت ، ولم يقتل ، وأن فيه الجزء الإلهي ، ولا

يجوز أن يستولى عليه ، وأنه هو الذى يأتى فى السحاب ن والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وابتسامته ، وأنه سيزل إلى الأرض فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً.^(١)

ونافع بن الأزرق الذى تبرأ من عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وكفر مخالفه من المسلمين ، واستحل دماءهم ، وانكر رجم الزانى المحسن.^(٢)

ومعبد بن خالد الجهنى الذى ظهرت بدعته فى القدر فى زمان المتأخرين من الصحابة رضى الله عنهم .

لذلك ينبغى أن نتثبت فى كل ما لدينا من اخبار واء نقلت إلينا على انها تمثل مذهب السلف حتى نعرضها على الكتاب و السنة ، وما ثبت عن السلف الصالح رضى الله عنهم ، فمن كان على هذا النهج فهو سلفى ، وإن عاش فى عصور متأخرة ، ومن خالفه فهو غير سلفى وإن عاش فى زمن الصحابة رضى الله عنهم.

وعلى ذلك فإن السلفية هى : "ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ، واتباعهم ، وأئمة الدين فمن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه فى الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف ، كالأئمة الربعة وسفيان الثورى ، والليث بن سعد ، وابن المبارك ، والنخعى ، والبخارى ، ومسلم، وسائر أصحاب

(١) مقالات الإسلاميين (٨٤/١) ، والملل والنحل للشهرستاني (١٧٤/١) .

(٢) الخطط للمقرئى (٣٥٤/٢) .

السنن ، دون من رمى ببدعة ، أو اشتهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج ،
والروافض ، والمرجئة ، والجبرية ، والجهمية ، والمعتزلة".^(١)
أما كتب الفرق ، فغالبية أصحابها يعرفون السلفيين ومذهبهم باسم :
أهل الحديث والسنة ، وربما ذكروهم باسم " الصفتية " .
يقول الأشعري في بداية كلامه عن مذهب السلف : " جملة ما عليه
أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند
الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من
ذلك شيئاً وأن الله - سبحانه! - إله واحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ
صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق
وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .
وأن الله - سبحانه! - على عرشه".^(٢)

أما الشهرستاني فقد ذكر السلفيين باسم اصحاب الحديث ، وعنون
لهم فصلاً بالصفاتية ، ثم قال : " اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا
يثبتون الله تعالى صفاته أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة
والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام،
والعزة، والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل
يسوقون الكلام سوقاً واحداً، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين،
والوجه ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون: هذه الصفات قد وردت في

(١) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (٦/١) .

(٢) مقالات الإسلاميين ١ / ٣٤٥

الشرع، فنسميها صفات خبرية. ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة.^(١)

وقد اطلق على السلفيين في بعض المراحل بعد اشتهاار مذهب الأشعري وانتشاره اسم " الحنابلة " لأنه لم يبق على مذهب السلف في هذا الدور إلا الحنابلة أتباع الإمام احمد بن حنبل ، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف ، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات .

وفي الحقيقة ، أن الفرق الإسلامية المختلفة ظلت على مدى التاريخ تعلق ارتباطها بالسنة ، وكل طائفة تدعي انها على النهج القويم ، والطريق المستقيم ، وتحاول الانتساب للسلف ، حتى إن لفظ السلف أصبح يطلق في عرف كثير من المتأخرين من علماء الكلام والتفسير على أئمة المذاهب المختلفة الذين ينتمون إليها ، ويوجبون على جميع الناس تقليد هؤلاء الأئمة فيما ذهبوا إليه من آراء ، ومعتقدات .

ولهذا كان سلف الأشاعرة غير سلف المعتزلة ، وسلف الشيعة غير سلف الخوارج ، وأصبحت كلمة السلف واسعة المدلول.^(٢)

ولكن إذا أردنا أن نميز بين السلفيين والفرق الأخرى المنتسبة للإسلام ، بصفة دقيقة — فلا بد من ضوابط موضوعية تكون مقياساً للانتساب الصحيح للسلف خاصة وأن مفهوم السلف تثار حوله نزاعات حيث تحاول كل فرقة أن تنتسب إلى السلف ، أو تتسمى باسم أهل السنة ، أو تدعي أنها لا تخالف منهج السلف وعقيدتهم على الأقل .

(١) الملل والنحل ٩٢/١ ، و ١٠٣

(٢) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة — محمود أحمد خفاجي ص ٢٠

ولا شك أن من تتبع المنهج العقدي عند شيوخ المدرسة السلفية سوف يجد ضوابط موضوعية تجمع بين فكر السلفيين في القديم والحديث ، فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصحابة - رضي الله عنهم - المنقول بواسطة المحدثين ، هذا الفهم الذي وصفه المقرئ بقوله : " ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء مما وصف الله به نفسه الكريمة ، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بل كلهم فهموا ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ، ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وإنما أثبتوا لله تعالى صفات أزلية من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والوجه ، واليد ، ونحو ذلك ، مع نفي مماثلته للمخلوقين .

فأثبتوا - رضي الله عنهم - بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض أحمد منهم إلى تأويل شيء من ذلك ، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت " .^(١)

إن أبرز سمات السلفيين التي تميزهم عن الفرق الإسلامية الأخرى في القديم والحديث هي : " تقديم النقل على العقل ، ورفض التأويل الكلامي

(١) الخطط ٢٢٦/٢

، والاستدلال بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والوقوف عند النص
" (١) .

هذا ويمكن أن نستخلص مما تقدم أن السلف هم : أهل القرون الثلاثة
التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها خير القرون ، دون المبتدعين ،
ثم أصبح مدلول السلفية اصطلاحاً يطلق على من تمسك بمذهب السلف ،
وترك مذاهب المبتدعة ، ولذا فإن مذهب السلف غير منحصر في مرحلة
زمنية معينة كما زعم الدكتور البوطي ، ولكنه ممتد إلى العصر الحاضر ،
ولله الحمد حيث ما تزال توجد إلى الآن جماعة مؤمنة بدين الله عز وجل
وفق عقيدة السلف الصالح ومنهجهم ، وسوف يستمر ذلك ويزداد بإذن
الله تعالى حتى يرث الأرض ومن عليها .

فـ " السلفية اصطلاح جامع يطلق للدلالة على منهج السلف الصالح
في تلقي الإسلام وتعاليمه وفهمه والعمل به ، وللدلالة على الملتزمين بهذا
المنهج قديماً وحديثاً " .

إن الحق الذي يجب أن يعرفه كل مسلم أن الدعوة السلفية ليست
دعوة إلى حزبية ولا إلى جماعة أسست فكرها على أشخاص بعينهم
ولكنها دعوة إلى عقيدة الأنبياء وأتباعهم والمدافعون عنها لا يدافعون عن
فكرة شخص أو أشخاص وإنما يدافعون عن أصول عقيدة المسلمين بحيث
لا يسعهم السكوت إذا رأوا من ينال من صفائها ونقاؤها ولك أن تتأمل
تاريخ الإسلام منذ عهد الصحابة حتى الآن تجد هؤلاء الحراس الأمناء
بالمرصاد لكل مبتدع مهما كان شأنه وتجد الطعنات والجهالات دائماً

(١) قواعد المنهج السلفي - مصطفى حلمي ص ٢٥٣ - ٢٦٣

موجهة إليهم لأجل مواقفهم الصلبة في مواجهة المعتدين على أصول الإسلام وهذه العقيدة في قلوبهم متزلة عظيمة فهي تستحق عندهم الولاء والبراء والحب والبغض والجدال والنقاش والشدة والعنف والهجرة أيضا حتى الموت في سبيلها وبهذا لا يمكنهم التحالف مع من يخالفها ولا التهوين من شأن مخالفته فضلا عن تميعها وتقريبها من العقائد المنحرفة.^(١)

لقد شوهت ممارسات - بعض - السلفيين منهج السلف ، وقزمته في قضايا معينة وانعزلت به عن الواقع ، حتى صار الانتساب إلى السلف ، والمناداة بالسنة منقصة في نظر الناس ، إذ عندما يسمعون عن السلف والسلفية ، يظنون أنهم المختصون بالأسماء والصفات ، واختصار المصادر القديمة والمتاجرة بها ، وبتحقيق الكتيبات.... ألخ ، الأمر الذي اضطرنا عند الانتساب إلى السلف أن نُبين للناس ، أن منهج السلف غير ما يرون ، وخلاف ما يسمعون . وكان من نتائج هذا الوضع أن عادت مقالات اهل الأهواء ومناهجهم إلى الظهور ، بعد أن عجز أهل السنة عن الارتفاع إلى مستوى منهجهم ، والدعوة إليه ، واستيعاب الناس الذين سُرُّوا بهم في البداية ، ثم نبذوهم نبذ النوى ، لما رأوهم تجمّدوا عند قضايا لا يجيدون عنها .^(٢)

(١) الطريق إلى الجماعة الأم ص ٧٨

(٢) السلف والسلفيون - إبراهيم العسّس ص ١٥ الطبعة الثانية

تاريخ السلفية ونشأتها

عندما اقترب القرن الهجري الأول من نهايته، كانت الفتوحات العربية قد بلغت مداها، وامتدت أطراف الإمبراطورية العربية التي صنعتها هذه الفتوحات.. فلقد فتح العرب في ثمانين عامًا أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون؟!..

وهذه الفتوحات الكبرى قد نقلت العرب المسلمين إلى طور جديد.. فقبلها كانوا أقرب إلى البساطة في مجتمع عربي ساذج وبسيط، تعينهم مواريتهم الحضارية المحدودة، وبيئتهم البدوية التي تشبه الصفحة الواضحة المبسوطة، على أن يفهموا الإسلام من نصوص قرآنه الكريم وسنة نبيه، عليه الصلاة والسلام، وذلك دونما كثير تأويل أو قياس.. ولقد حافظت بساطة الحياة في شبه الجزيرة العربية، وخلوها من التركيب والتعقيد على سيادة هذا النهج الذي عرفه العرب والتزموه في فهم الإسلام، "النهج النصوصي"، الذي يقدم "الكتاب" على "الحكمة"، و"المأثور" على "الرأي والقياس"، حتى إن الصحابة الذين كانت لهم دربة وذخيرة في "الحكمة والتفلسف" قد طووا صدورهم على "حكمتهم وفلسفتهم" في أغلب الأحيان، لزهد المناهج فيها، ولقلة الدواعي التي تدعو إلى انتشار هذا النهج في ذلك الزمان وذلك المكان.

لكن الفتوحات الكبرى قد وضعت العرب المسلمين في قمة السلطة بالإمبراطورية التي ضمت أكثر بقاع الأرض يومئذ حظًا من المواريت الحضارية والأبنية الفكرية البالغة حدًا كبيرًا من التطور والتركيب والتعقيد.. ففارس بما تملك من ميراث حضاري، والهند بما لديها من

حكمة، ومصر والشام بما فيهما من تراث غني -محلي أو يوناني وروماني- كل ذلك قد غدا في وعاء الدولة التي يحكمها العرب المسلمون.. وبدلاً من المجتمع البدوي البسيط أصبحوا مسئولين عن قضايا مجتمع تنوعت قضاياها ومشاكله وتركبت الأبنية الفكرية لمؤسساته ومفكره.. وكان طبعياً وضرورياً أن يواجه العرب المسلمون الفاتحون هذا الواقع الجديد، وكان طبعياً وضرورياً كذلك أن يتعلموا، وأن يعوا هذه الظاهرة الجديدة، ليحذقوها، كي يرتفعوا إلى مستوى القادة في هذا الواقع الجديد..

وهذا الذي حدث للعرب المسلمين القادمين من شبه الجزيرة العربية، حدث للإسلام!..

فدين القرآن العربي المبين، الذي أقنعت نصوصه البسيطة الواضحة عرب مجتمع شبه الجزيرة البسيط والواضح، قد أصبح محتاجاً إلى وسائل جديدة وبراهين معقدة وأدلة مركبة، كي يقنع أقواماً ألفوا وسائل أخرى في الجدل والمناظرة والبرهنة والحجاج.. وزاد هذه الحاجة الجديدة ضرورةً وإلحاحاً أن الشرائع والعقائد والمذاهب غير الإسلامية، التي كان يدين ويتمذهب بها أبناء البلاد المفتوحة، قد استفادت من رفض الإسلام وأهله طريق الإكراه في الدين، فشنت على الإسلام حرباً فكرية ضروساً، مستخدمة فيها الأسلحة التي لم تعرفها شبه الجزيرة ولم يحذقها من قبل العرب المسلمون..

وعندما وجد العرب المسلمون أنهم يدافعون عن إسلامهم بمنطق بسيط في مواجهة مؤسسات فكرية لاهوتية قد تسلحت في صراعها ضده بمنطق أرسطو، وأنهم يبشرون بإسلامهم، مستخدمين النصوص، بين أقوام قد

امتلكوا حكمة الهند وفلسفة اليونان.. رأوا أن الاحتكام إلى النصوص لا يجدي مع الذين لا يؤمنون بحجية وقدسية هذه النصوص، وأن الجدل بالمأثورات لا يقنع الذين يرفضون هذه المآثورات.. ورأوا كذلك أن هذا الواقع الفكري الجديد يتطلب أدوات صراع جديدة لذلك التزال الفكري الجديد، وأن هذه الأدوات لا بد أن تكون إنسانية الطابع عالمية النمط، أي: عقلانية، تصلح لكل ألوان الجدل والبرهنة، بصرف النظر عن لون الحضارة، أو النمط الفكري، أو اختلاف الأمة، أو تغير الزمان والتنوع في المكان.

وأمام هذه الضرورات الجديدة، أفرزت الجماعة العربية الإسلامية طليعة فلاسفتها الإلهيين -"المتكلمين" من علمائها- أولئك الذين امتدت بصيرتهم إلى ما وراء النصوص، مستخدمين العقل والقياس والتأويل، ناظرين في المواريث الفكرية -وخاصة الفلسفية- لأبناء البلاد المفتوحة، ومحصلين لمقولاتها، ثم مستخدمين لأسلحتها الفكرية وأدواتها في الجدل والمناظرات للدفاع عن عقائد الإسلام، وللتبشير بهذه العقائد في البيئات التي ما كان للنصوص والنصوصيين أن يحرزوا فيها نصرا لهذا الدين الجديد..

وهذه الطليعة من "المتكلمين"، فلاسفة الإسلام الإلهيين، هم مدرسة المعتزلة، أهل العدل والتوحيد .

لكن طبيعة هذا اللون الفلسفي من ألوان التفكير، وطبيعة البراهين التي يستخدمها هؤلاء "المتكلمون"، قد جعلت هذا الفكر فكر "صفوة"، لا فكر "عامة" و"جمهور"، ذلك أن "العامة والجمهور" قد وقفت بها مداركها عند "النصوص"، بل وعند "ظواهر النصوص" في أغلب

الأحيان.. بل لقد ارتابت "العامة" في جدوى هذا المسلك الذي سلكه "المتكلمون"، بل وفي عقائد هؤلاء "المتكلمين"!.. وزاد من هذه الريبة أن غلو اللاهوتيين من غير المسلمين في رفض النصوص، قد جعل نفراً من "المتكلمين" يهملون بعض النصوص الإسلامية أو يغضون من شأن بعض المأثورات، أو يؤولونها تأويلاً لا يبرأ من العسر والاعتساف.. حتى جاء الوقت الذي خيل فيه إلى "العامة والجمهور" أن "إسلام عرب شبه الجزيرة" الأول، إسلام النصوص الواضحة البسيطة الغنية عن التأويل، والذي عرفه الناس زمن البعثة والصحابة والتابعين، قد أصبح "غريباً" في هذا الواقع الفكري الجديد!.. وعند هذا الطور من أطوار الحركة الفكرية في الإمبراطورية العربية الإسلامية برزت لهذا "الجمهور" ولهذا الفكر "الجمهوري" قياداته، فأذاعوا بين الناس حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" (١) وإذن هؤلاء القادة في الجمهور: أنه لا بد من العودة إلى الإسلام السلف، الإسلام الذي مضى وسلف، الإسلام الذي أصبح "غريباً" في مناخ فكري تفلسف وقدم العقل وبراهينه على النصوص والمأثورات، وأعمل الرأي والقياس والتأويل في هذه النصوص وتلك المأثورات.. وكان رأس هؤلاء الأعلام، أعلام الحركة السلفية، وإمامها الأول والأبرز الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل [١٦٤-٢٤١هـ - ٧٨٠-٨٥٥م] الذي كان، كما كان خصومه، "ظاهرة عباسية"، بمعنى أن تبلور هذا الواقع الجديد وتلك التيارات الفكرية الجديدة إنما حدث في ظل حكم دولة بني العباس!..

(١) أخرجه مسلم ٩٠/١

المعالم الأولية والرئيسية للسلفية:

كان ابن حنبل أشبه ما يكون بـ "قراء عصر الصحابة، قبل أن يعرف عالم الإسلام" "الفقهاء" و"المتكلمين"، فضلاً عن "الفلاسفة والحكماء"، وكان شبيهه بـ "قراء" عصر الصحابة شاملاً "السلوك" مع "الفكر"، فهو كما يصفه ابن قيم الجوزية "٦٩١-٧٥١هـ - ١٢٩٢-١٣٥٠م": "عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتنه البدع فنفاها، والدنيا فأباها..!" (١).

ونحن إذا شئنا تكثيفاً لمقولات الحركة السلفية، كما صاغها إمامها الأول أحمد بن حنبل، في مواجهة ما رآه بدعاً ومحدثات جعلت الإسلام غريباً، وجدنا هذه المقولات والعقائد:

- الإيمان: قول وعمل.. وهو يزيد وينقص، تبعاً لنقاء العقيدة أو شوبها، وتبعاً لزيادة العمل ونقصانه..
- والقرآن: كلام الله، وفقط.. فليس بمخلوق - كما تقول المعتزلة - وليس شريكاً لله في قدمه، كما يلزم المعتزلة نفاة خلق القرآن..
- وصفات الله: التي وصف بها نفسه وأثبتها لذاته، نصفه بها ونثبتها لذاته، على النحو الذي وردت عليه في النصوص والمأثورات، لا نلجأ في بحثها إلى رأي أو تأويل..
- وعالم الغيب: لا ينبغي أن نخوض في بحث شيء منه، بل يجب أن نفوض حقيقة علمه إلى الله سبحانه.

(١) أعلام الموقعين ١/ ١٣٧ .

- ورؤية أهل الجنة لله: عقيدة حق يجب أن يؤمن بها المؤمن، دونما تأويل أو تمثيل، كما وردت بها ظواهر النصوص..
- وعلم الكلام: منكر منكر.. الاشتغال به منكر، وأخذ العقائد بأدلتها منكر.. بل ومجالسة أهله منكر، مهما كان دفاعهم به عن الإسلام!..
- والقضاء والقدر: لا يكتمل بدونهما الإيمان.. وهما من الله..
- والذنوب الكبائر لا تجعل المؤمن كافراً، ولا تخلده في النار، على عكس قول الخوارج في الأمرين.. وقول المعتزلة في الثاني..
- وخلافات الصحابة: لا يصح الخوض فيها، بل يجب العدول عن ذكرها، والوقوف عند محاسنهم وفضائلهم.

- وترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل: وفق ترتيبهم في تولي الخلافة..
- وطاعة ولي الأمر واجبة: حتى ولو كان فاجراً فاسقاً، والثورة عليه منكر لما تجلبه من الأخطار وتعطله من مصالح الناس في حياتهم اليومية..
- والفرائض.. والمعاملات.. والجهاد: تؤديها ونمارسها على النحو الذي جاءت به النصوص في القرآن والسنة... الخ... الخ... الخ..
وكما نهي الرسول -صلى الله عليه وسلم، عن كتابة ما عدا القرآن الكريم، كي لا يختلط الحديث بآياته، وكما لم يعرف عصر البعثة والصحابة تأليف الكتب.. وأمام اشتغال "المتكلمين" بتأليف الكتب.. نهي أحمد بن حنبل عن الاشتغال بتأليف الكتب، ودعا للوقوف عند جمع الحديث والمأثورات.. لكن تلاميذه وأصحابه دونوا فتاواه وتعاليمه، معتبرين إياها جزءاً من المأثورات، ومن بين ما دونوه -وهو كثير جداً-

نجد الكثير من النصوص التي توجز عقيدته السلفية، من مثل قوله في "صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة" أنه:

من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله - وأقر بجميع ما جاءت به الأنبياء والرسل، وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه، ولم يشك في إيمانه، ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله، وفوض أمره إلى الله، ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، الخير والشر جميعا، ورجاء لحسن أمة محمد، وتخوف على مسيئهم، ولم يتزل أحدا من أمة محمد الجنة بالإحسان، ولا النار بذنب اكتسبه، حتى يكون الله الذي يتزل خلقه حيث يشاء، وعرف حقل السلف الذين اختارهم الله بصحبة نبيه -صلى الله عليه وسلم، وقدم أبا بكر وعمر وعثمان، وعرف حق علي بن أبي طالب، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ... وترحم على جميع أصحاب محمد، صغيرهم وكبيرهم، وحدث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم، وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كل أمير، بر أو فاجر، والمسح على الخفين في السفر والحضر، والتقصير في السفر، والقرآن كلام الله وتزييله، وليس بمخلوق، والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا إلى آخر عصابة، يقاتلون الرجال، لا يضرهم جور جائر، والشراء والبيع حلال إلى يوم القيامة، على حكم الكتاب والسنة، والتكبير على الجنائز أربعا، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في فتنة، وتلزم بيتك، والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكر ونكير،

والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بأن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، وأن الموحدين يخرجون من النار، بعدما امتحنوا، كما جاءت في الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي -صلى الله عليه وسلم، ولا تضرب لها الأمثال ... " (١).

على هذا النحو صاغ ابن حنبل عقائد الحركة السلفية، ودعا إلى إسلام العرب الأولين، إسلام المجتمع العربي البسيط، إسلام النصوص والمأثورات، وبهذه العقائد، ومن خلفه الجمهور صارع المتكلمين، والكلام والفلسفة والرأي والقياس والتأويل، وصمد للمحنة الشهيرة عندما امتحن إبان تدخل الدولة في عقائد العلماء حتى يقرأوا بخلق القرآن.. الأمر الذي رفع من قدره، لا عند أنصاره فحسب، بل وفي نظر الخصوم وعند جميع المؤرخين للفكر على اختلاف المدارس والمنطلقات..

السلفية تنتعش:

كانت الحضارة العربية الإسلامية التي تبلورت من فكر الإسلام، كما صاغه المتكلمون العقلانيون، بعد مزجه بالمواريث الحضارية الملائمة لشعوب البلاد التي فتحت، والتي أخذت تتعرب، كانت هذه الحضارة مرتكزة على قسمتين رئيسيتين:

العروبة: بالمعنى الحضاري، لا العرقي.. على النحو الذي بلغته في الصراع ضد قطبي التطرف: الشعبي الرافض لكل ما هو عربي..

(١) "عقائد السلف" ص ١١، ١٢ جمعها ونشرها: د. علي سامي النشار، د. عمار الطالبي.

طبعة الإسكندرية سنة ١٩٧١م.

والعصبية التي أحيتها الدولة الأموية، والتي تغض من شأن كل ما ليس بعربي عرقياً..

والعقلانية: التي تحول بها الإسلام من موقع الدفاع أمام المؤسسات الفكرية اللاهوتية غير الإسلامية والتيارات الفكرية المعادية لعقائده.. تحول بها من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم الذي هياً له الانتشار دون إكراه... لكن هذه الحضارة، بما صاحبها من ازدهار مادي ورفاهة في العيش، قد ابتعدت بالعرب عن خشونة الجند التي عرفوا بها في عصر الفتوحات، فلم يعودوا القوة العسكرية التي تعتمد عليها الدولة في الفتح أو الحفاظ على أكبر إمبراطورية عرفها ذلك التاريخ.. وكانت للموالي، ذوي الاتجاه الشعبي، أحلام في السيطرة على الدولة، بل وتدميرها، صرفت الدولة كذلك عن أن تتخذ منهم الجند الذي يتكون منه جيشها الكبير.. ومن هنا كان سعي الخليفة العباسي المعتصم "٢١٨-٢٢٧هـ ٨٣٣-٨٤٢م" إلى تكوين جيشه من الترك المماليك!.

ولقد ظن المعتصم أنه باتخاذ الجند الغريب، حضارياً وقومياً عن المجتمع، سيحصل على أداة القمع الأسهل قياداً وانقياداً، والتي لا أمل لها في السلطة، ولا مصلحة لها في الصراعات الناشئة من حولها، وأنه بذلك سيقوم القوة الضاربة التي يحافظ بها على التوازن بين العرب والموالي وغيرهما من العناصر والأجناس المتصارعة والمتنافسة.. ولكن تضخم هذه القوة العسكرية الجديدة سرعان ما جعلها مركز ثقل وقوة جذب ومركز توجيه.. فمدينة "سامراء" التي بنيت لها معسكراً تابعاً للعاصمة بغداد تحولت من سنة ٢٢١هـ ٨٣٦م إلى عاصمة للدولة، انتقلت إليها الخلافة، وأصبحت بغداد تابعة لها!.. وهؤلاء الجند الذين أرادهم المعتصم

قوة بيد الخلافة، سرعان ما أصبحت الخلافة لعبة بيدهم، يولون من أطاع ويعزلون من عصى، بل ويسجنون ويقتلون من يتمرد على أوامر المماليك الأتراك؟!..

وبسبب من أن هذه المؤسسة الجديدة والكبيرة هي: جند وجيش.. كانت بعيدة عن الاهتمامات الحضارية.. وبسبب من غربتها عن العروبة، وتختلف قادتها بداهة عن نمط التفكير العقلي والفلسفي كانت أميل إلى "العامة"، وأمعن في عدائها للفكر الفلسفي والتيار العقلاني.. وهكذا انفتح الطريق بسيطرة الترك المماليك لذلك الانقلاب الفكري الذي حدث في الدولة العباسية عندما تولى الخلافة الخليفة المتوكل "٢٣٢-٢٤٧هـ - ٨٤٧-٨٦١م" فاستبدل السلفية بالمعتزلة، وحلت النصوص محل العقلانية والرأي والتأويل، وخرج المحدثون من محابسهم، وحل محلهم فيها علماء الكلام؟!.. وعندما أراد المتوكل ملء الفراغ الذي حدث بإقصاء المعتزلة عن جهاز الدولة استشار الإمام أحمد بن حنبل، فكتب له قائمة بالقضاة والمستشارين، وقدم قليل العلم من السلفية على علماء الكلام؛ لأن الأول سني ذو دين، أما الثاني فإنه -مع علمه- يضر الناس في الدين؟!.. وهكذا انتعشت الحركة السلفية، وساد نهجها النصوص في البحث والتفكير، فشهدت تلك الحقبة الزمنية الذبوع والانتشار لأعمال "أصحاب الحديث"، الذين هم أعلام الحركة السلفية، سواء منهم أولئك الذين تقدموا أحمد بن حنبل أو عاصروه أو أتوا من بعده.. وذلك من مثل:

- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي "١٨١هـ - ٧٩٧م".

- أبو سعيد يحيى بن فروخ التميمي القطان البصري "١٩٨هـ - ٨١٦م".
- ابن أبي شيبه أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي "٢٢٥هـ - ٨٤٠م".
- يحيى بن أبي يحيى بكير بن عبد الرحمن بن يحيى الحنظلي "٢٢٦هـ - ٨٤١م".
- أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي "٢٢٨هـ - ٨٤٣م".
- عبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي "٢٢٩هـ - ٨٤٤م".
- ابن راهويه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم "٢٣٨هـ - ٨٥٢م".
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل "٢٥٦هـ - ٨٧٠م".
- أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم البغدادي "٢٧٣هـ - ٨٨٦م".
- أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال "٢٧٣هـ - ٨٨٦م".
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني "٢٧٥هـ - ٨٨٨م".
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة "٢١٣-٢٧٦هـ - ٨٨٩م".
- أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبل الشيباني البصري "٢٧٧هـ - ٨٩٠م".
- الدارمي، عثمان بن سعيد "٢٨٠هـ - ٨٩٣م".
- أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل "٢٩٠هـ - ٩٠٣م".
- أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي "٢٩٢هـ - ٩٠٥م".
- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدي "٣٠١هـ - ٩١٣م".

- أبو العباس بن سريج "٣٠٦هـ - ٩١٨م".
 - أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال "٣١١هـ - ٩٢٣م".
 - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة "٣١١هـ - ٩٢٣م".
 - أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني العسال "٣٤٩هـ - ٩٦٠م".
 - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني "٣٦٠هـ - ٩٧١م".
 - أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان "٣٦٩هـ - ٩٧٩م".
 - عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري "٣٨٧هـ - ٩٩٧م".
 - أبو القاسم هبة الله بن الحسن الرازي اللالكائي "٤١٨هـ - ١٠٢٧م".
 - أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي الأندلسي "٤٢٩هـ - ١٠٣٨م".
 - أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الهروي "٤٣٤هـ - ١٠٤٣م".
 - أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي "٤٥٨هـ - ١٠٦٦م".
 - ابن عبد البر أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي "٤٦٣هـ - ١٠٧١م".
- فلما كانت الدولة المملوكية، وطال الأمد على سيطرة الجند الغرباء حضاريا وقوميا على مقدرات الأمة، فشت البدع والمظالم، وغالبت عقائد السلفية حتى غلبتها، فكان أن عرفت الحركة السلفية صحتها التي تمثلت في عدد من أئمتها كان من أبرزهم:

- أبو الوفاء ابن عقيل "٤٣١-٥١٣هـ - ١٠٤٠-١١١٩م".

- شيخ الإسلام ابن تيمية "٦٦١-٧٢٨هـ - ١٢٦٣-١٣٢٨م".

- وابن القيم الجوزية "٦٩١-٧٥١هـ - ١٢٩٢-١٣٥٠م".

ولقد واصلت الحركة السلفية، في صحتها هذه، السير على منوال العقائد التي صاغها ابن حنبل ومعاصروه، ونهجت النهج النصوصي الذي بلوروه، مع إضافات عديدة طرحتها مواجعتهم لما استجد من بدع وخرافات، ومع مرونة ملحوظة في الموقف من القياس والتأويل، فرضتها التعقيدات التي طرأت على المجتمعات التي عاشوا فيها والأبنية الفكرية التي تصارعت في هذه المجتمعات..

لكن هذه الصحوة السلفية لم تنجح فيما نجح فيه أحمد بن حنبل.. فلم تصبح مذهباً للدولة، وإنما ظلت حركة معارضة يلقي أعلامها السجن والعنت والاضطهاد...

فلما ورثت الدولة العثمانية دولة المماليك، وواصلت -على الجبهة الفكرية- جمودهم وما شاع في ظل سلطتهم من بدع وخرافات، الأمر الذي فتح في جدار الشرق الإسلامي العديد من الثغرات التي بدأ الغرب الاستعماري يسعى كي يتسلل من خلالها.. لما حدث ذلك، وأصبح الإسلام غريباً، مرة أخرى، كما كان في البدء، اتخذت حركة اليقظة والتجديد في عصر أمتنا الحديث سبيل الحركة السلفية تدفع بعقائدها البدع والخرافات عن فكر الإسلام، ساعية إلى إعادة قيادة الإسلام إلى العرب، بعد أن تأكد عجز الأتراك العثمانيين عن القيادة أمام الخطر الاستعماري الزاحف على بلاد الإسلام.. وهكذا عرفت الأمة أعلام الحركة السلفية الحديثة:

- محمد بن عبد الوهاب "١١١٥-١٢٠٦هـ ١٧٠٠-١٧٩٢م".
- ومحمد بن علي السنوسي "١٢٠٢-١٢٧٦هـ ١٧٨٧-١٨٥٩م".

- ومحمد أحمد المهدي "١٢٦٠-١٣٠٢هـ ١٨٤٤-١٨٨٥م".
- وجمال الدين الأفغاني "١٢٥٤-١٣١٤هـ ١٨٣٨-١٨٩٧م".
- والإمام محمد عبده "١٢٦٦-١٣٢٣هـ ١٨٤٩-١٩٠٥م".
- وعبد الرحمن الكواكبي "١٢٧٠-١٣٢٠هـ ١٨٥٤-١٩٠٢م".
- والشيخ محمد رشيد رضا "١٢٨٢-١٣٥٤هـ ١٨٦٥-١٩٣٥م".
- وجمال الدين القاسمي "١٢٨٣-١٣٣٢هـ ١٨٦٦-١٩١٤م".
- وعبد الحميد بن باديس "١٣٠٧-١٣٥٩هـ ١٨٨٩-١٩٤٠م".
وإذا كانت تلك هي مسيرة الحركة السلفية، وهؤلاء هم أبرز أعلامها، منذ أن تبلورت في العصر العباسي حتى عصرنا الحديث، فالأمر المؤكد أن هذه الحركة قد تميزت باتساق المنهج ووحدة الأصول الاعتقادية والفكرية في عصرها الأول، الذي تبلورت فيه، وفي عصرها الوسيط، الذي قادها فيه ابن تيمية وابن القيم، وإن يكن هؤلاء الأعلام قد اختلفوا في عدد من مسائل الفروع، وبمعنى أدق فهم قد اتفقوا في "الإلهيات"، واختلف بعضهم عن البعض الآخر في "الفقهيات".. وهم لم يجدوا في ذلك بأسا يخرجهم عن إطار الحركة الفكرية الواحدة، وكما يقول ابن القيم: "فإن أهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان.. وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل

كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، ولم يسوموها تأويلاً.. ولا ضربوا لها أمثالا.. (١).

وهذا الاتفاق في الأصول الفكرية، وفي "المنهج النصوصي" قد اتسع لإضافات أفاض فيها أعلام سلفية العصر الوسيط استجابة لمشكلات العصر الذي عاشوا فيه.. فما طرأ على عقيدة التوحيد من بدع وخرافات وإضافات طمست نقاءها الذي تميز به الإسلام، وشابته بشوائب الشرك، خفيا كان أو جلياً، جعل ابن تيمية يولي هذه القضية اهتماماً كبيراً، حتى لقد رأى أن جماع الدين أمران: رفض الشرك، ورفض البدع التي طرأت على الدين.. وبعبارة "فإن جماع الدين أصلاً: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبد إلا بما شرع، لا نعبد بالبدع.. (٢).

وكذلك صنعت سلفية العصر الوسيط عندما واجهت مقولات متفلسفة الصوفية، من أصحاب وحدة الوجود، وهي قضية لم يكن فكرها قد طرح بالساحة الإسلامية بعد يوم أن تبلورت الحركة السلفية في عهد الطلائع والرواد.. (٣)

وإذا كان هذا هو حال سلفية العصر الوسيط مع سلفية العصر الأول: اتفاق في الأصول "الإلهيات"، واتحاد في "المنهج النصوصي" مع مرونة

(١) أعلام الموقعين. ١ / ٤٩.

(٢) ابن تيمية "العبودية" رسالة منشورة ضمن "مجموعة التوحيد" ص ٦٤٥. طبعة دار الفكر - بيروت - مصورة عن طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

(٣) انظر المصدر السابق "رسالة العبودية" ص ٥٦٠، ٥٦١ - ورسالة "الواسطة بين الحق والخلق" ص ١٤٨.

نسبية في استخدام القياس، مع اختلافات في الفروع "الفقيهات" .. فإن هذا الحال قد اختلف مع سلفية العصر الحديث، التي تميزت في إطارها مدارس وتيارات، حافظ بعضها على "المنهج النصوصي" لسلفية القدماء، على حين رفع بعضها سلطان العقل وبراهينه على سلطان ظواهر النصوص، ولم يعد إسلامها هو إسلام المجتمعات البدوية، بل الإسلام الذي أرادت به بعث خير ما في الحضارة العربية الإسلامية العقلانية من قسّمات، كما أرادت أن تقاوم به وبحضارته وعقلانيته ذلك الزحف الحضاري الذي أرادت به أوروبا الاستعمارية سحق الشخصية العربية المسلمة قوميا وحضاريا..

المنهج النصوصي:

يقول ابن القيم عن الإمام أحمد بن حنبل: إنه "إمام أهل السنة على الإطلاق.. وأن أئمة الحديث والسنة، بعده، هم أتباعه إلى يوم القيامة".^(١) ولقد صاغ ابن حنبل منهج السلفية النصوصي، الذي يأخذ الإسلام، أصولا وفروعا، من النصوص والمأثورات، وذلك في مواجهة منهج متكلمي المعتزلة الذين كان للعقل والتأويل شأن عظيم في المنهج الذي أخذوا بواسطته الإسلام.. ولقد بلغ من أتباع ابن حنبل للنصوص والمأثورات، ولها وحدها، إلى الحد الذي جعله لا يرجح، بالرأي أو العقل أو القياس، ماثورة على أخرى عندما تتعدد وتتضارب وتتعارض المآثورات في الأمر الواحد والقضية الواحدة، فكان يفتي بالحكمين المختلفين؛ لأن لديه مآثورتين مختلفتين في الموضوع!..

(١) أعلام الموقعين. ١ / ٢٨.

وبعبارة ابن القيم: "فإن الصحابة إذا اختلفوا على قولين جاء عن ابن حنبل في المسألة روايتان!.." (١).

أما أركان هذا المنهج النصوصي وأصوله، كما صاغها إمام السلفية فهي خمسة، يذكرها ابن القيم بهذا الترتيب:

"الأصل الأول: النصوص: فإذا وجد النص أفق به، ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه، كائنا من كان ... ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف..

الأصل الثاني: ما أفق به الصحابة: فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى، لا يعرف له مخالف منهم فيها، لم يعدها إلى غيرها ... ولم يقدم عليها عملاً ولا رأياً ولا قياساً..

الأصل الثالث: إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول..

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه: وهو الذي رجحه "الحديث الضعيف" (٢) على القياس ...

(١) المصدر السابق. ٢٩/ ١.

(٢) الحديث الضعيف -عند ابن حنبل- كما يقول ابن القيم -هو المقابل للصحيح، وقسم من أقسام الحديث الحسن، فهو ليس بالضعيف بالمعنى الذي تعارف عليه المتأخرون من علماء الحديث.

الأصل الخامس: القياس للضرورة: فإذا لم يكن عنده في المسألة نص، ولا قول الصحابة، أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف، عدل إلى القياس، فاستعمله للضرورة ...".

هذه هي الأصول الخمسة لمنهج ابن حنبل، وهي تدور وتعتمد أولاً وقبل كل شيء آخر، بل وأخيراً على النصوص والمأثورات، وتقف عند هذه النصوص والمأثورات، وتنكر استخدام الرأي أو القياس، فضلاً عن العقلانية والتأويل، حتى في ترجيح نص على آخر من هذه النصوص.. لقد كان ابن حنبل يسمي "النص": "الإمام"!!..

وكما يقول ابن القيم، معقبا على أصول منهجه: فإنه "كان شديد الكراهة والمنع للإفتاء بمسألة ليس فيها أثر عن السلف، ولقد قال لبعض أصحابه: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام!.." (١)

ويروي عنه ابنه عبد الله فيقول: "سمعت أبي يقول: الحديث الضعيف أحب إلي من الرأي".. وعندما سأله ابنه عبد الله "عن الرجل يكون يبلى لا يجد فيه إلا صاحب حديث، لا يعرف صحيحه من سيقمه، وأصحاب رأي.. فمن يستفتي ويسأل؟ قال: يسأل أصحاب الحديث ولا يسأل أصحاب الرأي، ضعيف الحديث أقوى من الرأي.." (٢).

وانطلاقاً من هذا "المنهج النصوصي"، الذي لا يلتفت لغير المأثورات، رأت السلفية أن علماء أمة محمد -صلى الله عليه وسلم، منحصرين في النصوصيين، فهم قسمان:

(١) أعلام الموقعين. ١ / ٢٩-٣٣.

(٢) المصدر السابق. ١ / ٧٦، ٧٧.

حفاظ الحديث، والفقهاء (١).. ورأت كذلك أن النصوص والمأثورات قد حوت كل شيء من أمور الدين والدنيا، وأن "الرسول قد بين كل شيء، وأنه قد توفي وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علما، وعلمهم كل شيء... " (٢).

والنصوص التي جعلها المنهج السلفي مصدرا وحيدا قد شملت إلى جانب الكتاب والسنة أقوال صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فهم "الذين حازوا قصبا في السباق، واستولوا على الأمد، فلا طمع لأحد من الأئمة بعدهم في اللحاق.. فأى خصلة خير لم يسبقوا إليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟.. لقد أيدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالا (٣).. وكانت أفهامهم فوق أفهام جميع الأمة، وعلمهم بمقاصد نبينهم -صلى الله عليه وسلم، وقواعد دينه وشرعه أتم من علم كل من جاء بعدهم... " (٤).

وبسبب من القداسة التي أضفاها المنهج السلفي على النصوص امتدت هذه القداسة للعصر الذي قيلت فيه تلك النصوص، وشاع في الحركة السلفية تعظيم الماضي، وزاد ذلك التعظيم كلما ازداد هذا الماضي إيغالا في القدم واقتربا من عصر صحابة الرسول، عليه الصلاة والسلام...

(١) المصدر السابق. ١ / ٨، ٩.

(٢) المصدر السابق ٤ / ٣٧٥.

(٣) المصدر السابق ١ / ٥، ٦.

(٤) ابن القيم "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية" ص ١٧٨. تحقيق: د. محمد جميل غازي.

طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.

فكان أن قرروا "أن فتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها من فتاوى التابعين، وفتاوى التابعين أولى من فتاوى تابعي التابعين، وهلم جرا. وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب ... فإن التفاوت بين علوم المتقدمين والمتأخرين كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والدين.." (١).

هكذا.. وعلى هذا النحو أضفت الحركة السلفية القداسة على النصوص والمأثورات، ووقف منهجها النصوصي عند هذه النصوص والمأثورات.. بل لقد وقف عند ظواهرها، عندما رفض أن يعمل فيها الرأي أو الاجتهاد أو التأويل أو القياس، حتى عندما كانت تتعارض وتتناقض نصوص هذه المأثورات ومضامينها!.

ولقد روى أعلام الحركة السلفية عن إمامهم أحمد بن حنبل الكثير الذي يدعم المنهج النصوصي ويزكيه، ورووا عنه، كذلك، شعراً يقول فيه:

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ آثَارُ نَعَمَ	الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الْأَخْبَارُ
لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ	فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ
فَلَرُبَّمَا غَلَطَ الْفَتَى سُبُلَ الْهُدَى	وَالشَّمْسُ بَارِغَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

ورروا عن بعض أعلامهم أيضاً:

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ	قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ
مَا الْعِلْمُ نَصَبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً	بَيْنَ النُّصُوصِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ
كَلَّا وَلَا رَدُّ النُّصُوصِ تَعَمُّدًا	حَذَرًا مِنَ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ

حَاشَا النُّصُوصِ مِنَ الَّذِي رُمِيَ بِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْوِيهِ. (١)
النص لا الرأي:

في أمور الدين - لا الدنيا - يكاد يتفق علماء الإسلام على أنه لا مجال
"للرأي" أو الاجتهاد إذا ما وجدت النصوص، لكن من عدا السلفية
يشترطون في هذه النصوص، وحتى يمتنع بوجودها الرأي والاجتهاد،
يشترطون فيها أن تكون "قطعية الدلالة وقطعية الثبوت"، بمعنى أن تكون
دلائلها واضحة وقاطعة، لا تقبل الاحتمالات، وأن يكون ثبوتها قطعياً،
من حيث الرواية، والأكثر من يشترطون في النصوص الدالة على أمور
اعتقادية أن تكون "متواترة"، ولا يقبلون الإلزام في هذا الباب بأحاديث
الآحاد.. أما إذا لم تكن النصوص "قطعية الدلالة، قطعية الثبوت" فإنهم -
غير السلفية - لا يرون وجودها مانعاً من إعمال الرأي فيها أو الاجتهاد
معه.. فالاجتهاد مع النصوص، في هذه الحالات، أمر وارد، بل ومقرر
عند غير السلفيين من العلماء..

أما علماء السلفية فإنهم يرون في وجود النصوص والمأثورات مانعاً من
أعمال الرأي فيها، وذلك بصرف النظر عن قطعية دلائلها وقطعية ثبوتها..
ولقد سبق ورأينا إفتاء أحمد بن حنبل بوجوب التزام الحديث الضعيف،
والامتناع عن "الرأي" عند وجوده، وإفتاءه بالحكمين المختلفين في الأمر
الواحد عند وجود نصين متعارضين فيه، ذلك دون إعمال "الرأي" في
الموازنة بينهما والترجيح لأحدهما على الآخر!..

والروايات في هذا الباب عن إمام السلفية كثيرة، فمحمد بن أحمد بن واصل المقرئ يقول: "سمعت أحمد بن حنبل -وقد سئل عن الرأي- فرفع صوته، وقال: لا يثبت شيء من الرأي، عليكم بالقرآن والحديث والآثار". (١).

أما عندما لا يوجد نص أصلا في الأمر يعرض للإنسان، وبعد أن يعرض الأمر على الكتاب، ثم السنة، ثم مآثورات الصحابة وأقضيتهم فلا يجد فيها نصا، فإن الأخذ "بالرأي" هنا يجوز، يتفق في ذلك السلفيون مع غيرهم من العلماء.. لكن علماء السلفية يعودون فيتقربون بهذا "الرأي" من "النصوص والمآثورات"، وذلك عندما يقدمون مرتبة "الرأي" "المروي" عن الذين شاهدوا التزليل، أي: "رأي الصحابة"، ثم "الرأي المفسر للنصوص"، ثم "الرأي الذي تواطأت عليه الأمة، وتلقاه خلفهم عن سلفهم" على غيره.. ثم يعودون أيضا فيقررون أن هذا "الرأي"، في هذه الحالات، وبهذه الشروط، لا يفيد أكثر من "الظن"؛، وأنه غير ملزم للآخرين، بل ومذموم!.. وبعبارة ابن القيم: فإن "الصحابة يخرجون الرأي علن العلم، ويذمونهم، ويحذرون منه، وينهون عن الفتيا به، ومن اضطر منهم إليه أخبر أنه ظن، وأنه ليس على ثقة منه ومن الشيطان، وأن الله ورسوله بريء منه، وأن غايته أن يسوغ الأخذ به عند الضرورة، من غير لزوم لأتباعه والعمل به ... " (٢).

(١) الطرق الحكمية ص ٤٠٠

(٢) أعلام الموقعين. ١ / ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٦٠، ٦١.

ذلك موقفهم من "الرأي" .. جاء متسقا مع منهجهم النصوصي، الذي ينحي العقل جانبا طالما وجدت النصوص والمأثورات.
النص لا القياس:

وفي الموقف من "القياس" نجد السلفية يقبلون جوانب يعدها غيرهم من القياس، لكنهم هم يخرجونها من إطاره.. كما نجدهم يحددون للمقبول منه شروطا تضيق منه نطاقه إلى حد كبير.. ثم هم ينظرون إليه نظرهم إلى "الرأي" في حضرة النصوص!..

فإذا كان المراد بالقياس: "رد الشيء إلى نظيره" قبلوه، شريطة أن يكون التماثل بينهما تاما ومن كل الوجوه.. وبعبارة الإمام أحمد:
فإن "القياس: أن يقاس الشيء على الشيء إذا كان مثله في كل أحواله، فأما إذا أشبهه في حال وخالفه في حال فأردت أن تقيس عليه فهذا خطأ.." كما يقبلون رد الفروع إلى أصولها، وإن لم يعدوها -على خلاف الآخرين- قولاً بالرأي^(١).. أما إذا أريد بالقياس: "المعنى المستنبط من النص لتعديده الحكم من المنصوص عليه إلى غيره" فإنه عندهم غير مقبول.. وهذا الذي لم يقبلوه من أنواع القياس هو الميدان الأوسع والأساس للقياس عند غير السلفيين من العلماء!..

وهذا الموقف الذي وقفه السلفيون من القياس هو الآخر أثر من آثار منهجهم النصوصي.. فهم تبعوا لهذا المنهج قد رأوا أن النصوص والمأثورات قد أحاطت بحكم جميع الحوادث، الماضي منها والحاضر والمستقبل، ومن ثم فلا حاجة للقياس، كما أنه لا حاجة للرأي؛ لأن النص إذا وجد -وهو

(١) المصدر السابق. ١ / ٢٦٩، ٥٣.

في رأيهم موجود- فلا مكان للقياس.. ولقد عرض ابن القيم لموقف الفرق الإسلامية من إحاطة النصوص بحكم جميع الحوادث، وتحدث عن انقسام هذه الفرق في هذه القضية إلى معسكرات ثلاثة، أنكر أولها إحاطة النصوص بأحكام الحوادث، بل ولا بعشر معشارها.. ومن ثم قرر أن الحاجة إلى القياس تفوق الحاجة إلى النصوص.. وقابل هذا المعسكر القائلون ببطلان كل قياس، وتحريمه جلياً كان هذا القياس أو خفياً.. وهم ذلك أنكروا وجود الحكمة أو العلة في التشريع.. أما المعسكر الثالث - وهم الأشعرية- فقد نفوا الحكمة والعلة والسببية، ومع ذلك أقروا بالقياس..

وبعد أن يعرض ابن القيم لآراء هذه الفرق الثلاث في القياس، يقرر أن للسلفية موقفاً متميزاً.. فهم يؤمنون بإحاطة النصوص بأحكام جميع الحوادث، ومع ذلك يقولون بالقياس "الصحيح"!.. وحتى يفهم جمعه بين هذين الأمرين، نقول: إنه يجيز استعمال القياس "الصحيح"، أي: الذي يكون الشبه فيه تاماً بين المقيس والمقيس عليه، عندما تخفى دلالة النص على العالم.. فالنص موجود، لكن خفاء دلالته يبيح للعالم القياس، فإذا فهم النص واتضحت موافقة القياس له كان صحيحاً؛ لأن العمدة هنا هو النص، وإن ظهر خلاف القياس مع النص كان فاسداً؛ لأن العمدة هو النص باستمرار.. وعبارته التي صاغ فيها مذهب السلفية هذا تقول: "... والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث، وهو: أن النصوص محيطية بأحكام الحوادث، ولم يحلنا الله ولا رسوله على رأي ولا قياس، بل قد بين الأحكام كلها، والنصوص كافية وافية بها، والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص، فهما دليلان للكتاب والميزان، وقد تخفى دلالة النص أو

لا تبلغ العالم فيعدل إلى القياس، ثم قد يظهر موافقا للنص فيكون قياسا صحيحا، وقد يظهر مخالفا له فيكون فاسدا، وفي نفس الأمر لا بد من موافقته أو مخالفته، ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أو مخالفته ... إننا نقول قولاً ندين الله به، ونحمد الله على توفيقنا له، ونسأله الثبات عليه: إن الشريعة لم تحوجنا إلى قياس قط، وإن فيها غنية عن كل رأي وقياس وسياسة واستحسان، ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتاه الله عبده فيها" .. بل لقد عقد في كتابه "أعلام الموقعين" فصولاً ثلاثة، اعتبرها "من أهم فصول الكتاب"، وجعل عناوينها:

- "الفصل الأول: في بيان شمول النصوص للأحكام، والاكتفاء بها عن الرأي والقياس".

- "الفصل الثاني: في سقوط الرأي والاجتهاد والقياس، وبطلانها مع وجود النص".

- "الفصل الثالث: في بيان أن أحكام الشرع كلها على وفق القياس الصحيح، وليس فيما جاء به الرسول حكم يخالف الميزان والقياس الصحيح" .. (١) هذا هو موقف المنهج النصوي للسلفية من القياس.

(١) المصدر السابق. ١ / ٣٣٣-٣٣٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٥٠.

النص.. لا التأويل.. ولا الذوق.. ولا العقل.. ولا السببية:

واتساقا مع منهج السلفية النصوصي رفضوا "التأويل" -الذي هو: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله (١)-. بل ذهبوا إلى أن التأويل هو الذي أفسد سائر الأديان، وحولها عن الاستقامة والسداد (٢). وكذلك رفضوا "ذوق" الصوفية و"وجدهم"، لأنها أمور ذاتية تختلف باختلاف أهواء أصحابها وما يحبه ويهواه، واستنكروا تقسيم الصوفية الأمور إلى "شريعة" لغيرهم، و"حقيقة" لهم، جعلوا سبيلها الرياضة والسلوك، غير المقيد بأمر الشارع ونهيه، اكتفاء "بالذوق والوجد" .. لأن النصوص هي مصدر الأمر والنهي الإلهيين (٣) ..

كما رفضوا ما يسميه المتكلمون "حقائق عقلية" لم تشهد عليها السمعيات .. وعرضوا وهم يناقشون هذه القضية للموقف من العقل، فلم ينكروه؛ لأن السمعيات قد تحدثت عنه {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [تبارك: ١٠]، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الرعد: ٤]، {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الحج: ٤٦] .. ولكنهم أنكروا "العقل" كما تصوره الفلاسفة اليونان، ومن هنا نحوهم من علماء الإسلام وفلاسفته، وهو التصور الذي يجعل "العقل عندهم جوهرًا قائمًا بنفسه"،

(١) انظر "التعريفات" للشريف الجرجاني. طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٢) أعلام الموقعين. ٤ / ٢٥٠.

(٣) ابن تيمية "رسالة العبودية" ص ٥٦٧، ٥٦٨ - ضمن "مجموعة التوحيد".

وقالوا: إن "العقل" لا يعدو: "الغريزة التي جعلها الله في الإنسان يعقل بها".

وهذا الخلاف حول "العقل".. هل هو جوهر قائم بنفسه، أم مجرد "غريزة جعلها الله في الإنسان" ليس خلافا شكليا ولا هينا، ذلك أن القول بأنه جوهر قائم بنفسه يجعله أداة تدرك كنه الأشياء وإن لم ترد فيها نصوص ولا ماثورات، أما إذا كان مجرد غريزة جعلها الله في الإنسان يعقل بها فإن هذا التصور له يوحى بعدم استقلاله بالإدراك، كسبب أول لهذا الإدراك.. ويزكي هذا التفسير أن السلفية يحكمون بالضعف أو الوضع على "كل ما ورد في فضل العقل من الأحاديث!" (١).. فنحن هناء بإزاء موقف يغض من شأن العقل لحساب النصوص والسمعيات.. وهذا الموقف الذي تتخذه السلفية من العقل لا يوافقهم عليه الكثيرون من فرق الإسلام وعلمائه، هؤلاء العلماء الذين لم يمنعهم الخلاف حول تقديرهم لسلطان العقل بإزاء السميّيات، ولا اختلافهم في تعريف العقل من ترجيح تعريفه القائل: "إنه جوهر مجرد، يدرك الغائبات بالوسائط والحسوسات بالمشاهدة.." (٢).

أما السببية.. فإن السلفية تتخذ منها موقفا وسطا -أو يبدو كذلك- ففي رأي ابن القيم أن الناس قد افرقوا بإزاء الأسباب والسببية إلى طرق ثلاث: فقوم أنكروا السببية على الإطلاق، وقالوا إن الله سبحانه هو

(١) ابن تيمية: "العبودية" ص ٥٦٨ و"الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" ص ٧٧٦، ٧٣٧ ضمن "مجموعة التوحيد".

(٢) "التعريفات" للجرجاني.

السبب الأوحد لوجود المسببات..وقوم أثبتوا السببية، وقالوا بلزوم المسببات عن أسبابها لزوم المعلول عن العلة، دائما وأبدا، دون تخلف، وهؤلاء هم "الطبايعية والمنجمون والدهرية" ... والفريق الثالث، وهم السلفية، اعترفوا بالأسباب، وبفعلها في المسببات، لكن ليس على وجه الاستقلال بالفعل؛ لأن السبب عندهم يظل دائما وأبدا محتاجا، كي يفعل المسبب إلى سبب آخر، والسبب الذي يفعل دون حاجة إلى سبب غيره هو الله سبحانه (١) ... "فما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله.. والله وإن كان قد خلق ما خلقه لأسباب، فهو خالق السبب والمقدر له، والسبب مفتقر إليه كافتقار المسبب، وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل خير ولا دفع ضرر، بل كل ما هو سبب فهو محتاج إلى سبب آخر يعاونه، وإلى ما يدفع عنه الضرر الذي يعارضه ويمانعه، وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه.."(٢).

ومن يمعن النظر في هذا الموقف، الذي حسبه السلفية طريقا ثالثا، بين منكري السببية بإطلاق ومثبتيها بإطلاق، يجده شديد الشبه بموقف الذين ينكرونها؛ لأن الأسباب إذا لم تستقل بالفعل لم تكن فاعلة على التحقيق، ومن ثم لم تكن أسبابا للمسببات، والقول بأنها مستقلة بالفعل لا يتعارض مع أنها كغيرها مخلوقة لله، فمثلها كمثل القوانين والسنن في الكون، برأها

(١) أعلام الموقعين. ٢/٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) ابن تيمية "الواسطة بين الحق والخلق" ص ١٤٨، ١٤٩. و"العبودية" ص ٦٠٥، ٦٠٦ ضمن "مجموعة التوحيد".

الله لتفعل هي أفعالها دون تبديل.. لكنه المنهج النصوصي الذي اختارته السلفية، واتسقت مع معطياته وهي تنظر في مختلف المجالات..

النصوص وحدها مصدر الحلال والحرام:

ومن إيجابيات المنهج النصوصي للحركة السلفية تضيق دائرة "الحرام والحلال"، بقصرها على الأمور الدينية التي وردت فيها النصوص والمأثورات، وذلك على عكس الذين توسعوا في هذا الباب، متخذين الرأي والقياس، بل والشهوات، وسيلة لإخراج الناس والتضييق عليهم، عندما مدوا نطاق "الحل والحرمة" إلى ما وراء أمور الدين التي نص الشارع على حلها أو حرقها.. والسلفيون يميزون هنا بين حكم البشر وبين حكم الله ورسوله.. فحكم الله ورسوله، القائم في النصوص، هو الذي يندرج تحت "الحل والحرمة والوجوب والكراهة الدينية"، أما ما عدا ذلك من أحكام البشر في الأمور التي لم يرد فيها نص فإنها تدخل في باب النافع أو الضار، وما ينبغي وما لا ينبغي، وما يحسن وما لا يحسن.. ومن أدخلها في نطاق الحلال والحرام فقد ادعى لنفسه سلطان الله!.. وفي نص واضح وحاسم وشامل يقول ابن القيم: إنه "لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحل كذا أو حرمه أو أوجبه أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه كذلك مما نص الله ورسوله على إباحته أو تحريمه أو إيجابه أو كراهته، أما ما وجدته في كتابه الذي تلقاه عن قلدته دينه فليس له أن يشهد على الله ورسوله به، ويغير الناس بذلك، ولا علم له بحكم الله ورسوله. قال غير واحد من السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا، أو حرم الله كذا، فيقول الله له: كذبت لم أحل كذا، ولم أحرمه.

وثبت في صحيح مسلم^(١) من حديث بريدة بن الحصيب أن رسول الله قال: " وَإِذَا حَاصِرَتْ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوا أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تُنْزِلُهُمْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لَا " ... فتأمل كيف فرق بين حكم الله وحكم الأمير المجتهد، ونهى أن يسمى حكم المجتهدين حكم الله.. ومن هذا لما كتب الكاتب بين يدي عمر بن الخطاب حكما حكم به فقال: هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر، فقال: لا تقل هكذا، ولكن قل: هذا ما أرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحدا اقتدى به يقول في شيء: هذا حلال، وهذا حرام، وما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون: نكره كذا، ونرى هذا حسنا، فينبغي هذا، ولا نرى هذا.. ولا يقولون حلال ولا حرام، أما سمعت قول الله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} [يونس: ٥٩] الحلال: ما أحله الله ورسوله، والحرام: ما حرمه الله ورسوله..

وسمعت شيخ الإسلام^(٢) يقول: حضرت مجلسا فيه القضاة وغيرهم، فجرت حكومة حكم فيها أحدهم بقول زفر^(٣)، فقلت له: ما هذه الحكومة؟ فقال: هذا حكم الله، فقلت له: صار قول زفر هو حكم الله

(١) (١٧٣١) (٣)

(٢) أي: ابن تيمية شيخ ابن القيم.

(٣) زفر بن الهذيل "١١٠-١٥٨هـ - ٧٢٨-٧٧٥م" فقيه كبير، من أصحاب أبي حنيفة.

الذي حكم به وألزم به الأمة؟! قل: هذا حكم زفر، ولا تقل: هذا حكم الله.. " (١).

ولابن تيمية نص آخر يعلل فيه هذا الموقف السلفي، النابع من منهجهم النصوصي، يقول فيه: "... والأصل في هذا أنه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها إلا ما دل الكتاب والسنة على تحريمه، كما لا يشرع لهم من العبادات التي يتقربون بها إلى الله إلا ما دل الكتاب والسنة على شرعه، إذ الدين ما شرعه الله، والحرام ما حرمه الله، بخلاف الذين ذمهم الله حيث حرموا من دون الله ما لم يحرمه الله، وأشركوا به ما لم يتزل به سلطانا، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله.. " (٢).

ونحن إذا قارنا هذا الموقف السلفي، الذي يميز بين حكم الله وحكم المجتهدين من الناس، بموقف أولئك الذين يجعلون فتاواهم، فيما لا نص فيه، قسما من أقسام الحلال والحرام، أي: دينا وشرعا، وجدنا الموقف السلفي يرفع الكثير من الحرج عن الناس عندما يترك ما لم يرد فيه نص بعيدا عن ميدان الحل والحرمة، على حين يضيق الآخرون على الناس بإدخالهم جميع أنواع المعاملات الإنسانية في إطار الحلال أو الحرام!..

(١) أعلام الموقعين. ٤ / ١٧٥، ١٧٦. ١ / ٣٩.

(٢) "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية" ص ١٨٠. طبعة القاهرة سنة ١٩٧١م.

تناقض:

لكننا إذا تتبعنا مدى التزام أعلام الحركة السلفية بمنهجهم النصوصي هذا، لم نعدم رؤية شيء من التناقض وقعوا فيه، وابتعدت آراؤهم في مواضعه عن الاتساق مع منهجهم النصوصي.. ذلك أن من آراء الحركة السلفية الجيدة والمتقدمة رأيها في "تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد" وهم يصفون هذا المبدأ بأنه "عظيم النفع جدا"، كما أنهم قد أسسوه على أن "الشرعية مبنية على مصالح العباد في المعاش والمعاد.. فمبناها وأساسها على الحكم، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها.." (١).

وهم كذلك يؤسسون العلم الضروري للحاكم -القاضي- على نوعين من الفقه: فقه الواقع الذي يعيشه الناس.. وفقه النصوص الواردة في المشكلات التي يرفعها إليه المتحاكمون.. ويجعلون القضاء: مطابقة الواجب من النصوص على أحكام العرف والواقع والحوادث.. بل ويرون أن معرفة الواقع والتفقه فيه هو المنطلق إلى معرفة حكم الله ورسوله في هذا الواقع "فهنا نوعان من الفقه، لا بد للحاكم منهما: فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس ... ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعطي الواقع حكمه من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالفا للواقع (٢).

(١) أعلام الموقعين. ٣/ ٣.

(٢) الطرق الحكمية ص ٥، ١٣٠

فالمفتي والحاكم -القاضي- والعالم: من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله ... " (١).

ولما كان هذا الواقع متغيرا متطورا كانت الفتاوى والأحكام متغيرة متطورة هي الأخرى؛ لأن تغير الواقع يستلزم تغير المصالح، وهي التي عليها مبني الشريعة الإسلامية ... ولقد ضرب أعلام السلفية العديد من الأمثلة على أمور تغيرت فيها الفتاوى والأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة واختلاف المصالح..

- فالقرآن والسنة قررا الحد على السارق ... لكن عام الرمادة جعل عمر بن الخطاب "يرى" إسقاط القطع عن السارق.

- والقرآن والسنة النبوية -القولية والعملية- جعلت الطلاق بلفظ الثلاث طلقة واحدة، وجاء الإجماع فصدق على هذه النصوص من أبي بكر وسنتين من خلافة عمر ... ثم "رأى" عمر بن الخطاب أن يغير الفتوى والحكم فجعله ثلاثا ... أي: إننا بإزاء حكم "دل عليه الكتاب والسنة والقياس والإجماع القديم، ولم يأت بعده إجماع يبطله، ولكن "رأى" أمير المؤمنين عمر أن الناس قد استهانوا بأمر الطلاق، وكثر منهم إيقاعه جملة واحدة، "فرأى" من "المصلحة" عقوبتهم بإمضائه عليهم". (٢).

(١) أعلام الموقعين. ١ / ٨٧، ٨٨.

(٢) المصدر السابق. ٣ / ١٠-١٢، ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٤١. والطرق الحكمية. ص ٢٣.

- الإمام وأمهات الأولاد: كن يبعن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم.. فهذا البيع مقرر كسنة.. فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب "منع بيع أمهات الأولاد.. وكان ذلك "رأيا" منه رآه للأمة ... " (١).

... الخ ... الخ ... الخ ... الخ ...

فنحن إذن بإزاء أحكام قررتها نصوص من القرآن والسنة معا، أو من السنة وحدها، أو من القرآن والسنة والقياس والإجماع، سواء في العهد النبوي أو عهد الخلفاء.. ثم تغير الواقع، فتغيرت المصالح، فجاء "الرأي" فغير هذه الأحكام.. هكذا حكى أعلام السلفية، من أحمد بن حنبل إلى ابن القيم.. وعلى أساس هذه الوقائع قرروا أن "الفتاوى والأحكام تتغير وتختلف بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد" ... بل لقد جعل ابن القيم من هذه العبارة عنوان فصل عقده لهذا الموضوع، ووصفه بأنه "فصل عظيم النفع جدا ... " (٢).. وهنا.. وعند هذا الموقع من التأمل والنظر، نسأل:

- ألا يتناقض هذا الذي سلم به السلفيون، بل قرروه، وعقدوا له الفصول في آثارهم الفكرية، ألا يتناقض مع منهجهم النصوصي، الذي يحرم "الرأي" عندما يوجد النص، حتى ولو كان ذلك النص حديثا ضعيفا؟!

إننا نرى التناقض واضحا وجليا ... ذلك أن القول بتطور الواقع وتغيره، وهي حقيقة ... وبتغير المصالح تبعا لتغير الواقع وتطوره، وهي

(١) الطرق الحكيمة. ص ٢٤.

(٢) أعلام الموقعين. ٣/ ٣.

حقيقة ثانية ... ثم القبول بتغير الأحكام والفتاوى "بالرأي"، بسبب هذه المتغيرات، رغم وجود النصوص والمأثورات.. إن القول بذلك إنما يهز ثبات العموم والإطلاق اللذين قررهما المنهج السلفي لسلطان النصوص والمأثورات!..

وحتى إذا سلمنا بأن هذه الأمثلة، التي غير فيها "الرأي" أحكاما تقرر من قبل بالنصوص، هي من "السياسات الجزئية"، وليست من "الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة" فإن العموم والإطلاق اللذين يضيفهما المنهج السلفي على النصوص سيهتز ثباتهما بالتأكيد.. ولعل ابن القيم قد شعر بهذا التناقض فقال: "والمقصود أن هذا وأمثاله سياسة جزئية بحسب المصلحة، تختلف باختلاف الأزمنة، فظنها من ظنها شرائع عامة لازمة للأمة إلى يوم القيامة. وهذه السياسة التي ساسوا بها الأمة، وأضعافها، هي تأويل القرآن والسنة. ولكن هل هي من الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة؟ أو من السياسات الجزئية التابعة للمصالح، فتتقيد بها زمانا ومكانا؟ ... إن أضعاف أضعاف هذه المسائل مما جرى العمل فيه على العرف والعادة.." (١) ونحن نتفق معه في أن كل ما ارتبط بالمصالح فالتغيير فيه، بواسطة "الرأي"، بل وبواسطة "التأويل كما قال هو: أمر وارد ومقرر، رغم وجود النصوص والمأثورات.. وبعد ذلك لنا أن نسأل: إذا كان هذا التغيير في الأحكام قد امتد إلى الحدود -حد السرقة، وحد الخمر- فهل هما من السياسات الجزئية؟.. وما هي إذن الشرائع الكلية؟.. وفي رأينا أن الأوفق هو النأي "بالعقائد والثوابت" عن

(١) الطرق الحكمية. ص ٢٥، ٢٦، ٣٣.

التغير تبعاً للزمان والمكان، وما عداها، مما يرتبط بالمصالح من الشرائع والسياسات، فإن "الرأي" فيه مجالاً، تبعاً للواقع والمصلحة، حتى مع وجود النصوص والمأثورات.. فكما يجب التمييز بين شرائع وسياسات ترتبط بالمصالح، وتتغير بتغيرها، وأخرى ثابتة لا تتغير، كذلك يجب التمييز بين نصوص "العقائد والثوابت" ونصوص المتغيرات!..

في الفكر السياسي:

في التراث السياسي القديم للحركة السلفية تبرز صفحات الفكر السياسي التي بقيت لنا من آثار ابن تيمية وابن القيم... وفي هذه الصفحات تنعكس التطورات والتغيرات التي طرأت على واقع المجتمع، تنعكس في اتساع مضمون مصطلح "الشرع والشرعية" عند أعلام سلفية العصر الوسيط..

ففي عصر الوحي والبعثة كان مصطلح "الشرع" يعني الكتاب والسنة، أي: الشرع المنزل، وكانت أحكام هذا الشرع قد نمت وتكاملت كاستجابة لما طرحته حياة ذلك العصر من حوادث ومشكلات... لكن الحوادث لا تتناهى، وتطور الحياة واختلاف الأماكن يطرح منها الجديد والمزيد، الأمر الذي جعل الفقهاء والعلماء والمجتهدين، ومنهم الولاة والحكام، "يشرعون" أحكاماً لما استجد ويستجد من الأحداث، فنشأ إلى جوار "الشرع المنزل": "الشرع المتأول".. وهذا "الشرع المتأول"، الشامل لاجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء وتشريعات الحكام والولاة، والذي يمكن أن نسميه "تراث الأمة القانوني والسياسي" قد أصبح مما يندرج تحت مصطلح "الشرع والشرعية" وإن لم تكن له قدسية الدين وإلزام "الشرع المنزل" لجميع المؤمنين.. فهنا نمو في "الشرعية والشرع"، ولكنه نمو

يتكون منه "بناء قانوني" ذو "طبيعة مدنية"، وليس دينية، إذا استخدمنا هذا المصطلح الحديث.. وابن تيمية وابن القيم يدافعان عن اندراج هذا "البناء القانوني - السياسي" تحت مصطلح "الشرع والشرعية"، ويقرران تجاوز مضمون هذا المصطلح لما نص عليه القرآن والحديث: فلقد "صار لفظ "الشرع" غير مطابق لمعناه الأصلي، بل لفظ "الشرع" في هذه الأزمنة ثلاثة أقسام:

الشرع المتزل والشرع المتأول والشرع المبدل.

- الشرع المتزل: وهو الكتاب والسنة، واتباعه واجب.
- والشرع المتأول: الذي هو حكم الحاكم.. أو قول أئمة الفقه ... واتباع أحدهم ليس واجبا على جميع الأمة، كما هو حال الشرع المتزل..
- والشرع المبدل: الذي هو افتراء على الشريعة وإضافة إليها ما ليس منها ... " (١).

ولقد كان بعض المعاصرين لأعلام السلفية هؤلاء يقف بهم جمودهم عند حدود المضامين التي كانت لمصطلح "الشرعية" في عصر الوحي والبعثة، فسموا "تراث الأمة القانوني" الذي نما استجابة لمحدثات الأمور وتطورات الحياة "سياسة" ورفضوا إدراجها تحت مصطلح "الشرعية"، ولقد أدى تضيقهم هذا لنطاق مضمون "الشرعية" إلى جعل الولاية والحكام يقننون لأحداث الحياة ومشكلاتها وفق أهوائهم، الأمر الذي قطع الصلة بين "السياسة" و"الشرعية"!!

(١) ابن القيم "الطرق الحكيمة" ص ١٤٥، ١٤٦. وابن تيمية "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" ص ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٤، ٧٧٥.

لكن أعلام السلفية اتخذوا لأنفسهم موقفا عبقريا بالغ العمق في هذا الموضوع، فقرروا أن مقاصد الشريعة: هي إقامة العدل، وتحقيق المصالح ودفع المضار في المجتمع، ومن ثم فإن كان ما يحقق هذه المقاصد فهو "شرع وشريعة"، أو جزء من "الشرع والشريعة"، حتى ولو لم يتزل به الوحي ولم ينطق به الرسول ... وهكذا جعلوا المعيار في "الشريعة" هو "المصلحة وتحقيق العدل"، وليس ما كان "شرعا شريعة" في عصر النبوة والتتزيل.. ويزيد من روعة هذا الموقف المتقدم أن أصحابه هم السلفيون أصحاب المنهج النصوصي، يميل أصحابه -بداهة- إلى المحافظة والجمود!.

ونحن لا نستطيع أن ندع الحديث عن هذه الصفحة من صفحات الفكر السياسي للحركة السلفية دون أن نورد واحدا من نصوص ابن القيم في هذا الموضوع، فهو يقول تحت عنوان: "اختلاف العلماء في العمل بالسياسة":

"... وجرت في ذلك مناظرة بين أبي الوفاء ابن عقيل، وبين بعض الفقهاء "من الشافعية":

فقال ابن عقيل: العمل بالسياسة هو الحزم، ولا يخلو منه إمام..

فقال الآخر: لا سياسة إلا ما وافق الشرع.

فقال ابن عقيل: السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ولا نزل به وحي، فإن أردت بقولك: "لا سياسة إلا ما وافق الشرع"، أي: لم يخالف ما نطق به الشرع، فصحيح، وإن أردت ما نطق به الشرع، فغلط وتغليط

للسحابة، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والمثل (١) ما لا يحجده عالم بالسير، ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف كان رأيا اعتمدوا فيه على مصلحة، وكذلك تحريق علي، رضي الله عنه، الزنادقة في الأخاديد، عندما قال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مَنكَرًا أَجَّحْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبَرًا (٢)
ونفي عمر بن الخطاب لنصر بن حجاج ... " من المدينة عندما خشي منه فتنة نساء المجاهدين المقاتلين!..

وبعد أن يورد ابن القيم نص حوار ابن عقيل مع الفقيه الشافعي، وهو الحوار الذي يقرر فيه ابن عقيل أن "السياسة" التي لا تخالف ما نطق به الشرع، والتي تستجيب "للمصلحة" هي شرع، اتسع لها وبها مضمون مصطلح "الشريعة".. بعد أن يورد ذلك يعقب فيقول:

"... وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك في معترك صعب، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرعوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسدوا على أنفسهم طرقا صحيحة من الطرق التي يعرف بها الحق من المبتل، وعطلوها، مع علمهم وعلم الناس بها أنها أدلة حق، ظنا منهم منافاتها لقواعد الشرع، والذي أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة حقيقة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها، فلما رأى ولاية الأمر ذلك، وأن الناس لا يستقيم أمرهم إلا بشيء زائد على ما فهمه هؤلاء من

(١) أي: التمثيل - "التشويه" - بمن توقع عليهم العقوبات.

(٢) قنبر: غلام علي بن أبي طالب.

الشرعية، فأحدثوا لهم قوانين سياسية تنتظم بها مصالح العالم، فتولد من تقصير أولئك في الشرعية وإحداث هؤلاء ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شر طويل، وفساد عريض، وتفاقم الأمر وتعذر استدراكه. وأفرط فيه طائفة أخرى، فسوغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله. وكلا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به ورسوله، فإن الله أرسل رسوله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلتها وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بين ما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط، فأى طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها، وإنما المراد غاياتها، التي هي المقاصد، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها، ولن نجد طريقا من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها. وهل يظن بالشرعية الكاملة خلاف ذلك؟.. إننا لا نقول: إن السياسة العادلة مخالفة للشرعية الكاملة، بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها، وتسميتها سياسة أمر اصطلاحى، وإلا فإذا كانت عدلا فهي من الشرع.. وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى: شرعية وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلى: شرعية، وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى: عقل، ونقل. وكل ذلك تقسيم باطل، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل، كل ذلك ينقسم إلى قسمين: صحيح، وفساد، فالصحيح قسم من أقسام الشرعية، لا قسم

لها، والباطل ضدها ومنافيهها.. ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على
كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المحاسن والمعاد، ومجيئها بغاية العدل
الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما
تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع
من فروعها، وأن من أحاط علما بمقاصدها، ووضعها موضعها، وحسن
فهمه فيها، لم يحتاج معها إلى سياسة غيرها البتة، فإن السياسة نوعان:
سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة، تخرج الحق من الظالم
الفاجر، فهي من الشريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها.. وهذا
الأصل من أهم الأصول وأنفعها ... " (١).

هكذا "قنن" أعلام السلفية تطور الفكر السياسي والقانوني، فربطوا
بين العادل منه وبين الشريعة، واضعين أنظارهم على مقاصد الشريعة،
جاعلين هذه المقاصد هي المعيار لما يقبل وما يرفض من القوانين والأحكام
التي توضع والتي وضعت لما استجد بعد عصر التزليل والبعثة من محدثات
الأمر..

وإذا كانت هذه النظرة الفكرية الثاقبة، التي طورت ونمت مضمون
"الشرع والشريعة" ليشمل "السياسة"، هي واحدة من ثمار الموقف المبدي
للسلفية من ضرورة "فقه الواقع" قبل "فقه الشرع"، حتى يمكن للولاة
والعلماء والحكام الانطلاق من "الواقع" إلى "الشرع" في محاولة للتوفيق

(١) أعلام الموقعين. ٤ / ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥. و"الطرق الحكمية" ص ١٧-١٩، ٥.

والمطابقة بينهما، التي هي في الحقيقة لب سياسة أمور الناس ... فإن هذا الاهتمام "بالواقع" قد عكس في مجالات أخرى مواقف مترددة، انعكس عليها سوء الواقع الظالم الذي عاشه أعلام سلفية العصور الوسطى في ظل مظالم دولة المماليك.

ففي آثارهم الفكرية نجد تقرير حقيقة هامة تقول: إن الولاة هم "وكلاء العباد على نفوسهم" وأنهم "معتزلة أحد الشريكين مع الآخر، ففيهم معنى الوكالة" وهذه الكلمات تقرر ما نسميه الآن: "الأمة مصدر السلطات، والحكومة نائبة عن الشعب" ... لكن نفس هذه الآثار الفكرية تتحدث عن أن "الولاة: ولاة الله على عباده!"^(١) بل وتردد المأثورة التي تقول: "إن السلطان ظل الله في الأرض!"^(٢) رغم براءة الشريعة منها لفظاً ومضموناً..

وعلى حين تقرر هذه الآثار الفكرية أن شكل الدولة وأقسام ولاياتها واختصاص ولاية هذه الولايات، هي أمور "مدنية"، يحكمها تحقيق المصلحة للأمة، ولا دخل للشرع فيها؛ لأن "عموم الولايات وخصوصها، وما يستفيدة المتولي بالولاية: يتلقى من الألفاظ والأحوال والعرف، وليس لذلك حد في الشرع..". تعود ذات الآثار الفكرية لتتحدث عن أن ولايات الدولة هي "في الأصل ولايات دينية ومناصب شرعية" .. وحتى لو كان المراد من وصفها هذا هو الحث على العدل فيها طلباً للمثوبة الأخروية "فمن عدل في ولاية من هذه الولايات، وساسها بعلم وعدل،

(١) السياسة الشرعية. ص ٢٤.

(٢) المصدر السابق. ص ١٧٥. وقال الألباني: منكر. انظر: الضعيفة (١٦٦١).

وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان، فهو من الأبرار العادلين، ومن حكم فيها بجهل وظلم، فهو من الظالمين المعتدين: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار ١٢، ١٣]... " (١) ... حتى لو كان هذا هو القصد، فلقد أسهم ذلك في إضفاء الطابع الديني على جهاز للدولة ابتعدت به مظالمه بعدا شديدا عن سلوكيات الدين!..

والموقف من الدولة، التي بلغت في الظلم مبلغا عظيما، اتسم هو الآخر بالتردد بين "الواقع الظالم الذي أصبح عادة مألوقة" وبين "مثل الشرع التي بلغت في تقديس العدل شأوا يأسر العقول والقلوب".. فأقدم أعلام سلفية العصر الوسيط على "نقد الدولة ومعارضتها"، لكنهم أحجموا عن "نزع الشرعية عن جهازها الظالم" فدعوا لطاعته، ونهوا عن الثورة ضده، وارتكبوا في سبيل ذلك تخريجات للنصوص الآمرة بالنهي عن المنكر باليد والفعل، بزعم أن تغير الواقع يدعونا أن نقف عند أدنى مراتب هذا النهي وأضعفها!.. ولم يميز بين "الواقع الجديد" المحقق "للمصلحة"، والذي لا بد من تجاوز النص القديم لأجله، وبين "الواقع الجديد" المظالم والمحقق "للمفسدة"، وهو ما لا يجوز أن نطوع النصوص كي نضفي عليه شرعية الدين وقداسته!

لقد قرر أعلام سلفية العصر الوسيط أن جماع السياسة أمران لا بد للولادة من أدائهما، وهما: "أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة".

(١) الطرق الحكمية. ص ٣٤٨.

وقرروا كذلك أن ولاية الأموال ليسوا ملاكا لما في أيديهم من أموال الأمة، بل هم نواب ووكلاء، ومن ثم فليس لهم أن يتصرفوا فيها تصرف المالكين ...

وقرروا أيضا أن طاعة ولاية الأمور مشروطة بأن لا تكون أوامرهم معصية، إذ "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (١).

لكن موقف هؤلاء الأعلام، المعادي للثورة، كطريق لإزالة الجور الذي اعترفوا بممارسة الدولة له، والمعاصر التي جأروا هم بالشكوى من شيوعها، ومارسوا النقد لها والمعارضة لأهلها.. إن هذا الموقف المعادي للثورة هو أثر من آثار تحول "الواقع الظالم" إلى "أمر معتاد" أصبح يمارس سلطانا على الفكر، حتى دعا هؤلاء الأعلام إلى تغيير الفتوى - من مشروعية الثورة إلى التحذير منها - تبعا لتغير هذا الواقع! ... ولربما كانت تجارب الأمة في الثورات الفاشلة، عبر تاريخها الطويل، وما جرته من محن وما أسالت من دماء وما عطلت من مصالح.. الخ.. الخ.. ربما كانت هذه التجارب جزءا من الخلفية التي أفرزت هذا الموقف المعادي للثورة عند أعلام سلفية العصر الوسيط.. (٢)

ويلفت النظر أن الحركة السلفية كلها تتفق في هذا الموقف المعادي للثورة! ... ففي "مقالات الإسلاميين" يقول الأشعري: إن أهل الحديث قد اتفقوا على أن "السيف - أي: استخدام القوة في التغيير - باطل، ولو قتلت الرجال وسبيت الذرية، وأن الإمام قد يكون عادلا، ويكون غير

(١) السياسة الشرعية. ص ١٥، ١٦، ٤٣.

(٢) ولعل هذا ما دفع - بما يسمى سلفية الإسكندرية - من تغير موقفهم من ثورة ٢٥ يناير.

عادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقا، وأنكروا الخروج على السلطان، ولم يروه! " (١).

والقاضي أبو يعلى الفراء "٣٨٠-٤٥٨هـ - ٩٩٠-١٠٦٦م" -وهو من أعلام السلفية- يذكر كلمات إمام السلفية أحمد بن حنبل، التي رواها عنه صاحبه عبدوس بن مالك القطان، والتي يدعو فيها إلى الاعتراف بسلطة الحاكم الذي يستبد بالسلطة، ويغلب الناس على حكومتهم، بصرف النظر عن حظه من العدل ونصيبه من شروط الإمامة كما قررها الفقهاء!.. يقول ابن حنبل: "... ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماما عليه، برّا كان أو فاجرا، فهو أمير المؤمنين" (٢).

فهو هنا لا يبيح للناس استخدام السيف لمقاومة الوالي الفاجر الذي استبد بحكومتهم، حتى ولو كان استخدامهم للسيف ردا على استخدامه له في الاستبداد بما لا يستحق من السلطة والسلطان!..

ويروي كذلك أبو يعلى عن الإمام أحمد أن تنازع عدد من المستبدين على السلطة لا يعفي الناس من ضرورة الاعتراف بأحدهم، إذ الواجب اتباع "من غلب"؟! (٣).

وابن تيمية -الذي عاش في ظل دولة "سلاطين" المماليك -رغم شجاعته في الحق، وجرأته التي أوصلته إلى السجن حتى مات فيه، يردد في

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. ٢ / ٤٥١، ٤٥٢. طبعة استانبول سنة ١٩٢٩م.

(٢) "الأحكام السلطانية" لأبي يعلى. ص ٤. طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٣) المصدر السابق. ص ٦.

آثاره الفكرية تلك المأثورة التي تبرأ منها الشريعة، والتي تقول: "إن السلطان ظل الله في الأرض"، ويجذب الطاعة للإمام الجائر؛ لأن ضررها أقل بما لا يقارن من أضرار العصيان "فستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان"^(١). كما يقول: "إن المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج -الثورة- على الأئمة وقتلهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى"^(٢).

أما ابن القيم -الذي عرفت عنه الشجاعة في الحق، والذي شارك شيخه ابن تيمية السجن والاضطهاد- فإنه يجتهد كي يعلل ويرر هذا الموقف السلفي المعادي للثورة، والذي لم تجتمع عليه فرقة إسلامية سوى فرقة السلفية، فيتحدث عن السبب في قول السلفية بعدم استخدام السيف -القوة- في إنكار المنكر الذي شاع في المجتمع الإسلامي، رغم وجود النصوص القاطعة بوجوب ذلك، في القرآن والسنة، ويقول إن هذه القضية مما تغير فيها الواقع بتغير الزمان، ومن ثم فلا بد من تغير الفتوى فيها! ... ثم يجتهد لإيراد نصوص من السنة تؤيد عداء السلفية للثورة، فيذكر حديث الصحابة الذين استأذنوا الرسول في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وكيف رد عليهم الرسول بقوله: "لَا مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ"^(٣).

(١) السياسة الشرعية. ص ١٨٥.

(٢) منهاج السنة. ٢ / ٨٧. طبعة القاهرة الأولى.

(٣) أخرجه أحمد ٢٨/٣ و ٢٩/٣

ونحن نتساءل: ألا يوحى استئذان الصحابة بقتال من يؤخر الصلاة من الأمراء، وتعليق الرسول عدم قتالهم على إقامتهم لها، أنهم إذا لم يقيموها يجوز قتالهم.. ومن باب أولى إذا أشاعوا في الأمة الظلم والجور والفساد، وهي ذنوب يتعدى ضررها ليشمل الأمة، وليست كالصلاة حقا خاصا من حقوق الله؟!.

إن ابن القيم يرى "إن الإنكار على الملوك والولاة، بالخروج عليهم، هو أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر ... ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على المنكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه ... ولهذا لم يأذن الرسول في الإنكار على الأمراء باليد، لم يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه ... " .. ولا يدع ابن القيم مجالا للشك في أن داعيه إلى هذا الموقف هو "الواقع الظالم" الذي عاش فيه، وشبح الانتكاسات التي مرت بها ثورات المسلمين ضد مظالم حكامهم على امتداد التاريخ، فهو يقول: "إن الواجب شيء والواقع شيء، والفقيه من يطبق بين الواقع والواجب، وينفذ الواجب بحسب استطاعته، لا من يلقي العداوة بين الواجب والواقع، فلكل زمان حكم، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، وإذا عم الفسوق وغلب على أهل الأرض فلو منعت إمامة الفساق وشهاداتهم وأحكامهم وفتاويهم وولاياتهم لعطلت الأحكام، وفسد نظام الخلق، وبطلت أكثر الحقوق، ... فأمام الضرورة والغلبة بالباطل ليس إلا الاضطبار، والقيام بأضعف مراتب الإنكار؟." (١)

(١) أعلام الموقعين جـ ٣ ص ٤، جـ ٤ ص ٢٢٠.

فالدعوة واضحة للصبر على المنكر، والاكتفاء "بأضعف مراتب الإنكار" وهي الإنكار بالقلب، الذي قال عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- إنه "أضعف الإيمان".

ولنا أن نتساءل: عندما يعم الفسوق، وينتشر الظلم، ويسود الجور، ويصبح الفساق هم الأئمة والحكام والولاة -بل والمفتون- في مجتمع الإسلام ... فأية حقوق ومصالح ونظم للخلق ندعوهم أن يدفعوا ثمنها للحفاظ عليها الخضوع لدولة الفساق والصبر على أوان الفسوق؟!.. وألا يكون الأوفى والأكثر اتساقاً مع روح الإسلام أن ندعو إلى رفض الجور والظلم ومقاومة الجائرين، مع اشتراط الأعداد والاستعداد كي تكون مقاومة ولاة الجور مجدية، ونجاحها قريب المنال، على نحو ما قرر المعتزلة في هذا الموضوع؟

ولنا أيضاً أن نتساءل: هل يتسق مع المنهج النصوصي للسلفية الاستناد، في رفض الثورة، إلى نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم، عن قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة، مجرد تأخير؟.. في الوقت الذي نهمل فيه حديثاً نبوياً واضحاً وحاسماً يدعو المسلمين إلى اللجوء إلى السيف والاعتصام به إذا ما واجههم الشر في المجتمع الذي يعيشون فيه؟.. لقد سأل الصحابي حذيفة بن اليمان رسول الله:

أَيَكُونُ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ، كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟
فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: السَّيْفُ. (١)

ويزيد من أهمية تساؤلنا عن سر إغفال السلفية -أصحاب المنهج النصوصي- لهذا النص، أن أئمة السلفية قد روه في مسانيدهم.. فلقد رواه أحمد بن حنبل -وهو إمام السلفية- ورواه أبو داود- وهو من أعلام السلفيين! ...

لكنه "الواقع الظالم" -كما قلنا- قد ترك بصماته على فكر هؤلاء الأعلام، منذ تبلور حركتهم وحتى صحوتها في العصر الوسيط.

لقد بدأت الحركة السلفية في العصر العباسي كتيار فكري محافظ، تحصن أعلامه بظواهر النصوص والمأثورات، عندما علا سلطان العقل، وأصبح فكر المعتزلة العقلاني أهم قسمة تميزت بها الحياة الفكرية يومئذ في الإمبراطورية العربية الإسلامية.. ذلك أن السلفية قد رأت الأخطار محدقة بصورة الإسلام الأولى، التي ناسبت مدارك الإنسان العربي في عصر البعثة، يوم كانت بساطة البيئة وفقير المجتمع يجعل النصوص والمأثورات كافية في الهداية والرشاد واليقين.. بل لقد رأت السلفية أن صورة الإسلام تلك قد أصبحت غريبة في مجتمع أخذ يتفلسف، ويقدم عقائد الإسلام على نحو ما يقدم الفلاسفة النظريات، فنشأت وتبلورت لتعيد الإسلام إلى صورته الأولى، وبساطته الأصلية، رغم ما طرأ على المجتمع من تغيرات وتطورات، ورغم ما فعلته الموارد الحضارية لشعوب البلاد المفتوحة، وما بلورته من بناء حضاري جديد جاء ثمرة لامتزاجها بفكر الإسلام.

(١) أخرجه أحمد ٣٨٦/٥ و"أبو داود" ٤٤ ٤٢

ولقد استجابت السلفية لبساطة الفكر عند العامة وفقر الفكر المركب والفلسفي عند الجمهور، وكذلك استجاب لفكرها وأعلامها العامة والجمهور.. فسارت تصارع الفلسفة وتناقض المتكلمين، معتمدة على النصوص والمأثورات.. واستمرت هكذا في عصر نشأتها الأولى، وكذلك في عصرها الوسيط ... وأيضاً من خلال حركة محمد بن عبد الوهاب في العصر الحديث ، تلك الحركة التي نهضت في شبه الجزيرة العربية، بمهمة تجديد الدين وتنقية عقائده من البدع والخرافات التي تراكمت عليه طوال عصر المماليك والعثمانيين..

وبقيت باقية من أبناء شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في مصر ، نزحوا إليها إبان غارة إبراهيم ابن محمد علي والي مصر حينئذ ، كان لهم فضل السبق في نشر الدعوة السلفية ، ووضع بذورها في مصر ، نذكر منهم :

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

(١٢٧٤هـ) (١)

هو الشيخ العالم الورع الجليل عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. ولد بمدينة الدرعية سنة ألف ومائتين وتسعة عشرة "١٢١٩" هـ وقرأ القرآن ومبادئ العلوم بها ثم نُقل مع والده الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إلى مصر بعد سقوط الدرعية آخر سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين "١٢٣٣" هـ ودرس بالجامع الأزهر ولما تخرج تولى مشيخة رواق الحنابلة في الأزهر ودرس عليه أناس كثيرون.

قال عنه الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر الحنبلي في كتاب عنوان المجد مصورة لندن بالحرف الواحد ما نصه:

"وأما عبد الرحمن فانه جلي مع أبيه إلى مصر في أول طلبه العلم وهو قريب البلوغ قبل أن يتم له الطلب وذكر لنا أنه اليوم في رواق الحنابلة يدرس في الجامع الأزهر و أن له معرفة ودراية عظيمة". وذكره الشيخ عبد الرزاق البيطار فقال عنه ما نصه:

"الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي العالم المشهور والهامام الذي فضله مأثور ولد في بلاد نجد. ثم إن محمد علي باشا وزير مصر لما أمره المرحوم السلطان محمود بمقاتلة الوهابيين أرسل ولده إبراهيم

(١) علماء نجد (٢/ ٣٩٣ - ٣٩٥).

باشا ومعه عسكر عظيم من الأكراد والأرناؤوط وعرب مصر المؤارة لمحاربة عبد الله بن سعود أمير نجد فقاتلهم وقتل ونهب وحرق وخرب وأسر عبد الله بن سعود وأرسله إلى مصر فبعثه والي مصر إلى السلطان محمود وباقي بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعبر عنهم بيت الشيخ فإنه نقلهم جميعاً إلى مصر وأسكنهم هناك ورتب لهم معاشات تكفيهم وكان من جملة المترجم المرحوم فالتفت إلى الطلب والتعلم والتعليم والاستفادة والإفادة إلى أن صار في الأزهر شيخ رواق الحنابلة وكان ظاهر التقوى والصلاح والزهادة والعبادة ولم يزل على حالته المرضية وطاعته وعبادته وإفادته السنية إلى أن احترمته المنية سنة أربع وسبعين ومائتين وألف - رحمه الله تعالى - "انتهى كلام الشيخ عبد الرزاق البيطار - رحمه الله -

وذكره عثمان بن سند البصري النجدي بقوله في كتابه مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود " واعلم أنه بقي للوهايية بقية بمصر ظلوا فيها برغبتهم لأنه صار لهم فيها أولاد وأملاك بمصر مثل الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي وله أولاد منهم أحمد الأزجي وعبد الله كاتب في قلعة الوجه. ومن الذين بقوا بمصر "أحمد بن الشيخ عبد اللطيف" وأما الشيخ عبد الرحمن المذكور فقد أدركته في الجامع الأزهر يدرس مذهب الحنابلة سنة ١٢٧٣هـ - برواق الحنابلة وتوفي سنة ١٢٧٤هـ - وكان عالماً فقيهاً ذا سمت حسن يظهر عليه التقى والصلاح. انتهى ما ذكره الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني مختصر كتاب ابن سند.

إذا عُرف هذا فالمرجم الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب توفي بمصر سنة ١٢٧٤هـ وخلف أبناء ثلاثة هم أحمد الأزجي أي الصيدلي وعبد الله ومحمد فأما أحمد الأزجي الصيدلي فأُنجب ابنًا اسمه عبد الرحمن حقي وابنة اسمها لطيفة وعبد الرحمن حقي بن أحمد الأزجي الصيدلي أنجب ابنًا اسمه محمد رئيس إسعاف العياط بمصر زمن فؤاد وفاروق والجمهورية توفي بمصر عام ١٣٧٨هـ - ورثته جريدة الأهرام المصرية في عددها ٢٦١٧١ تاريخ ٢٣ - ١ ١٣٧٨هـ - وله ابن اسمه أحمد مهندس، وأما عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أخو أحمد الأزجي الصيدلي الآنف الذكر فله أبناء وذرية ضاعوا بمصر حيث لا نعرفهم. موقفه من المشركين:

جاء في تاريخ علماء نجد: وبلغني أن جماعة السَّبكية، لم يعتنقوا المذهب الحنبلي، ولم يكونوا محققين لتوحيد العبادة إلا عن طريقه.^(١)

(١) تاريخ علماء نجد (٢/ ٣٩٤).

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد

الوهاب (١٢٨٥هـ) (١)

الإمام الفقيه والمجدد الثاني عبدالرحمن بن الشيخ حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب النجدي ثم المصري الحنبلي الأزهرى. ولد هذا العالم الكبير سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف من الهجرة في بلدة الدرعية، موطن الدعوة ومهد علمائها، وعاصمة ولائها في ذلك الحين، فنشأ بها وقرأ القرآن حتى حفظه وهو في التاسعة من عمره، ثم لازم دروس العلم وحلق الذكر فقرأ على جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كتاب التوحيد من أوله إلى أبواب السحر، وجملة من كتاب آداب المشي إلى الصلاة، وحضر عليه قراءات كثيرة في كتب التفسير والحديث والأحكام.

ثم توفي جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وهو لا يزال في الثالثة عشرة من عمره، فلزم علماء الدرعية وجهابذتها الأعلام، فقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر كتاب المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، وقرأ على الشيخ عبد الله بن فاضل من علماء الدرعية، وقرأ على عمه علامة نجد في زمنه وخليفة والده بعد وفاة الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقرأ الفرائض على عبد الرحمن بن خميس

(١) (علماء نجد ١ / ٥٦) و (الدرر السنية ١٢ / ٦٠) و (مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٥٨ وما بعدها) والأعلام (٣ / ٣٠٤) ومعجم المؤلفين (٥ / ١٣٥)

من علماء الدرعية، وقرأ في النحو على العلامة الشيخ حسين بن غنام صاحب التاريخ المشهور.

وبعد هذه القراءات جلس لطلاب العلم يدرسهم علم التوحيد والفقه، ثم ولي قضاء الدرعية زمن الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وزمن ابنه الإمام عبد الله بن سعود، وكان في الدرعية ذلك الحين قضاة كثيرون مرجعهم علامة نجد في زمنه الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واستمر الشيخ عبد الرحمن في وظيفتي القضاء والتدريس حتى خرج طوسون بن محمد علي باشا لقتال أهل هذه الدعوة السلفية.

فعند ذلك جند الشيخ عبد الرحمن نفسه للدفاع عن الدين والأوطان، فصحب الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود في مسيره لقتال طوسون فحضر معه وقعة وادي الصفراء الواقعة المشهورة بالقرب من المدينة التي حصلت بين طوسون وبين الإمام عبد الله وهزم فيها طوسون هزيمة منكرة.

وبعد هذه الواقعة استمر الشيخ في الدفاع وحضور الوقائع والحروب التي حصلت بين الدعوة السلفية والدولة العثمانية حتى قدر الله سقوط الدرعية واستيلاء إبراهيم بن محمد علي باشا عليها، وعلى جميع الجزيرة العربية فنقله إبراهيم باشا إلى مصر، ومعه حرمه وعائلته وابنه الشيخ عبد اللطيف وذلك في سنة ١٢٣٣هـ.

وبقي ثمان سنوات بمصر، قرأ فيها على عدة علماء منهم الشيخ حسن القويسني ذكر: أنه حضر عليه شرح جمع الجوامع للمحلي، ومختصر السعد في المعاني والبيان، وأجازه بجميع مروياته، ولقي بمصر مفتي الجزائر محمد بن محمود الجزائري الحنفي فقرأ عليه في الأحكام الكبرى للحافظ

عبد الحق الاشبيلي، وأجازه بجميع مروياته عن شيخه الشيخ محمود الجزائري، والشيخ علي بن الأمير، ووجد بمصر الشيخ إبراهيم العبيدي المقرئ، شيخ مصر في زمنه في القراءات، فقرأ عليه القرآن ولقي الشيخ أحمد بن سلمونة فقرأ عليه الشاطبية وشرح الجزرية، وقرأ على الشيخ يوسف الصاوي شرح الخلاصة لابن عقيل وقرأ على الشيخ الباجوري شرح الخلاصة للأشْمُونِي.

وحضر على محمد الدمنهوري في الاستعارات والكافي في علمي العروض والقوافي وذلك بالجامع الأزهر الشريف عمّره الله بالعلم والإيمان وجعله مقراً للعمل بالسنة والقرآن.

ولم يزل المترجم له الشيخ عبد الرحمن بن حسن مقيماً بمصر ينهل من العلوم ويتزود من الفنون إلى أن رد الله الكرة لأهل نجد ورجع إليها. وله رحمه الله الكثير من الآثار السلفية منها:

١ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد

٢ - قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين

٣ - القول الفصل النفيس في الرد على ابن جرجيس.

موقفه من القدريّة:

- تكلم في فتح المجيد عن القدر في صدد شرحه للنصوص التي أوردتها جده في كتاب التوحيد، قال رحمه الله بعد حديث ابن عمر الطويل: ففي هذا الحديث: أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، فقد ترك أصلاً من أصول الدين وجحده، فشبه من قال الله فيهم: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة: ٨٥]. اهـ—

- وقال بعد حديث عبادة : وفي هذا الحديث ونحوه: بيان شمول علم الله تعالى، وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} (١٢) [الطلاق: ١٢] وقد قال الإمام أحمد رحمه الله، لما سُئِلَ عن القدر، قال: (القدر قدرة الرحمن) واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد رحمه الله.

والمعنى: أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء. ونُفَاةُ القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى، فضلوا عن سواء السبيل. وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا كفروا.

وقال في خاتمة الباب: وكل هذه الأحاديث، وما في معناها فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم. ومن مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار. وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي.

وفي الحقيقة: إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا. وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار.

عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد

الوهاب (١٢٩٣ هـ) (١)

الإمام الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب النجدي ثم المصري الحنبلي الأزهري هو العلامة الأوحد الكبير علامة المعقول والمنقول حاوي علمي الفروع والأصول كما وصفه بهذا (علامة العراق محمود شكري الألوسي) عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن ابن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي الأزهري الحنبلي رحمهم الله بمنه وكرمه. مولده:

ولد سنة ١٢٢٥ هـ في بلدة العلم والعلماء: الدرعية.

حياته:

انتقل الشيخ عبد اللطيف مع والده إلى مصر، بعد خراب الدرعية، وكان عمره قرابة الثمان سنوات ونشأ بمصر وتزوج بها، وتمكن من الاشتغال بطلب العلم، والتزود منه، ثم بعد ذلك خرج إلى نجد وذلك في سنة ١٢٦٤ هـ، وقدم مدينة الرياض واستقر فيها بضعة أشهر درس فيها بعض الدروس، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأحساء معلماً وداعياً، ومكث فيها فترة من الزمن، ثم عاد إلى الرياض مرة أخرى.

(١) علماء نجد (١/ ٦٣ - ٧١) ومعجم المؤلفين (٦/ ١٠ - ١١) والدرر السنية (١٢/ ٦٦ -

شيوخه:

مكث الشيخ - رحمه الله - في مصر مدة من الزمن، درس فيها على عدد من المشايخ فمنهم:

- ١ - والده الإمام العلامة عبد الرحمن بن حسن.
- ٢ - والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

- ٣ - الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب
 - ٤ - عمه الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب
 - ٥ - الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل الشيخ
 - ٦ - أحمد بن حسن الأحسائي
 - ٧ - الشيخ إبراهيم الباجوري
 - ٨ - الشيخ مصطفى البولاقى الأزهرى
 - ٩ - الشيخ حسن القويسني وغيرهم
- تلاميذه:

- تلمذ على يد الشيخ عدد من التلاميذ منهم:
- ١ - تلميذه الشيخ العلامة "حسان السنة" الشيخ سليمان بن سحمان.

- ٢ - وابنه العلامة الشيخ عبد الله.
 - ٣ - وأخوه الشيخ إسحاق، وغيرهم.
- موقفه من المبتدعة:
- عاش رحمه الله فترة تغلب الدولة العثمانية على ديار نجد، فكان هذا الإمام في مصر مدة طويلة قضاها كلها في طلب العلم والدعوة إلى العقيدة

السلفية، فلم يذب في عقائد المصريين الباطلة، بل كان الداعية إلى عقيدة السلف، وله مواقف مشرفة سجلها المؤرخون له في كتبهم، وستبقى له ذخراً عند الله يوم القيامة.

- جاء في تاريخ علماء نجد: ولما استولى الإمام فيصل على الأحساء، وكان فيها خليط من العقائد والآراء، فالرافضة لهم شوكة، وعلماء الشافعية والمالكية أشاعرة، وعلماء الأحناف ماتوريدية. وتشترك هذه الطوائف كلها في وسائل الشرك، من نحو تعظيم القبور والغلو في الصالحين، والبدع من نحو الموالد، ومراسم الموت والجنائز، فكان الشيخ عبد اللطيف هو المختار لمقابلة مثل هؤلاء، ومحاربة أمثال هذه الأمور، فبعثه الإمام إليهم، فناقش هؤلاء العلماء بلسان فصيح، وعلم صحيح، وصدر فسيح، وقابل الحجة بأقوى منها، ورد الشبهة بأوضح منها، فأذعنوا له وسلموا، فزال ما في نفوسهم من روااسب الشبه، وباطل التأويل، فتقرر لديهم أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الأسلم والأعلم والأحكم، وأن الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب هي العودة إلى صفاء العقيدة، وخلوص العبادة، كما دعت إليها الرسل ونزلت بها الكتب، وبعد أن صارت العقيدة واحدة والطريقة متحدة، عاد الشيخ عبد اللطيف إلى الرياض.^(١)

(١) (١/ ٦٥ - ٦٦).

وفاته:

توفي - رحمه الله - في مدينة الرياض في اليوم الرابع عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٣هـ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى.

وله رحمه الله الكثير من الآثار السلفية:

١ - مصباح الظلام في الردّ على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام وهو رد على عثمان بن منصور في كتابه (جلاء الغمة عن تكفير الأمة)

٢ - منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داوود بن جرجيس لكنه لم يتمه فأتمه محمود شكري الآلوسي بكتاب أسماه فتح المنان تنمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان

٣ - تحفة الطالب والجلس في الرد على ابن جرجيس

٤ - فتح الملك الوهاب في رد شبه المرتاب

٥ - البراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية

٦ - الإتحاف في الرد على الصحاف

إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد

الوهاب (١٣١٩ هـ) (١)

هو العلامة الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ الأزهرى النجدى ثم المصرى. وُلد في مدينة الرياض عام ١٢٧٦هـ، ونشأ بها نشأة صالحة في بيت علم وصلاح وتقى، فشرع في طلب العلم وأخذ يقرأ على أخيه الشيخ عبد اللطيف، والشيخ حمد بن عتيق، وابن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ الفقيه محمد بن محمود، والشيخ الخطيب الواعظ عبد الله بن حسين المخضوب، والشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد، فأدرك إدراكاً تاماً في العلوم الشرعية.

فلما هاجت الفتن واستولى آل رشيد على الرياض، ارتحل آل سعود إلى الكويت، ولم تطب له الإقامة في نجد، فرحل إلى الهند عام ١٣٠٩هـ، وأكمل دراسته هناك، وأخذ عن المحدث الكبير الشيخ نذير حسين، وأجازته وأخذ عنه الحديث المسلسل بالأولية عن مشايخه، ثم ارتحل إلى مدينة (بهوبال) بالهند، فقرأ فيها على الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، والشيخ العلامة سلامة الله، وأجازاه في مروياتهما، كما أخذ عن الشيخ محمد بشير، فصار من كبار علماء وقته في الأصول والفروع وعلوم العربية، وأرسل من الهند إلى الرياض قصيدة مؤثرة صارت تُنشد في

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٥٥٧ - ٥٦٤).

المجامع والبيوت في الرياض، يتذكر فيها عهوده الخالية وبلاده المحكومة،
ويترحم على أسلافه الماضين، كما سافر إلى مصر لطلب العلم، وقرأ على
علماء الأزهر الشريف بمصر مدة طويلة، واجتمع بابن أخيه أحمد بن عبد
اللطيف، ورغبه في الخروج معه إلى نجد، ولكنه امتنع.
تلاميذه:

الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ والشيخ فوزان السابق
والشيخ عبدالله بن فيصل والشيخ عبدالعزيز بن عتيق وغيرهم
موقفه من المبتدعة:

قال: ومما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام: أن المرجع في مسائل
أصول الدين إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة المعترف، وهو ما كان عليه
الصحابة، وليس المرجع إلى عالم بعينه في ذلك. فمن تقرر عنده هذا
الأصل تقريراً لا يدفعه شبهة وأخذ بشراشير قلبه هان عليه ما قد يراه من
الكلام المشتبه في بعض مصنفات أئمتنا، إذ لا معصوم إلا النبي - صلى الله
عليه وسلم - (١).

وفاته:

توفي في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب سنة تسع عشرة
وثلاثمائة وألف في مدينة الرياض ورثاه العلماء.

(١) حكم تكفير المعين (ص. ٨ - ٩).

السلفية في العصر الحديث

قامت في مصر حركة إصلاحية على يد شخصان يعتبران من قادة الفكر الإسلامي في العصر الحديث وهما : (جمال الدين الأفغاني - ١٣١٥ هـ) والشيخ محمد عبده (- ١٣٢٣ هـ) إلا أنهما شخصيتان يختلف فيهما كثيراً ، خاصة الأفغاني فإن انحرافات واضحة في كتاباته وأعماله ، وعقائده .

حركة الأفغاني ومحمد عبده صارت سبباً لاهتداء بعض النوابغ إلى المنهج الصحيح ومنهم تلميذهما : العلامة السيد محمد رشيد رضا (- ١٣٥٤ هـ) - رحمه الله - الذي أنشأ مجلة " المنار " سنة ١٣١٥ هـ . تعلم السيد محمد رشيد رضا صراحة القول وحرية التفكير من الأفغاني ومحمد عبده التي دفعته إلى مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ونصيرهما الإمام محمد بن عبد الوهاب . وكان النظر فيهما محظوراً في محيطه آنذاك .

صادفت كتابات هؤلاء الأعلام رغبته الصادقة في دعوة الأمة إلى الكتاب والسنة . فاتجه اتجاهاً سلفياً نحو العقيدة والعمل ، وتحرر من كثير من انحرافات شيخه محمد عبده . قال : " هذا وإنني لما استقلتُ بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه - رحمه الله تعالى - بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم

في هذا العصر، أو يُقَوِّي حُجَّتَهُم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو
يحل بعض المشكلات التي أعْيَا حلُّها بما يطمئنُّ به القلب وتَسْكُنُ إليه
النفس. "اهـ" (١)

فكانت الشرارة الأولى لانتشار السلفية في ربوع مصر المحروسة ، على
يد هذا العالم السلفي ومن تبعه من أئمة وعلماء ، نأتي على ذكر -
بعضهم - فيما يلي :

(١) تفسير المنار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٦/١

محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) (١)

هو :محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب. ولد ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢ هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٨٦٥ وتوفي في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ/ ٢٢ أغسطس ١٩٣٥ م) في قرية "القلمون (لبنان)"، وهي قرية تقع على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان وتبعد عن طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال.

كان أبوه "علي رضا" شيخاً للقلمون وإماماً لمسجدها، فُعني بتربية ولده وتعليمه؛ فحفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم انتقل إلى طرابلس، ودخل المدرسة الرشيدية الابتدائية، ثم المدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس التي كانت تهتم بتدريس اللغة العربية والعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية، وقد أسس هذه المدرسة وأدارها الشيخ "حسين الجسر"، وكان يرى أنه من الضرورة لرقي الأمة الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة الأوروبية الحديثة مع التربية الإسلامية الوطنية.

حين أُغلقت المدرسة توثقت صلة رشيد رضا بالشيخ الجسر، واتصل بحلقاته ودروسه، أثر الشيخ الجسر "رشيد رضا" برعايته، ثم أجازته سنة

(١) راجع : الزركلي: الأعلام ٦: ٣٦١، ٣٦٢، الصعيدي: المجددون في الاسلام ٥٣٩ - ، تشارلز آدمس: الاسلام والتجديد في مصر ١٦٩ - ١٩٥، شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي ١: ٢٨٤ - ٢٨٦ الجندي: أعلام الأدب والفن ٢: ٣٥٧ - ٣٦٠

١٨٩٧م بتدريس العلوم الشرعية والعقلية والعربية، وفي الوقت نفسه درس "رشيد رضا" الحديث على يد الشيخ "محمود نشابة" وأجازه أيضاً برواية الحديث، كما واطب على حضور دروس نفر من علماء طرابلس، مثل: الشيخ عبد الغني الرافعي، ومحمد القاوجي، ومحمد الحسيني، وغيرهم.

ويعتبر محمد رشيد بن رضا مفكر إسلامي من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهوروا في مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفياً وكاتباً وأديباً لغوياً. هو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده. أسس مجلة المنار على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده. يعتبر حسن البنا أكثر من تأثر بالشيخ رشيد رضا.

رشيد رضا في قريته

تخذ الشيخ رشيد رضا من قريته الصغيرة ميداناً لدعوته الإصلاحية بعد أن تزود بالعلم وتسلح بالمعرفة، وصفت نفسه بالمجاهدات والرياضيات الروحية ومحاسبة نفسه وتخليص قلبه من الغفلة وحب الدنيا، فكان يلقي الدروس والخطب في المسجد بطريقة سهلة بعيدة عن السجع الذي كان يشيع في الخطب المنبرية آنذاك، ويختار آيات من القرآن يحسن عرضها على جمهوره، ويسيطر لهم مسائل الفقه، ويحارب البدع التي كانت شائعة بين أهل قريته.

ولم يكتف الشيخ رضا بمن يحضر دروسه في المسجد، فذهب هو إلى الناس في تجمعاتهم في المقاهي التي اعتادوا على الجلوس فيها لشرب القهوة والنارجيلة، ولم يخجل من جلوسه معهم يعظهم ويحثهم على الصلاة، وقد أثمرت هذه السياسة المبتكرة، فأقبل كثير منهم على أداء الفروض والالتزام

بالشرع والتوبة والإقبال على الله، وبعث إلى نساء القرية من دعاهن إلى درس خاص بهن، وجعل مقر التدريس في دار الأسرة، وألقى عليهن دروساً في الطهارة والعبادات والأخلاق، وشيئاً من العقائد في أسلوب سهل يسير.

بداية شاذلية

لقد بدأ تصوف رشيد حين كان يقرأه شيخه حسين الجسر بعض كتب الصوفية ومنها بعض الفصول من الفتوحات المكية ، وفصول من الفارياق ...

وقد كان يقرأ ورد السحر ؛ وعندما يبلغ البيت التالي:

ودموع العين تسابقني من خوفك تجري

كان يمتنع عن قراءته ، لأن دموعه لم تكن تجري ، فكان امتناعه عن قراءة البيت حياءً من الله أن يكذب عليه .. وبعد أن تضلع بالعلم وأصول الدين أدرك أن قراءة هذا الورد من البدع .. فتركه وانصرف إلى تلاوة القرآن.

ودرس على شيخه أبي المحاسن القاوقجي ونال الإجازة في كتاب دلائل الخيرات .. ثم بان له أن هذا الكتاب أغلبه أكاذيب على النبي صلى الله عليه وسلم فتركه .. وأقبل على قراءة أذكار وأوراد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة.

سلوكه الطريقة النقشبندية

يذكر رشيد في هذا المجال أن الذي حبب إليه التصوف هو كتاب "إحياء علوم الدين للغزالي" ..

ثم طلب من شيخه الشاذلي محمد القاوقجي أن يسلكه الطريقة الشاذلية الصورية فأعتمر الشيخ وقال: يا بني إني لست أهلاً لما تطلبه فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله .

ثم يذكر رشيد أن صديقه محمد الحسيني قد ظفر بصوفي خفي من النقشبندية يرى أنه وصل إلى مرتبة المرشد الكامل .. فسلك رشيد طريقة النقشبندية على يديه وقطع أشواطاً كبيرة فيها ، ثم يقول: "ورأيت في أثناء ذلك كثيراً من الأمور الروحية الخارقة للعادة كنت أأول الكثير منها عجزت عن تأويل بعضها" ثم يقول: "ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لا تدل على أن جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها بدعة كما حققت ذلك بعد"

ويصف رشيد الورد اليومي في طريقة النقشبندية بأنه ذكر اسم الجلالة (الله) بالقلب دون اللسان خمسة آلاف مرة مع تغميض العينين وحبس النفس بقدر الطاقة وربط القلب بقلب الشيخ. ثم يذكر أن هذا الورد بدعة كما تبين له بعد ذلك ؛ بل يصل إلى الشرك الخفي حين يربط الشخص قلبه بقلب شيخه فإنه مقتضى التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادته إلى الله وحده حنيفاً مسلماً له الدين.

وذكر أمور كثيرة ..

يقول عن هذه التجربة الصوفية:

"وجملة القول أنني كنت أعتقد أن سلوك طريقة المعرفة وتهذيب النفس والوقوف على أسرارها جائز شرعاً لا حظر فيه ، وأنه نافع يرجى به معرفة الله ما لا يوصل إليه بدونه"

هدايته من الصوفية إلى السلفية

يعبر عن هذه التجربة الصوفية بعد سنوات طويلة جداً في التصوف:
"إنني قد سلكت الطريقة النقشبندية ، وعرفت الخفي والأخفى من لطائفها وأسرارها ، وخضت بحر التصوف ورأيت ما استقر باطنه من الدرر ، وما تقذف أمواجه من الجيف ، ثم انتهيت إلى مذهب السلف الصالحين ، وعلمت أن كل ما خالفه فهو ضلال مبين"
وقد تأثر بمجلة العروى الوثقى ومقالات العلماء والأدباء .. فتأثر بالأفغاني ومحمد عبده .. وتأثر بشدة وأصبح شيخه الذي حرك عقله وفكره لبذ البدع والجمع بين العلوم الدينية والعصرية والسعي لتمكين الأمة .. ثم تأثر بشدة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله تعالى- .. لقد أحدثت له حركة ونشاط بدل الخمول وغيبة الوعي والانغماس في البدع والضلال كما في الصوفية ..

إنكاره على أهل الطرق الصوفية

أول حادثة قام بها علناً منكرًا سلوك الطرق الصوفية .. ذات يوم وبعد صلاة الجمعة أقام أهل إحدى الطرق الصوفية ما يسميه رشيد "مقابلة المولوية" ويقول رشيد في ذلك: "حتى إذا ما آن وقت المقابلة تراءى أما دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه ايوان بالنظارة ، وفي صدره شيخهم الرسمي ، وإذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيض ناصعة كجلابيب العرائس ، يرقصون بها على نغمات الناي المشجية ، يدورون دوراناً فنياً سريعاً تنفرج به غلائلهم فتكوّن دوائر متقاربة ، على أبعاد متناسبة لا يبغي بعضها على بعض ، ويمدون سواعدهم ، ويميلون أعناقهم ، ويمرون واحداً بعد آخر أمام شيخهم فيركعون"

أزعج هذا المنظر رشيد رضا وآله أن تصل حالة المسلمين إلى هذا المستوى من البدع والخرافات والتلاعب في عقائد الناس وعقولهم. وكان الذي آله كثيراً هو أن هؤلاء بالأعيبهم البدعية قد اعتبروا أنفسهم في عبادة يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى ؛ بل يعتبرون سماع ومشاهدة ذلك عبادة مشروعة ولهذا لم يترك رشيد هذه الحادثة تمر دون أن يقوم بواجبه الإصلاحية الذي استقاه من قراءته دراسة بمدرسه السلفية التي يدرسها من خلال مجلاتها وكتبها .. فقام حيث قال: "قلت: ما هذا؟! قيل: هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف ، لم أملك نفسي أن وقفت في بهوة النظارة وصحت بأعلى صوتي بما معناه أيها الناس والمسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا السكوت عليه لأنه إقرار له وإن يصدق عليه مقترفيه قوله تعالى: (اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا) [الأعراف: ٥١] وأني قد أديت الواجب عليّ فاخرجوا رحمكم الله" ثم خرج رشيد مسرعاً إلى المدينة .. وكانت لصيحتة السلفية هذه أن أتبعه عدد قليل إلا أن صيحتة لاقت صدى في مجتمعات الناي بين مؤيد ومعارض ..

ورغم كثرة من عارضه وأنكر عليه من مشايخ الصوفية فقد صمم أن يسير في طريقه نحو إصلاح مجتمعه من هذه الضلالات والبدع. ومن الغريب في الأمر أن ممن أنكر عليه شيخه الشاذلي حسين الجسر فقد كان رأيه ألا يتعرض لأصحاب الطرق الصوفية وبدعهم لا من قريب ولا من بعيد وقال لرشيد: إني أنصحك أن تكف عن أهل الطريق. فرد عليه رشيد منكرًا: "هل لأهل الطريقة أحكام شرعية غير الأحكام العامة لجميع المسلمين؟

فقال: لا ؛ ولكن لهؤلاء نية غير نية سائر الناس ووجهة غير وجهتهم
وسأل الجسر رشيد: لماذا يقصر إنكارك على أهل الطريق دون أهل اللهو
والفساد. فرد عليه رشيد قائلاً: إن أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل اللهو
لأنهم جعلوا سماع المنكر ورقص الحسان عبادة مشروعة فشرعوا لأنفسهم
من الدين ما لم يأذن به الله على أي لم أر منكراً آخر ولم أنكره.
ومع قوة حجة رشيد على أستاذه إلا أن شيخه تمسك برأيه لأن له
حاضرة ووجهة!!

وبقي الخلاف بينهما ، واشتد بعد هجرة رشيد لمصر وإنكاره الشديد
على أهل الطرق الصوفية في مجلة المنار ، بعد أن رأى طرق الصوفية بمصر
والبدع الكبيرة هناك وما يحصل في الموالد ، وقد رد الجسر على رشيد ،
ورد رشيد على الجسر في مجلته.

وقد قام على القبوريين من الصوفية وغيرهم بعد استفادته من كتب
شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إضافة إلى كتاب ابن
حجر(الزواجر عن اقتراف الكبائر) .. وقد اطلع على كتاب للألوسي
(جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) فكان من أسباب تبصره بخلل الصوفية
، ونقاء دعوة شيخ الإسلام .. وأن كلام الهيثمي وغيره لم يأتي إلا من
هوى وهوس الصوفية!!

فرحم الله الشيخ المصلح الكبير محمد رشيد رضا على ما قدم وبذل في
نصح وفضح الصوفية .. وتقبل الله توبته وأوبته من الطرق المضلة ..

الاتصال بالأستاذ الإمام

في الفترة التي كان يتلقى فيها رشيد رضا دروسه في طرابلس كان الشيخ محمد عبده قد نزل بيروت للإقامة بها، وكان محكوماً عليه بالنفي بتهمة الاشتراك في الثورة العرابية، وقام بالتدريس في المدرسة السلطانية ببيروت، وإلقاء دروسه التي جذبت طلبة العلم بأفكاره الجديدة ولحاته الذكية، وكان الشيخ محمد عبده قد أعرض عن السياسة، ورأى في التربية والتعليم سبيل الإصلاح وطريق الرقي، فركز جهده في هذا الميدان.

وعلى الرغم من طول المدة التي مكثها الشيخ محمد عبده في بيروت فإن الظروف لم تسمح لرشيد رضا بالانتقال إلى المدرسة السلطانية والاتصال بالأستاذ الإمام مباشرة، والتلمذة على يديه، وكان التلميذ النابه شديد الإعجاب بشيخه، حريصاً على اقتفاء أثره في طريق الإصلاح، غير أن الفرصة سنحت له على استحياء، فالتقى بالأستاذ الإمام مرتين في طرابلس حين جاء إلى زيارتها؛ تلبية لدعوة كبار رجائها، وتوثقت الصلة بين الرجلين، وازداد تعلق رشيد رضا بأستاذه، وقوي إيمانه به وبقدرته على أنه خير من يخلف "جمال الدين الأفغاني" في ميدان الإصلاح وإيقاظ الشرق من سباته.

وحاول رشيد رضا الاتصال بجمال الدين الأفغاني والالتقاء به، لكن جهوده توقفت عند حدود تبادل الرسائل وإبداء الإعجاب، وكان جمال الدين في الآستانة يعيش بها كالطائر الذي فقد جناحيه فلا يستطيع الطيران والتحليق، وظل تحت رقابة الدولة وبصرها حتى لقي ربه سنة (١٣١٤ هـ = ١٨٩٧م) دون أن تتحقق أمنية رشيد رضا في رؤيته والتلمذة على يديه.

رشيد رضا في القاهرة

لم يجد رشيد رضا مخرجاً له في العمل في ميدان أفسح للإصلاح سوى الهجرة إلى مصر والعمل مع محمد عبده تلميذ الأفغاني حكيم الشرق، فترل الإسكندرية في مساء الجمعة (٨ من رجب ١٣١٥ هـ = ٣ من يناير ١٨٩٨م)، وبعد أيام قضاها في زيارة بعض مدن الوجه البحري نزل القاهرة واتصل على الفور بالأستاذ الإمام، وبدأت رحلة جديدة لرشيد رضا كانت أكثر إنتاجاً وتأثيراً في تفكيره ومنهجه الإصلاحية.

لم يكد يمضي شهر على نزوله القاهرة حتى صارح شيخه بأنه ينوي أن يجعل من الصحافة ميداناً للعمل الإصلاحية، ودارت مناقشات طويلة بين الإمامين الجليلين حول سياسة الصحف وأثرها في المجتمع، وأقنع التلميذ النجيب شيخه بأن الهدف من إنشائه صحيفة هو التربية والتعليم، ونقل الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والخرافات والبدع، وأنه مستعد للإنفاق عليها سنة أو سنتين دون انتظار ربح منها.

مجلة المنار

صدر العدد الأول من مجلة المنار في (٢٢ من شوال ١٣١٥ هـ = من مارس ١٨٩٨م)، وحرص الشيخ رشيد على تأكيد أن هدفه من المنار هو الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، وبيان أن الإسلام يتفق والعقل والعلم ومصالح البشر، وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام، وتنفيذ ما يعزى إليه من الخرافات.

أفردت المجلة إلى جانب المقالات التي تعالج الإصلاح في ميادينه المختلفة باباً لنشر تفسير الشيخ محمد عبده، إلى جانب باب لنشر الفتاوى والإجابة على ما يرد للمجلة من أسئلة في أمور اعتقادية وفقهية، وأفردت

المنار أقسامًا لأخبار الأمم الإسلامية، والتعريف بأعلام الفكر والحكم والسياسة في العالم العربي والإسلامي، وتناول قضايا الحرية في المغرب والجزائر والشام والهند.

لم تمض خمس سنوات على صدور المجلة حتى أقبل عليها الناس، وانتشرت انتشارًا واسعًا في العالم الإسلامي، واشتهر اسم صاحبها حتى عُرف باسم رشيد رضا صاحب المنار، وعرف الناس قدره وعلمه، وصار ملجأهم فيما يعرض لهم من مشكلات، كما جاء العلماء يستزيدون من عمله، وأصبحت مجلته هي المجلة الإسلامية الأولى في العالم الإسلامي، وموئل الفتيا في التأليف بين الشريعة والعصر.

كان الشيخ رشيد يحرق معظم مادة مجلته على مدى عمرها المديد، يمدده زاد واسع من العلم، فهو عالم موسوعي ملم بالتراث الإسلامي، محيط بعلوم القرآن، على دراية واسعة بالفقه الإسلامي والسنة النبوية، عارف بأحوال المجتمع والأدوار التي مر بها التاريخ الإسلامي، شديد الإحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه، خبير بأحوال المسلمين في الأقطار الإسلامية.

منهجه في الإصلاح

كتب رشيد مئات المقالات والدراسات التي تهدف إلى إعداد الوسائل للنهوض بالأمة وتقويتها، وخص العلماء والحكام بتوجيهاته؛ لأنهم بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الإنسان، وأن في صلاح حالها صلاح حال الأمة، وغير ذلك بقوله: "إذا رأيت الكذب والزور والرياء والنفاق والحقد والحسد وأشباهها من الرذائل فاشية في أمة، فاحكم على أمرائها

وحكامها بالظلم والاستبداد وعلى علمائها ومرشديها بالبدع والفساد، والعكس بالعكس".

اقترح رشيد رضا لإزالة أسباب الفركة بين المسلمين تأليف كتاب يضم جميع ما اتفقت عليه كلمة المسلمين بكل فرقهم، في المسائل التي تتعلق بصحة الاعتقاد وتهذيب الأخلاق وإحسان العمل، والابتعاد عن مسائل الخلاف بين الطوائف الإسلامية الكبرى كالشيعة، وتُرسل نسخ بعد ذلك من هذا الكتاب إلى جميع البلاد الإسلامية، وحث الناس على دراستها والاعتماد عليها. طالب بتأليف كتب تهدف إلى توحيد الأحكام، فيقوم العلماء بوضع هذه الكتب على الأسس المتفق عليها في جميع المذاهب الإسلامية وتتفق مع مطالب العصر، ثم تُعرض على سائر علماء المسلمين للاتفاق عليها والتعاون في نشرها وتطبيق أحكامها.

التربية والتعليم

كان الشيخ رشيد رضا من أشد المنادين بأن يكون الإصلاح عن طريق التربية والتعليم، وهو في ذلك يتفق مع شيخه محمد عبده في أهمية هذا الميدان، "فسعادة الأمم بأعمالها، وكمال أعمالها منوط بانتشار العلوم والمعارف فيها".

حدد "رشيد رضا" العلوم التي يجب إدخالها في ميدان التربية والتعليم لإصلاح شئون الناس، ودفعهم إلى مساهمة ركب العلم والعرفان، مثل: علم أصول الدين، علم فقه الحلال والحرام والعبادات، التاريخ، الجغرافيا، الاجتماع، الاقتصاد، التدبير المتري، حفظ الصحة، لغة البلاد، والخط.

لم يكتف رضا بدور الموجه والناصح، وإنما نزل ميدان التعليم بنفسه، وحاول تطبيق ما يراه محققاً للآمال، فأنشأ مدرسة دار الدعوة والإرشاد

لتخريج الدعاة المدربين لنشر الدين الإسلامي، وجاء في مشروع تأسيس المدرسة أنها تختار طلابها من طلاب العلم الصالحين من الأقطار الإسلامية، ويُفضل من كانوا في حاجة شديدة إلى العلم كأهل جاوه والصين، وأن المدرسة ستكفل لطلابها جميع ما يحتاجون إليه من مسكن وغذاء، وأنها ستعني بتدريس طلابها على التمسك بآداب الإسلام وأخلاقه وعبادته، كما تُعنى بتعليم التفسير والفقه والحديث، فلا خير في علم لا يصحبه خلق وسلوك رفيع، وأن المدرسة لا تشغل بالسياسة، وسيُرسَل الدعاة المتخرجون إلى أشد البلاد حاجة إلى الدعوة الإسلامية.

افتتحت المدرسة في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي سنة (١٣٣٠ هـ = ١٩١٢م) في مقرها بجزيرة الروضة بالقاهرة، وبدأت الدراسة في اليوم التالي للاحتفال، وكانت المدرسة تقبل في عداد طلبتها شباب المسلمين ممن تتراوح أعمارهم ما بين العشرين والخامسة والعشرين، على أن يكونوا قد حصلوا قدرًا من التعليم يمكنهم من مواصلة الدراسة.

غير أن المدرسة كانت في حاجة إلى إعانات كبيرة ودعم قوي، وحاول رشيد رضا أن يستعين بالدولة العثمانية في إقامة مشروعه واستمراره لكنه لم يفلح، ثم جاءت الحرب العالمية لتقضي على هذا المشروع، فتعطلت الدراسة في المدرسة، ولم تفتح أبوابها مرة أخرى.

مؤلفاته

بارك الله في عمر الشيخ الجليل وفي وقته رغم انشغاله بالمجلة التي أخذت معظم وقته، وهي بلا شك أعظم أعماله، فقد استمرت من سنة (١٣١٦ هـ = ١٨٩٩م) إلى سنة (١٣٥٤ = ١٩٣٥م)، واستغرقت ثلاثة وثلاثين مجلدًا ضمت ١٦٠ ألف صفحة، فضلاً عن رحلاته التي قام

بها إلى أوروبا وآستانة والهند والحجاز، ومشاركته في ميادين أخرى من ميادين العمل الإسلامي.

من أهم مؤلفاته "تفسير المنار" الذي استكمل فيه ما بدأه شيخه محمد عبده الذي توقف عند الآية (١٢٥) من سورة النساء، وواصل رشيد رضا تفسيره حتى بلغ سورة يوسف، وحالت وفاته دون إتمام تفسيره، وهو من أجل التفاسير. وله أيضاً: الوحي الحمدي ونداء للجنس اللطيف، تاريخ الأستاذ الإمام والخلافة، السنة والشريعة، حقيقة الربا، مناسك الحج.

وفاة الشيخ

كان للشيخ رشيد روابط قوية بالمملكة العربية السعودية، فسافر بالسيارة إلى السويس لتوديع الأمير سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وزوده بنصائحه، وعاد في اليوم نفسه، وكان قد سهر أكثر الليل، فلم يتحمل جسده الوहन مشقة الطريق، ورفض البيت في السويس للراحة، وأصر على الرجوع، وكان طول الطريق يقرأ القرآن كعادته، ثم أصابه دوار من ارتجاج السيارة، وطلب من رفيقيه أن يستريح داخل السيارة، ثم لم يلبث أن خرجت روحه الطاهرة في يوم الخميس الموافق (٢٣ من جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ = ٢٢ من أغسطس ١٩٣٥م)، وكانت آخر عبارة قالها في تفسيره: "فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الإسلام".

الشيخ علي محفوظ (١٣٦١هـ - (١)

نشأته:

في محله روح مركز طنطا غربية؛ كانت تقيم أسرة "محفوظ"، وهي أسرة طيبة، يتصل نسبها بالحسن بن علي - رضي الله عنهم. في تلك القرية ولد، وفيها نشأ، وحفظ القرآن الكريم، واستوعب حفظ بعض المتون.

وفي عام ١٣٠٦ هـ التحق بالجامع الأحمدى بطنطا، واشتغل بتجويد القرآن الكريم على بعض الفقهاء، ثم بدأ يتلقى العلم على كبار شيوخه، فكان من أساتذته: الشيخ عبدالرحمن الدماطي، والشيخ محمد الشبيني الكبير، والشيخ علي المنوفي، والشيخ قطب بكر.

وكان في أثناء طلبه العلم مثلاً حسناً للطالب المُجدِّ، واستمر بالجامع الأحمد نحواً من عشر سنوات، ظهر فيها نبوغه وتفوقه على أقرانه.

ثم رأى شيخه الأكبر الشيخ الدماطي أن ذلك النبوغ يجب أن يفيد منه الأزهر الشريف، فحبَّب إليه طلب العلم فيه؛ فتوجه في عام ١٣١٧ هـ إلى القاهرة ونزل بالأزهر المعمور، ثم مالت نفسه إلى مذهب أبي حنيفة بعد أن كان شافعي المذهب؛ فتتلمذ على صفوة علمائه؛ من أمثال الشيخ: محمد الحلبي، والشيخ بكر الصدي، والشيخ أحمد أبي خطوة،

(١) انظر: "فن الخطابة" و"هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة".

والشيخ محمد بنحيت، والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وفي عام ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٧م حصل على شهادة العالمية، ثم اشتغل بالتدريس. ولما أدخل النظام في الأزهر عام ١٩١١م سار فيه حتى بلغ القسم العالي.

وفي عام ١٩١٨م أنشئ قسم الوعظ والإرشاد في الأزهر؛ فكان أول من تعهده بالتأسيس والتوجيه، وفي هذا القسم وجد ضالته، فجاهد فيه بكل قواه، ووقف عليه فكره ووقته، وسرعان ما أنجب على يديه رجالاً دعاة خير ورُسُل إصلاح، أُشربوا حبَّ الفضيلة، ونَمَت فيهم نازعة الخير. وفي عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م أوفدَ على رأس أول بعثته أزهرية إلى الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج.

وفي مايو عام ١٩٣٩م قدرت هيئة كبار العلماء مزاياه وعلمه وفضله؛ فقررت ضمه إلى عضويتها، وصدر بذلك الأمر الملكي رقم ١٦ لسنة ١٩٣٩م.

وفي فبراير ١٩٤١م مُنحَ كسوة التشريفية العالمية من الدرجة الأولى. ثم لقي مولاه في يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة ١٣٦١ هـ، الموافق ١١ نوفمبر ١٩٤٢م.

نشاطه:

نظر الفقيد بفكره الثاقب إلى العلم والعلماء؛ فوجده أشبه بصناعة خاصة بين طائفة خاصة في مكان خاص، لا يعدو العالم والمتعلم، قد دأب الأزهر على ذلك جيلاً بعد جيل، وسواد الأمة عن هذا النور محجوبٌ باحتجاب العلماء عنهم، اللهم إلا بصيص من النور يظهر في بعض البلاد التي ينبت فيها العلم بوجود عالم من العلماء أو طالب من الطلاب في

ليالي شهر رمضان من كل عام. فأخذ على نفسه المواثيق أن يجدد عهد السلف الصالح، وأن يقوم بنشر الدعوة الصحيحة بين طبقات الشعب المصري الكريم.

وضع أساس فنّ الوعظ والخطابة:

ولقد أحبّ فنّ الوعظ والإرشاد حبًّا لا يعدله حب، وأخلص له إخلاصًا ما بعده إخلاص، وامتزج هذا الحب وهذا الإخلاص بإيمان قوي لا حدّ له، ثم سكن هذا المزيج المبارك في قلب كريم، في نفس طيبة راضية مطمئنة.

وبهذا القلب عقد اللواء وتأهب للغزو، فأخذ ييث فكرته بين طبقات الأزهر من علماء وطلاب؛ فكان من ثمرات هذا الجهاد إنشاء قسم الوعظ والإرشاد في كلية أصول الدين.

الوعظ في المساجد والمجامع العامة:

ثم انتقل إلى الناحية العملية؛ فكان يغشى المساجد كل أسبوع والمجامع العامة؛ ناشراً الفضيلة، داعياً إلى التمسك بحبل الله المتين؛ فظهر نجمه، وسطع نوره، ورمقته العيون، وأسكنته القلوب في سويداتها، لما عُرف فيه من علم، وما أوتيّه من قوة البيان ودقة الأسلوب وسلاسة التعبير. وقد أنتجت قريحته الفذة في هذا الفن كتاب "سبيل الحكمة في الوعظ والخطابة"، ثم أعقبه بكتاب "هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة"، وهو يعتبر أول كتاب حديث من نوعه.

وكان أهم ما يلاحظ عليه: ذوقه الرفيع في الوعظ، ومراعاته لشعور الحاضرين وعواطفهم، يستميلهم بالفكاهة النادرة برقة تملك المشاعر،

ويلقى إليهم بالحجج والحكم في دعة تفتح لها الطريق إلى القلوب قبل الأسماع.

الوعظ في القرى:

رأى - طيب الله ثراه - أن كثيراً من القرى الريفية قد حُرم من العلم؛ فكان يذهب إليها مرشداً وداعياً إلى الله بإذنه، مضحياً في ذلك بماله وراحته ووقته؛ فكان يقضي العطلة الصيفية متنقلاً بالوعظ والإرشاد في شتى البلاد. وقد كان يسجل خطبه في سجل خاص، حتى بلغ مجموعها نحو (١٠٠٠ خطبة).

محاربة البدع والخرافات:

رأى - رحمه الله - أن كثيراً من البدع والخرافات قد استحکم في نفوس الشعب حتى أبعدهم عن طريق الدين المستقيم؛ فأخذ يكافح ويجاهد، ويذكر القوم بمحاسن الدين وقبائح البدع، ولم يُثْنِ عن سبيله ما أقامه دعاة هذه البدع من عراقيل وعقبات، وظل ثابتاً على عزمه حتى اقتلع الأوهام من القلوب، وعاد بالناس إلى حظيرة الدين، وقد أُلّف في هذا كتابه العظيم "الإبداع في مضار الابتداع".

الجمعيات الإسلامية العامة:

أيقن أن الجمعيات الإسلامية خير معين على نشر الفضائل بين الأمة؛ فساهم في تأسيس جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، وكان من أعضائها العاملين البارزين، وساهم في تأسيس جمعية الهداية الإسلامية، وقد انتُخب وكيلاً لها في أول جلسة عُقدت لتأسيسها في عام ١٣٤٦ هـ، وكذلك ساهم في تأسيس جمعية تحفيظ القرآن بالعباسية، وكان من أعضائها المخلصين.

وقبل الحرب العالمية الأولى؛ كانت جمعية الرد على المبشرين بالخرنفس تناهض المبشرين - فكان رحمه الله خطيبها وحامل لوائها. وفازت جمعية نشر الفضائل والآداب الإسلامية بالكثير من نشاطه، ولما تكونت جماعة أنصار الحج ساهم في جهادها بكل قواه.

الجمعيات الخاصة:

لم يكتفِ الفقيد بكل هذه الأعمال الجليلة؛ بل نظر في صفوف الأمة، فوجد طائفة من عظمائها المخلصين قد عكفوا على ما لديهم من الأعمال، فتلطف في الدخول إليهم، واستعمل ذكاءه وفطنته في استمالتهم، وهمس في آذانهم بأحكام الدين الحنيف؛ فوصلت دعوته إلى قلوبهم، ووجد التربة صالحة للغرس، والجو ملائماً للإنبات؛ فكان جمعية قوامها العظماء وعناصرها الطبقة الراقية: مثل المرحوم الدكتور سالم هنداوي باشا، والدكتور سليمان عزمي باشا، والرحوم الدكتور عبدالعزيز إسماعيل باشا... وغيرهم من طبقتهم، واشتغل معهم بتفسير القرآن الكريم في ليلة معينة من كل أسبوع، واتخذ لذلك عيادة الدكتور سالم باشا بعابدين حتى أتمه في بضع سنين، وقد كان من آثار هذا الغرس أن طلع المرحوم الدكتور عبدالعزيز باشا إسماعيل على العالم الإسلامي بكتابه العظيم: "الإسلام والطب الحديث".

كذلك كوّن - رحمه الله - جمعية أخرى قوامها الدكتور عبدالسلام العيادي، ونخبة من خيرة المتعلمين؛ ما بين مهندس وتاجر وموظف، وجعل مقرّها عيادة الدكتور العيادي بالدرب الأحمر، وقد ابتدأ في تفسير القرآن الكريم حتى أوشك على إتمامه، ولكن المنية عاجلته قبل ذلك بقليل.

وأنشأ جمعية ثالثة قوامها جماعة من أرباب المعاشات؛ فغرس فيهم الروح الدينية الحقّة، وكان مقرها منزل صاحب العزة أحمد بك فهمي المهندس، وفي المغربلين، ثم بالعباسية.

وامتد نشاطه إلى الطبيبات والمرضات داخل المستشفيات؛ فتعهدهن في مستشفى فؤاد الأول للولادة بالموعظة الحسنة والنصائح الغالية، مما كان له أثر محسوس في قيامهن بواجبهن الإنساني على خير الوجوه.

إلقاء دروس دينية في الإذاعة اللاسلكية:

وفي حوالي عام ١٩٣٩م نبتت فكرة إلقاء دروس دينية على أمواج الأثير، فكان مَنْ وقع عليه الاختيار لهذا العمل الجليل؛ فكان يلقي درساً في كل شهر تقريباً حتى لقي ربه.

دروس شهر رمضان في الأزهر الشريف:

وكان من عادته - رحمه الله - أن يلقي درساً في الجامع الأزهر بعد صلاة العصر من كل يوم من أيام رمضان المبارك، وقد ظل محافظاً على هذه العادة الجليلة، وكان فيها مخلصاً متفانياً، ولا أدلّ على ذلك من حرصه عليها وهو في مرض الموت!!

التأليف:

ألّف الفقيد الكتب الآتية:

- "الأخلاق"، وكان يدرّس في المعهد الابتدائي بالأزهر.
- "سبيل الحكمة في الوعظ والخطابة".
- "هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة".
- "الإبداع في مضار الابتداع".

- "الخطابة"، لم يُطبع، وقد ظهرت منه مذكرة مختصرة في ١٠٠ صفحة.

وكتب رشيد رضا في المنار مقالة عن كتاب الشيخ (الإبداع في مضار الابتداع)، فقال :

كتاب جديد صَنَّفَه أخونا الأستاذ الشيخ علي محفوظ من تلاميذ الأستاذ الإمام ، المدرس بقسم التخصص في الأزهر الشريف (طبق ما قرره المجلس الأعلى من مناهج التعليم في السنة الثالثة لقسم الوعظ والخطابة في الأزهر الشريف) فرغ من تأليفه سنة ١٣٤١ و طبع عقب ذلك، ثم أعيد طبعه في آخر سنة ١٣٤٨، وقد ذكر المصنّف في آخر الطبعة الثانية سبب إعادته طبعه فقال:

(لما ولي صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي مشيخة الجامع الأزهر الشريف ورياسة مجلسه الأعلى كان من باكورة أعماله الحكيمة أن وجّه (حفظه الله) عنايته إلى إصلاح نظام قسم الوعظ والخطابة ومناهجه إصلاحاً يكفل للطلاب النبوغ في هذا الفن، ويتناسب مع روح العصر الحاضر، فأدخل تعديلاً رشيداً في مواد الدراسة، وأضاف إلى مادة البدع والعادات زيادات ذات شأن. وقد عرض على مجلس الأزهر الأعلى مذكرة بشأن هذا الإصلاح فوافق عليه في جلسة يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٤٧. وقد طُبِعَ هذا الكتاب المرة الثانية في ذي الحجة من السنة المذكورة وهي تمتاز عن الطبعة الأولى بتنقيحات مفيدة مع تلك الزيادات التي أقرها المجلس الأعلى في الجلسة المذكورة - اقرأ الدليل) .

ويعني بالدليل فهرس الكتاب وهو مؤلف من مقدمة وبابين وخاتمة. وفي المقدمة مبحثان: الأول إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بغيره الدين، والثاني الحث على التمسك بالدين وإحياء السنة النبوية. والباب الأول في النظر في البدع من جهة الأصول والقواعد وفيه سبعة فصول وجُله مستمد من كتاب (الاعتصام) للشاطبي، والباب الثاني في النظر في البدع من جهة فروعها وفيه اثنا عشر فصلاً:

(١) في بدع المساجد، (٢) في بدع القابر والأضرحة وزيارة القبور وما فيها من المفسد، (٣) بدع الجنائز والمآتم، (٤) في بدع الموالد، (٥) منكرات الأفراح، (٦) بدع الأعياد والمواسم، (٧) في البدع التي تقع في العبادات، (٨) في بدع الطرق (أي طرق المتصوفة)، (٩) في بدع الاعتقادات، (١٠) في بدع الضيافة والولائم، (١١) في بدع المعاشرة والعادات، (١٢) في خرافات العامة وأوهامهم.

وفي كل فصل من هذه الفصول مسائل كثيرة لخص فيها كتاب المدخل لابن الحاج وزاد عليه بعض ما حدث بعده من منكرات العادات، وبدع الضلالات ومسائل متفرقة في كتب كثيرة جمعها في زهاء ٣٠٠ صفحة بقطع المنار.

ولم تكن كتابته لهذه المباحث كتأليف أكثر المتأخرين من علماء الأزهر وأمثالهم التي لا تعدو اختصار أحدهم لكتاب غيره وشرح آخر لبعض المختصرات. بما ينقله من المطولات، هو تصنيف جديد حملته عليه حاجة العصر إليه، وكان له فهم ورأي فيما ينقله عن غيره.

وجملة القول إن هذا الكتاب من الكتب النافعة الجديدة بالانتشار، ولعل ما يُنتقد من مسأله قليل، فهو خير من كثير من الكتب التي ينقل

عنها ويقول قال الإمام فلان والعلامة فلان، وإذا كان لا يسلم من الخطأ في مسائله فهو أولى بألا يسلم من الغلط في طبعه، وإن قال في آخر فهرسه إنه: (قد استغنى عن بيان الخطأ والصواب فيه لسلامته من الخطأ! وسنعود إلى بيان الشواهد على هذا إن وجدنا فرصة. وثنى النسخة منه ١٠ قروش وهو يُطلب من مكتبة المنار.^(١)

خاتمة:

وهكذا كان الفقيه الكريم شعلة من نور وعلم، تفرقت أشعتها في كل ناحية من نواحي الأمة؛ فكانت السراج الذي يهتدي به المهتدون. كان - رحمه الله - يرى أن العلم ثروة، وزكاتها الوعظ والإرشاد، ليكون علماً مباركاً طيباً، يزيده الله من فضله. ولقد كان واعظاً بسمته، وهيئته، ووقاره، ووقفته، ومشيته، قبل أن يكون واعظاً بقوله ومنطقه؛ فرحم الله الفقيه الجليل، وأحلّه مقامه بين الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

(١) المنار ٣١/٣٩٦

عبد الظاهر بن محمد أبو السمح (١٣٧٠هـ) (١)

هو العلامة الإمام عبد الظاهر بن محمد أبو السمح إمام وخطيب المسجد الحرام ولد في بلدة تلين بمصر في عام ١٣٠٠هـ وهو من عائلة اشتهرت برعايتها لشؤون تحفيظ القرآن الكريم حقبة من الزمن. حفظ القرآن الكريم على يد والده وهو في التاسعة من عمره ثم التحق بالأزهر فقرأ الروايات السبع وحفظ مجموعة في الحديث والتفسير والفقه واللغة وغيرها وعرضها على مشايخ الأزهر وكان يحضر مجلس الشيخ محمد عبده وهو صغير السن ثم اتصل بالشيخ أمين الشنقيطي فأثار له سبيل العقيدة السلفية فعكف على دراسة كتب ابن تيمية وابن القيم ثم عمل مدرسا بمدرسة ابتدائية بالسويس ثم عاد إلى القاهرة وطلب العلم ثم عين مدرسا بمدرسة الإسكندرية وهناك أسس جماعة أنصار السنة و كان من أعلام أنصار السنة في منطقة الرمل بالإسكندرية، فاعتدى على الشيخ وهو يؤم الناس في المسجد بسبب دعوته إلى توحيد الله عز وجل ثم طلبه الملك عبدالعزيز آل سعود _ رحمه الله عز وجل _ فقدم إلى مكة فشمله برعايته وعينه إماما وخطيبا للمسجد الحرام ثم أسس مدرسة دار الحديث بمكة المكرمة وقد كان الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة سنده الأكبر بعد الله في بث الدعوة ونشر العقيدة بهذه الدار التي تخرج منها الكثير من طلبة

(١) الأعلام ٤ / ١١ ، تذكرة أولي النهى ٤ : ٣٠٦ وعلي جواد الطاهر، في مجلة العرب ٧ :

٩٤٧ وأم القرى ١٣ رجب ١٣٧٠.

العلم ودعاة التوحيد وما زال إماما وداعيا إلى الله عز وجل إلى أن توفي رحمه الله بمصر عام ١٣٧٠هـ.

وله الكثير من الآثار السلفية منها:

١. الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية

٢. حياة القلوب بدعاء علام الغيوب

٣. الأولياء

٤. الكرامات

منهجية الشيخ في مؤلفاته العقيدية: (١)

من خلال النظر في مؤلفات الشيخ ، نذكر بعض الجوانب المهمة في مؤلفاته وهي تعكس حقيقة سيرة الشيخ، وهي ما يلي:

١ - معرفة الشيخ لشدة حاجة من كان في عصره - خاصة في مصر - إلى معرفة العقيدة السلفية وما يخالفها من العقائد الباطلة؛ ولذلك كتب بعض المؤلفات منها: (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب) و (الأولياء والكرامات) و (الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية) و (القصيدة النونية في بيان الوصيلتين الإسلامية والشركية وأنواع التوحيد).

٢ - منهجية الشيخ في كتابه (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب) مشاهدة لمنهجية كتاب (كشف الشبهات) للإمام محمد بن عبد الوهاب، وذلك في ذكر شبهات أهل الشرك وردّها.

وقد حرص الشيخ في كتابه (حياة القلوب) بذكر شبهات المشركين، فقد عقد فصلاً سماه (بيان حقيقة وإزالة شبهة).

(١) مستفاد من ملتقى أهل الحديث ، ببعض التصرف .

٣ - الشيخ في مؤلفاته العقدية قائمة على الاستشهاد بالكتاب والسنة وذكر شبهات أهل الشرك وردّها. ففي الغالب لا يستشهد بكلام العلماء، بل يكتفي بالكتاب والسنة.

٤ - يحذر الشيخ في كتابه (حياة القلوب) من اتباع علماء السوء الذي يدعون الناس إلى الأعمال الشركية ولا ينكرونها.

فقد قال في مقدمة الكتاب: (أما بعد: فهذه رسالة في توحيد الألوهية عنيت بها وكتبتها لما وجدت كثيراً من العلماء، فضلاً عن العامة، يؤهون غير الله بدعائهم ونذرهم، وغير ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة، ويسمون ذلك كله توسلاً ووساطة واستشفاعاً ...) ويقول أيضاً: (... وأكبر من ذلك وأدهى وأعظم فكراً أن كثيراً من ينتسبون إلى العلم والإسلام وبعض من يعدون من كبار العلماء، يحاربون بألسنتهم وأقلامهم كل من ينكر على العوام هذه الأعمال الشركية، ويعادونه أشد العدا، ولو استطاعوا إسكاته ما قصرُوا، فإننا لله وإنا إليه راجعون).

٥ - ينبه الشيخ في مؤلفاته أن عباد القبور يستدلون بأحاديث ضعيفة أو موضوعة وأنهم لا يفهمون الاستدلال بالأحاديث، وقد ذكر الشيخ هذا في كتابه (الأولياء والكرامات) فقال: (... ويأتونك بأحاديث أكثرها ضعيف أو موضوع، أو صحيح، ولكن له معنى لا يخالف القرآن وسائر الأحاديث الصحيحة، وهم يفهمون بالعكس؛ لأن عقولهم منكوسة وبصائرهم بالشرك مطموسة).

٦ - من منهجية الشيخ في مؤلفاته إيراد السؤالات والإلزاميات على عباد القبور، وقد ظهر هذا جلياً في كتابه (الأولياء والكرامات) ومن أمثلة

ذلك قوله في هذا الكتاب (أسئلة مفحمة من أولياء الله إلى عباد القبور وعلمائهم).

٧ - لا يستشهد الشيخ في مؤلفاته بالأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٨ - من منهجية الشيخ في مؤلفاته عنونة المباحث التي يذكرها، فهو لا يذكرها سرداً أو في عناوين قليلة، بل كل مسألة يذكره لها عنواناً مستقلاً تسهيلاً لقارئ الكتاب.

٩ - أسلوب الشيخ في مؤلفاته العقدية قائم على الوضوح والسهولة فلا تكلف ولا تقعر في الكلام، وهو مشابه لأسلوب أئمة الدعوة في نجد.

١٠ - يظهر الشيخ في مؤلفاته غضبه وغيته على توحيد الله، ومن أمثلة ذلك قوله في كتابه (الأولياء والكرامات): (وكم انفقت الأوقاف في بناء هذه الأصنام ومساجدها حسيبهم الله، ولو أنهم بنوا بها سفناً حربية، أو أنفقوها في تربية أبناء الأمة، ولكن ضلوا ضلالاً بعيداً، ومنذ أن استولت الإفرنج على البلاد زادت الطيب بلة والأمة ذلة، وأخلوا المدارس من الدين والعلم الصحيح، وفتحوا للناس أبواب الشر والجهالة على مصراعيها، وحموا الكفر والفسوق أحسن حماية فأذلوا الأبرار وأعزوا الفجار، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإن ربك لبالمرصاد، وسوف يخزيهم الله ويبعث عليهم من يدمرهم ويذلهم، وما هي إلا فتنة يهودية سيطفئها الله قريباً)

١١ - من منهجية الشيخ في مؤلفاته العقدية إظهار التحدي والإلزام على عباد القبور. ومن أمثلة ذلك قوله في كتابه (الأولياء والكرامات): (مطالبة هؤلاء العلماء بأدلة شرعية على أعمالهم هذه الباطلة وقيام هذه التماثيل بينهم بغير تكبر) نعم نطالب هؤلاء العلماء بدليل شرعي على

تخصيص بعض الصالحين بإقامة هذه التماثيل بأسمائهم، وهذه القباب المشيدة المزخرفة عليهم، من الكتاب أو السنة، وفي أي كتاب من كتب المذاهب الأربعة المتبعة، وما هم بواحدين).

١٢ - يحكي الشيخ في مؤلفاته العقدية حالة من كان في عصره من عباد القبور.

ومن ذلك قوله في كتابه (الأولياء والكرامات): (فانظر: إلى مقارئ مصر عند التماثيل ترى المشايخ جالسين يقرأ كل واحد منهم جزءاً من القرآن عكوفاً على الصنم المسمى السيد فلان، والله قد مقتهم وغضب عليهم ...)

وقول أيضاً: (وإنك لتعجب ممن يتقدمون للاختبار في الأزهر لأخذ الشهادة العالمية، إذ يذهبون لضريح الإمام الشافعي يستعينون به ويستنجذونه ويضرعون إليه، ليحضرهم وقت الاختبار وينجحهم، وكذلك يطفون على كل ضريح يستنجذون به ..).

١٣ - من منهجية الشيخ في مؤلفاته العقدية عدم التصريح بأسماء وأعيان دعاة الشرك وأتباعهم.

١٤ - من منهجية الشيخ في مؤلفاته العقدية تنوع الأسلوب والمنهج، فهو ينتقل من أسلوب لآخر وهذا كله ليقنع القارئ ومن عنده شبهة من أتباع عباد القبور.

١٥ - يثني الشيخ في مؤلفاته بشيخه محمد رشيد رضا ويحيل عليه في بعض المسائل العقدية.

ومن ثناءه عليه قوله في القصيدة النونية:

لله درك يا رشيدُ مفسراً أو مفتياً أو هادي الحيران

أنت الإمام وحجة الإسلام في هذا الزمان ومنبع العرفان
١٦ - يدعوا الشيخ في القصيدة النونية للملك عبدالعزيز بن
عبدالرحمن آل سعود موحد الجزيرة وكذلك يدعوا لأسرة آل سعود.
يقول الشيخ في القصيدة النونية:

وانصر أخا التوحيد سيد يَعْرُب (عبدالعزيز) على ذوي الأوثان
واضرب رقاب الغادرين بسيفه وأذقهم السوء بكل مكان
وأحفظ لنا آل السعود جميعهم أنصار إسلام مدى الأزمان
١٧ - نقل الشيخ في آخر كتابه (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب)
عقيدة أبي الحسن الأشعري من كتابه (مقالات الإسلاميين) ثم قال:
(يقول عبد الظاهر محمد أبو السمح، إمام الحرم الملكي ومدير دار
الحديث: وبكل ما ذكر من قوله نقول، وبما دانوا به ندين، على بصيرة
ونور، لا بعصبية وتقليد.

وقد نقلنا هذه النسخة حرفياً من كتاب المقالات للإمام أبي الحسن
الأشعري، لتكون حجة على الذين يزعمون أنهم أشعريو العقيدة، وهم في
الحقيقة جهميون، أتباع الجهم بن صفوان الخبيث، المنكر صفات الرب
سبحانه وتعالى، النافي كل ما دلت عليه الآيات والأحاديث بالتأويل
والتعطيل).

ينبه الشيخ في كلامه أن الأشاعرة الذين يزعمون أنهم على عقيدة أبي
الحسن الأشعري هم في الحقيقة جهمية لأن عقيدة أبي الحسن الأشعري
هي عقيدة السلف.

١٨ - كراهة الشيخ للمدح والإطراء، وتواضعه الشديد، واستصغاره
لنفسه.

ومما يدل على ما ذكر أن ناشر كتاب الشيخ (حياة القلوب بدعاء
علام الغيوب) وهو محمد مصطفى الفقيه صاحب مطبعة الصاوي عند
نشره كتاب الشيخ ذكر في المقدمة ترجمة للشيخ، فما كان من الشيخ إلا
أن كتب للناشر رسالة فيها دلالة على استصغار الشيخ لنفسه وتواضعه،
وفيها أيضاً درس لبعض أهل العلم ممن يجب المدح والإطراء.
وهذه رسالة الشيخ - رحمه الله - .

(من المؤلف إلى الناشر:

هذا ما ورد إلينا من فضيلة الأستاذ المؤلف، إثر اطلاعه على ما ذكرناه
من ترجمته، ننشره هنا قياماً بواجب الأمانة، وإن كنا لم نتمكن من إنفاذ
رغبته.

أخي محمد:

سلام عليك: أما بعد فقد وصلني كتابك وما كدت أطلع على ما
ذكرته من ترجمتي، حتى وضعت يدي على وجهي استحياء، فقد ألبستني
ثوباً فضفاضاً واسعاً سابغاً من المدح والإطراء، أرى أني لا أستحقه.
وقد جاء في الأثر: أن رجلاً مدح آخر عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال (قتلت الرجل) ونهى عن الإطراء في المدح والثناء، لما عسى أن يوقع
ذلك في الغرور. وإني أعيد نفسي من ذلك. وأسأله تعالى أن يحقق في
حسن ظنكم وظن غيركم من الأحباب، ويغفر لي ما لا تعلمون.
فإن كان في الإمكان أن ترمح ما جاء بها من عبارات الإطراء، كان
ذلك أحب إلى نفسي وأرضى. وإن كان لا سبيل إلى محو ما كان، فليس
لي حيلة بعد إلا أن أقول:

حسبي الله، يا رب أشهد علي وأنت على كل شيء شهيد، إني أبرأ إليك من كل مدح وإطراء لا استحققه، وإن يكن في شيء مما وصفني به أحد من المدائح، فهو منك وحدك أنت الذي سهلت لي، ومنحتني من غير حول لي ولا قوة.

وأرجو من الأخ أن يثبت هذه الكلمة بالرسالة ولا بد، حتى لا أكون مصرّاً على إطراء لا أستحققه وأنا حي أسمع وأرى، والسلام عل من اتبع الهدى.

أخوكم أبو السمع).

المنار والإصلاح:

تحت هذا العنوان ، قال الشيخ :

كانت مجلة المنار مجلة إصلاح إسلامي لا يجاريها في مضمارها مُجَارٍ، ولا يسبقها في حلبتها سابق ، كانت تُعْنَى بتفسير القرآن الكريم وشرحه من السنة المحمدية على طريقة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - رحمه بالله؛ فبعد أن تُقَرَّر المعنى تفضي بما في الآيات من العبر، مقارنةً بين ما كان عليه المسلمون الأولون وتمسكهم بالقرآن وعملهم به، وما عليه مسلمو هذا الزمان، مهيةً بهم ، منذرةً لهم، مبينةً ما يحدثه المبتدعون في الدين من البدع، مجليةً شبه الضلال والملحدين من الأمة بالأدلة الواضحة والحجج الساطعة، وكان صاحبها أستاذنا العلامة السيد رشيد - رحمه الله - لا يخشى في الحق لومة لائم ولا سطوة حاكم ، ولا يجامل صديقاً، ولا يصانع عدوّاً، ولا يرعى غنياً لغناه، ولا فقيراً لفقره، وكانت خاتمة الحسن ما علمه الخاص والعام مما انتهى إليه تفسيره {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ

الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ { (يوسف: ١٠١)
يا لها من خاتمة حسنى! وموقف جميل! لم يكن إلا بتوفيق من الله لعبد
رضي الله عنه وتولاه، وأدخله في عبادته الصالحين وأوليائه، ولما توفي السيد
- رحمه الله - قلت وقال الناس معي:

شعلة أطفئت وشمس توارت ... وكأن الحياة لمع سراب

ووقف المنار ، وتوارى عن الظهور وخلا الكرسي ، ولم نجد من يملؤه
بعده ، ولا من يسد مسده ذبًا عن الإسلام ، ودرءًا لشبهات ، وبيانًا
لحقيقة الإسلام ، حتى مضت ثلاث سنين أو أكثر ونحن ندعو الله أن
يهب الإسلام مرشدًا رشيدًا يضيء النهج وليل الجهالات قاتم ، وكأن الله
سمع دعاءنا ، فقيض لجملة المنار من يبعثها بعثًا جديدًا ، مصقًا إذا خطب ،
مدرها إذا كتب ، ذكي الفؤاد ، قادرًا على حمل الأعباء ، عالمًا ألعيا
وشجاعًا عبقرًا ، ذلك هو الأستاذ المرشد الجليل الشيخ حسن البنا المرشد
العام لجماعة الإخوان المسلمين - حفظه الله ، فنهنته بهذا التوفيق ، ونهنت
جملة المنار وقراءها بتولي حضرته رياسة تحريرها ، ونسأل الله له التوفيق
والسداد والعون على القيام بها.

وقد انتدبني حضرته للكتابة فيها بحسن ظنه ، وما كنت لأخالفه ، لولا
أشغال كثيرة وأعمال متواصلة تستنفذ الوقت كله ؛ ولكن لا بد من تلبية
الطلب كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً بحول الله وقوته - وإن كنت مزجى
البضاعة عاجز البراعة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله.

وسيكون موضوع كتابتي - إن شاء الله - الكتاب والسنة، والدعوة
إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح ما استطعت،
وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

كتبه

أبو السمح^(١)

محمد أحمد عبد السلام الشقيري (١٣٧١هـ -)

هو محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري .

- مولده : ولد ببلدة بني شقير بمحافظة المنيا عام ١٩٠١ م .
- مؤهلاته الدراسية : لم يحصل على أي مؤهل علمي ، وبذلك فقد بدأ حياته عاملاً في (شركة السكر بالحوامدية) ، ورغم أنه كان يقوم بأشق الأعمال إلا أن ذلك لم يحل بينه وبين طلب العلم ، حتى برز على كثير ممن أفنوا أعمارهم في معاهد العلم .
- كان من تلاميذ الشيخ محمد رشيد رضا .
- اختير نقيباً للعمال على مستوى الجمهورية (المملكة يوم ذاك) ، وقد نال العمال على يديه كثيراً من حقوقهم ، ونال هو كثيراً من الاضطهاد على يدي أصحاب الشركة (شركة السكر) بعد أن رفض كل ما أغروه به من المال والمركز نظير التخلي أو التواني في مطالب العمال

- وفاته : توفي في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ هـ ، وقد خرج لتشيع جنازته جميع عمال الشركة مع أنصار السنة المحمدية بالحوامدية والبلاد المجاورة لها . وقد خطب فضيلة الشيخ / محمد حامد الفقي خطبة بليغة في مآثر الفقيد أسالت العبرات ، وقد كتبت عنه مجلة (الهدي النبوي) - لسان حال أنصار السنة وقتئذ - تقول : (الشيخ محمد عبد السلام هو ممن أفنوا حياتهم على الدعوة إلى الله وإلى هدي رسوله في وقت نبذ الجمهرة فيه كتاب الله وراء ظهورهم - إلى أن قالت : - وسار

رحمه الله سيرة المؤمن الواثق بربه المحب لإخوانه والشفوق بهم ، فأخذ يرشدهم إلى السُّنة ، ويدعوهم إلى الدين الحق ، ويحارب ما تفشى بين العمال - بسبب الجهل - من المخدرات المهلكات ، حتى أحسوا جميعاً بما يحمل لهم بين جنبه من الرغبة الأكيدة في رفع مستواهم فاختروه رئيساً لنقابتهم) .

• صلته بالشيخ رشيد رضا : لما أصدر الشيخ / عبد السلام كتاب (السنن والمبتدعات) كتب عنه الشيخ / رشيد رضا (بالجلد ٣٤ ج ٦) من مجلة (المنار الإسلامية) تحت عنوان : (كتاب السنن والمبتدعات ... تأليف الشيخ / محمد عبد السلام خضر الشقيري ، ومؤسس الجمعية السلفية بالحوامدية ، وأما هذه الجمعية فهي ثمار اشتغال رئيسها بكتب الحديث والدعوة إلى الاقتداء بها ، وقد جربت مرشدهم وداعيتهم بالنصيحة فألفيته يقبلها مغتبطاً مسروراً داعياً لي ، ولما رأيته في أول رسالة له ينقل الأحاديث النبوية من غير أن يعزوها إلى مخرجيها ، أنكرت عليه ونصحته بالمراجعة وتخريج الأحاديث ، فقبل النصيحة ونوه بها) .

ويقول الشيخ / محمد عبد السلام عن أثر هذه النصيحة بعد أن اشتغل بعلم الحديث : (وكان سبب ذلك انتقاد شيخنا السيد رشيد رضا أمام المفسرين والمحدثين علينا في بعض الأحاديث الواهية في كتابنا المنة ، فكان ذلك سبباً في اشتغالنا بعلم الحديث النبوي) .

• صلته بأنصار السنة المحمدية : كان وثيق الصلة بالشيخ / حامد الفقي مؤسس أنصار السنة المحمدية ، والذي كان يذهب لزيارته في الحوامدية ، كما كانت له علاقة علمية طيبة مع الشيخ / أبو الوفاء درويش (مؤسس أنصار السنة المحمدية بسوهاج) ، والذي كان يزوره

في الحوامدية أيضاً . كما كان له صلة بالشيخ / عبد الرحمن الوكيل ،
والشيخ / محمد على عبد الرحيم ، والشيخ / عبد العزيز بن راشد
النجدي ، وكان من رفقاءه في الدعوة في الحوامدية : الأخ الشيخ / محمد
هيكل (مؤسس أنصار السنة المحمدية بطوخ طنبشا) ، والذي حكى لي
الكثير عن جهاد الشيخ / محمد عبد السلام ، وترجع صحبته له إلى سنة
١٩٤٠ م ومما يدل على صلته الطيبة بأنصار السنة أنه كان يحضر الندوات
والمؤتمرات التي تعقدها الجماعة ويلقى فيها الكلمات ناصحاً وموجهاً
ومنتقداً أحياناً كما حدث في المؤتمر الذي عقدته الجماعة في ٢ شوال سنة
١٣٥٧هـ وحضره فضيلة الشيخ / محمد عبد الحليم الرمالي ، وألقى
كلمة طيبة بين فيها لدعاة أنصار السنة المحمدية كيف يقومون بالدعوة
بالأساليب الصحيحة . كما كان رحمه الله يكتب لمجلة (الهدى النبوي)
، بل إنه كتب عند ظهور (الهدى النبوي) يقول : (أبشروا أيها
المؤمنون بظهور (الهدى النبوي) وتحقيق التوحيد السماوي ، وبيان
العقائد الثابتة الصحيحة السليمة ، والهداية القرآنية ، والحقائق الإسلامية ،
والعبادات المحمدية .. ولقد حقق الله أمنيته - والحمد لله - فأظهر مجلة (الهدى النبوي)
على يد الأستاذ الجليل الداعي إلى السنة ، والمحارب
للبدعة الشيخ / محمد حامد الفقي صاحب مجلة (الإصلاح) الحجازية
سابقاً ، وإنني لأرجو أن يجعل الله هذه المجلة زعيمة المجلات الإسلامية
كلها) . وعندما أصدر الشيخ محمد بن عبد السلام كتاب (السنن
والمبتدعات) كتب الشيخ / محمد حامد الفقي يقرظ الكتاب بقوله : (والأخ
الشيخ محمد قد طوف طويلاً وجرى أشواطاً بعيدة ، لكنه بحمد
الله قد عاد من طويل تطوافه إلى الحق من هدي رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وإلى العافية من مرض القلب والنفس بالشبهات والبدع والخرافات ، وإلى شاطئ الأمن والنجاة والسلامة من الأهواء ، ووثنية الصوفية ، وجهالات العادات ، والتقليد الأعمى للشيوخ ، فوقف حياته وجهده على دعوة الناس إلى العافية التي نالها بفضل ربه ، فهو واثب الدعوة بلسان وبين خصومه وإخوانه) .

• رفقاؤه في الحوامدية : فهم على سبيل المثال : الشيخ / محمد صالح ، والشيخ / عبد الواحد إدريس ، وعبد الرحمن أحمد عبد السلام ، وحسن محمد كامل ، وعبد الرحمن محمد كامل ، وعبد المنعم حسن ، وطه الواصي ، والشيخ / إبراهيم الخولي .

• إنتاجه العلمي : أشهر كتبه (السنن والمبتدعات) ، وقد ذكر فيه ٩٦٠ بدعة في الصلوات والأذكار والصيام والحج وغير ذلك ١٣٠ من الأحاديث الموضوعة والخرافات الفاشية بين الناس . وله أيضاً كتاب (المنحة المحمدية) ، ورسالة في القول الجلي ، ورسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورسالة في حكم قراءة القرآن على الأموات ، أجزل الله له الثواب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أحمد محمد شاكر (١٣٧٧هـ) (١)

هو الشيخ العلامة محدث وادي النيل شيخ مشايخنا أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر من آل أبي علياء، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب.

مولده:

ولد بعد فجر يوم الجمعة ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩هـ الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٨٩٢ (وهي نفس السنة التي ولد فيها الشيخ: محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة)، وكان مولده بدرب الإنسية قسم الدرب الأحمر بالقاهرة، وسماه أبوه (أحمد شمس الأئمة، أبو الأشبال). والده: هو العلامة الشيخ: محمد شاكر، شغل منصب وكيل الأزهر الشريف، وأبوه وأمه جميعاً من مديرية جرجا ((محافظة سوهاج)) بصعيد مصر.

- لما عين والده الشيخ محمد شاكر قاضياً بقضاء السودان ١٩٠٠م أخذه معه وأدخله كلية غورون، فبقي بها حتى عودة والده إلى الإسكندرية سنة ١٩٠٤م، فالتحق بمعهد الإسكندرية. وفي سنة ١٣٢٧هـ الموافق ١٩٠٩م عين والده الشيخ محمد شاكر وكيلاً لمشيخة الأزهر الشريف، فالتحق الشيخ: أحمد شاكر وأخوه (علي)

(١) الأعلام (١/ ٢٥٣) مقدمة الرسالة للشافعي (٨) ومعجم المؤلفين (١٣ / ٣٦٨) ومجلة التوحيد (العدد الرابع ربيع الآخر ١٤١٧هـ / ص ٤٨ - ٥١).

بالأزهر، فاتصل بعلماء القاهرة ورجالها وعرف طريق دور الكتب العامة والمكتبات الموجودة في مساجدها.

وقد حضر في ذلك الوقت إلى القاهرة الأستاذ عبد الله بن إدريس السنوسي عالم المغرب ومحدثها، فتلقى عنه طائفة كبيرة من ((صحيح البخاري))، فأجازه هو وأخاه برواية البخاري. كما أخذ عن الشيخ محمد بن الأمين الشنقيطي كتاب ((بلوغ المرام)).

كما كان من شيوخه أيضاً الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي ((عالم القبائل المثلثة))، وتلقى أيضاً عن الشيخ شاكر العراقي فأجازه، وأجاز أخاه علياً بجميع كتب السنة.

كما التقى بالقاهرة من علماء السنة الشيخ: طاهر الجزائري ((عالم سوريا))، والأستاذ محمد رشيد رضا ((صاحب المنار)).

حصل على شهادة العالمية بالأزهر سنة ١٩١٧م، فعين مدرساً بمدرسة ماهر. ثم عين عضواً بالمحكمة الشرعية العليا، وظل في سلك القضاء حتى أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٥١م، عمل مشرفاً على التحرير بمجلة ((الهدي النبوي)) سنة ١٣٧٠هـ، وكان يكتب بها مقالاً ثابتاً ب: ((اصدع بما تؤمر - كلمة الحق))، وقد طبعته دار الكتب السلفية.

مكانته العلمية:

كان والده الشيخ: محمد شاكر هو صاحب الأثر الكبير في توجيه الشيخ أحمد شاكر إلى معرفة كتب الحديث منذ عام ١٩٠٩م، فلما كانت سنة ١٩١١م اهتم بقراءة ((مسند أحمد بن حنبل)) رحمه الله، وظل منذ ذلك التاريخ مشغولاً بدراسته حتى بدأ في طبع شرحه على ((المسند)) سنة ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٦م، وقد بذل في تحقيقه أقصى ما يستطيع

عالم من جهد في الضبط والتحقيق والتنظيم، وعاجلته المنية دون أن يتمكن من مراجعته، ولم يقدر أحد أن يكمله على النمط الذي خطه الشيخ أحمد شاكر، فقد كان المقدر لفهارس ((المسند)) أن يكون المدار فيها على مشارب شتى من المعاني التفصيلية التحليلية الدقيقة، ولقد كان الشيخ أحمد شاكر كما يقول عنه المحقق الأستاذ عبد السلام محمد هارون: ((إماماً يَعُسر التعريف بفضلِه كل العُسر، ويقصر الصنع عن الوفاء له كل الوفاء)).

وقال عنه الشيخ محمود محمد شاكر: (وهو أحد الأفذاذ القلائد الذين درسوا الحديث النبوي في زماننا دراسة وافية، قائمة على الأصول التي اشتهر بها أئمة هذا العلم في القرون الأولى، وكان له اجتهاد عُرف به في جرح الرجال وتعديلهم، أفضى به إلى مخالفة القدماء والمحدثين، ونصر رأيه بالأدلة البينة، فصار له مذهب معروف بين المشتغلين بهذا العلم على قلتهم).

وكان لمعرفته بالسنة النبوية ودراستها أثر كبير في أحكامه، فقد تولى القضاء في مصر أكثر من ثلاثين سنة، وكان له فيها أحكام مشهورة في القضاء الشرعي، قضى فيها باجتهاده غير مقلد ولا متبع.

تصانيفه العلمية والفقهية:

- (١) - تحقيق رسالة الشافعي ((كتاب الرسالة))،
- (٢) - ((مسند أحمد بن حنبل))، وقد طبعته دار المعارف ضمن سلسلة ((ذخائر العرب))،
- (٣) - و تحقق كتاب ((الشعر والشعراء لابن قتيبة))،
- (٤) - و ((لباب الأدب لأسماء بن منقذ))،

- (٥) - كتاب ((المعرب للجواليقي)).
- (٦) - ومن أظهر أعماله وأنفعها: شرحه المستفيض لكتاب الحافظ ابن كثير ((اختصار علوم الحديث)) في مجلد كبير. ونجد له في مجال التفسير
- (٧) - ((عمدة التفسير)) تهذيباً لتفسير ابن كثير، وقد أتم منه خمسة أجزاء.
- (٨) تفسير الطبرى
وفي مجال الفقه وأصوله
- (٩) - ((الأحكام)) لابن حزم.
- (١٠) - وجزأين من ((المحلى)) لابن حزم.
- (١١) ((العمدة في الأحكام)) للحافظ عبد الغني المقدسي.
وإنتاجه في هذا المجال لا يحيط به مقال، أما عن أهم ما ألفه رحمه الله فهو كتاب:
- (١٢) - ((نظام الطلاق في الإسلام)) دل فيه على اجتهاده وعدم تعصبه لمذهب من المذاهب، وله فيه آراء أثارت ضجة عظيمة بين العلماء، لكنه لم يتراجع ودافع عن رأيه بالحجة والبرهان، كما طبعت له أخيراً مكتبة السنة رسالتين هما
- (١٣) - ((الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين))
- (١٤) - ((كلمة الفصل في قتل مدمني الخمر)).
- (١٥) - تحقيق تفسير الإمام معين الدين.

موقفه من المبتدعة:

- قال: وعلى النهج القويم سار عليه أئمتها من أهل الحديث سرت، فيما عرضت له من مسائل الخلاف: لا حجة إلا فيما قال الله أو قال رسوله، وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} (١). {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٦٥) [النساء: ٦٥].

لا نقلد ديننا الرجال، ولا نفرق بين ما جمعه رسول الله، ولا نجتمع ما فرّق بينه، ولا نقول: ما فرّق بين كذا وكذا؟ لأن قول (ما فرّق بين كذا وكذا؟) فيما فرّق بينه رسول الله - لا يعدو أن يكون جهلاً ممن قاله، أو ارتياباً شراً من الجهل، وليس فيه إلا طاعة الله باتباعه.

فقد أمرنا الله باتباع نبيه، وجعل طاعته والرضا بحكمه شرطاً في صحة الإيمان به، فما جاء من سنته فيما فيه نصّ كتاب فهو بيان للكتاب، بيان لعامّه وخاصّه، وناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك. وما سنّ رسول الله فيما ليس لله فيه حكم فبحكم الله سنّه. وكذلك أخبرنا الله في قوله: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} * صِرَاطِ اللَّهِ { [الشورى: ٥٢ و٥٣] وقد سنّ رسول الله مع كتاب الله، وسنّ فيما ليس فيه بعينه نصّ كتاب. وكل ما سنّ فقد ألزمنّا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العُنود عن اتباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقاً، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجاً، لما وصفت، وما قال رسول الله. أخبرنا سفيان عن سالم أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله سمع عبيد الله بن أبي رافع يحدث عن أبيه أن رسول

الله قال: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه». وقال الشافعي أيضاً: (فيما وصفت من فرض الله على الناس اتباع أمر رسول الله دليل على أن سنة رسول الله إنما قبلت عن الله، فمن اتبعها فبكتاب الله تبعها، ولا نجد خيراً ألزمه الله خلقه نصّاً بيناً إلا كتابه ثم سنة نبيه، فإذا كانت السنة كما وصفت، لا شبه لها من قول خلق من خلق الله، لم يجوز أن ينسخها إلا مثلها، ولا مثل لها غير سنة رسول الله، لأن الله لم يجعل لآدمي بعده ما جعل له، بل فرض على خلقه اتباعه، فألزمهم أمره، فالخلق كلهم له تبع، ولا يكون للتابع أن يخالف ما فرض عليه اتباعه، ومن وجب عليه اتباع سنة رسول الله لم يكن له خلافتها، ولم يقدّم مقام أن ينسخ شيئاً منها).

فلا عذر لأحد يعلم حديثاً صحيحاً أن يخالفه، لا تقليداً ولا اجتهداً، ولا استحساناً ولا استنباطاً، كما قال الشافعي -وهو ناصر الحديث حقاً-: (لا يجوز لأحد علمه من المسلمين -عندي- أن يتركه إلا ناسياً أو ساهياً). وكما قال أيضاً: (وأما أن نخالف حديثاً عن رسول الله ثابتاً عنه-: فأرجو أن لا يؤخذ ذلك علينا إن شاء الله. وليس ذلك لأحد، ولكن قد يجهل الرجل السنة فيكون له قولٌ يخالفها، لا أنه عمّد خلافتها، وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل).^(١)

(١) شرح سنن الترمذي (١/ ٦٧ - ٧٠).

- قال: ولقد عُنيْتُ بهذا الأمر كما عُني -يعني بعلوم الحديث-، ورأيتُ أن أجلَّ خدمة لهذا الكتاب التوسعُ في تحقيق دقائق التعليل، تقريباً لها في أذهان القارئ، وإرشاداً للمستفيدين، وتسهيلاً للباحثين، وليكون ذلك حافزاً لطلاب الحديث على أن يغوصوا في أعماق فنونه، ويستخرجوا منها الدرر الغالية، التي بها يفقهون كتاب الله حقَّ فقهه، ويؤدّون أمانة الله حقَّ أدائها، حتى يَسْمُوا بذلك إلى الذروة العليا في العلم والعمل، في الدين والدنيا، فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصّاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه، فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرّيب، ونوّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة.

وليعلم من يريد أن يعلم: من رجل أسلس للعصبية المذهبية قياده، حتى ملكت عليه رأيه، وغلبته على أمره، فحادت به عن طريق الهدى؛ أو من رجل قرأ شيئاً من العلم فداخله الغرور، إذ أعجبتبه نفسه، فتجاوز بها حدّها، وظنّ أن عقله هو العقل الكامل، وأنه (الحكم التّرضى حكومته) فذهب يلعب بأحاديث النبيّ، يصحح منها ما وافق هواه وإن كان مكدوباً موضوعاً، ويكذب ما لم يعجبه وإن كان الثابت الصحيح؛ أو من رجل استولى المبشّرون على عقله وقلبه، فلا يرى إلا بأعينهم، ولا يسمع إلا بأذانهم، ولا يهتدي إلا بهديهم، ولا ينظر إلا على ضوء نارهم يحسبها نوراً، ثم هو قد سمّاه أبواه باسم إسلاميّ، وقد عدّ من المسلمين -أو عليهم- في دفاتر المواليد وفي سجلّات الإحصاء، فيأبى إلا أن يدافع عن هذا الإسلام الذي ألبسه جنسيّة ولم يعتقده ديناً، فتراه يتأوّل القرآن ليخضعه لما تعلّم من أسناده، ولا يرضى من الأحاديث حديثاً يخالف

آراءهم وقواعدهم، يخشى أن تكون حجّتهم على الإسلام قائمة!! إذ هو لا يفقه منه شيئاً؛ أو من رجل مثل سابقه، إلا أنه أراح نفسه، فاعتنق ما نفثوه في روحه من دين وعقيدة، ثم هو يأبى أن يعرف الإسلام ديناً أو يعترف به، إلا في بعض شأنه، في التسمي بأسماء المسلمين، وفي شيء من الأنكحة والمواريث ودفن الموتى: أو من رجل مسلم علّم في مدارس منسوبة للمسلمين، فعرف من أنواع العلوم كثيراً، ولكنه لم يعرف من دينه إلا نزرّاً أو قشوراً، ثم خدعته مدينة الإفرنج وعلومهم عن نفسه، فظنهم بلغوا في المدنية الكمال والفضل، وفي نظريات العلوم اليقين والبداهة، ثم استخفّه الغرور، فزعم لنفسه أنه أعرف بهذا الدين وأعلم من علمائه وحفظته وخلصائه، فذهب يضرب في الدين يميناً وشمالاً، يرجو أن ينقذه من جمود رجال الدين!! وأن يُصِفِّيه من أوهام رجال الدين!!؛ أو من رجل كشف عن دخيلة نفسه، وأعلن إلحاده في هذا الدين وعداوته، ممن قال فيهم القائل: (كفروا بالله تقليداً)؛ أو من رجل ممن ابتليت بهم الأمة المصرية في هذا العصر، ممن يسمّيهم أخونا النابغة الأديب الكبير كامل كيلاني (المجدّينات) (١)... أو من رجل ... أو من رجل ...

ليعلموا هؤلاء كلهم، وليعلم من شاء من غيرهم: أن المحدثين كانوا محدّثين ملهمين، تحقيقاً لمعجزة سيد المرسلين، حين استنبطوا هذه القواعد المحكمة لنقد رواية الحديث، ومعرفة الصحاح من الزيف، وأنهم ما كانوا

(١) قال بهامشه: هكذا والله سمّاهم هذا الاسم العجيب، وحين سأله سائل عن معنى هذه التسمية، أجاب بجواب أعجب وأبدع: هذا جمع مخنث سالم!! فأقسم له سائله أن العربية في أشدّ الحاجة إلى هذا الجمع في هذا الزمان!.

هازلين ولا مخدوعين، وأنهم كانوا جادّين على هدى وعلى صراط مستقيم ، فكانت تلك القواعد التي ارتضوها للتوثّق من صحة الأخبار أحكم القواعد وأدقّها، ولو ذهب الباحث المثبت يُطبّقها في كل مسألة لا إثبات لها إلا صحة النقل فقط: لآتته ثمرتها الناضجة، ووضعت يده على الخبر اليقين.

وعلى ضوء هذه القواعد سار علماؤنا المتقدمون في إثبات مفردات اللغة وشواهداها، وفي تحقيق الوقائع التاريخية الخطيرة، ولن تجد من ذلك شيئاً ضعيفاً أو باطلاً إلا ما أبطلته قواعد المحدثين، وإلا فيما لم ينل العناية بتطبيقها عليه.^(١)

- قال في كتابه 'الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين': إن الله أرسل محمداً هادياً وبشيراً ونذيراً، وحاكماً بين الناس بما أنزله عليه. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ودعا الناس إلى طاعته في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، عباداتهم ومعاملتهم. وأنزل عليه شريعة كاملة، لم تَسْمُ إليها شريعة من الشرائع قبلها، ولن يأتي أحد من بعده بخير منها ولا بمثلها. ذلك بأن الله خلق الخلق وهو أعلم بهم، وذلك بأن محمداً خاتم النبيين.

شرع الله هذه الشريعة الكاملة للناس كافة، وفي كل زمان ومكان، بعموم بعثة الرسول الأمين، وبختم النبوة والرسالة به. فكانت الباقية على الدهر، ونسخت جميع الشرائع. ولم تكن خاصة بأمة دون أمة، ولا بعصر دون عصر. ولذلك كانت العبادات مفصّلة بجزئياتها، لأن العبادة لا تتغير

(١) شرح سنن الترمذي (١/ ٧٠ - ٧٣).

باختلاف الدهور والعصور. وكان ما سواها من شؤون الفرد والمجتمع، في المعاملات المدنية، والمسائل السياسية، ونظام الحكومات، والقواعد القضائية، والعقوبات، وما إلى ذلك، قواعدً كليّة سامية، لم يُنصّ على تفاصيل الفروع فيها، إلا على القليل النادر، في الأمر الخطير، مما لا يتأثر باختلاف الزمان والمكان.

فقام سلفنا الصالح، المسلمون الأولون، بإبلاغ هذه الشريعة والعمل بها، في أنفسهم وفيما دخل من البلدان في سلطاتهم، فنفّذوا أحكامها على الناس كافة، وفي جميع الأحوال، واجتهدوا في تطبيق قواعدها على الوقائع والحوادث، واستنبطوا منها الفروع الدقيقة، والقواعد الأصولية والفقهية، بما آتاهم الله من بسطة في العلم، وإخلاص في الدين، حتى تركوا لنا ثروة تشريعية، لا نجد لها مثيلاً في شرائع الأمم، وحتى كان من بعدهم عالة عليهم.^(١)

- وقال أيضاً: أيها الناس! إننا جميعاً مسلمون، نحرص على ديننا، ونزعم أننا لا نبغي به بدلاً، ولكننا نخطئ فهم الدين، ونظن أنه لا يتجاوز ما يُقام فينا من شعائر العبادة، وما يهتف به الوعّاظ والخطباء من الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ويخيل إلى كثير منا أنه لا شأن للدين بالمعاملات المدنية، والحقوق الاجتماعية، والعقوبات والتعزير، ولا صلة له بشؤون الحرب، ولا بالسياسة الداخلية والخارجية. كلا، إن الإسلام ليس على ما يظنون. الإسلام دين وسياسة، وتشريع وحكم وسلطان. وهو لا يرضى

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص. ٩ - ١٠).

من مُتَّبِعِيهِ إِلَّا أَنْ يَأْخُذُوهُ كُلَّهُ، وَيَخْضَعُوا لِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ، فَمَنْ أَبِي مِنْ الرِّضَا بِبَعْضِ أَحْكَامِهِ فَقَدْ أَبَاهُ كُلَّهُ.

اسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا تَرِيدُونَ.

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٣٦] {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)} [النور: ٤٧ - ٥١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) { [النساء : ٥٩ - ٦٥].

أيها السادة! هذه آيات الله وأوامره، قد سمعتموها كثيراً، وقرأتموها كثيراً. ولست الآن بصدد تفسيرها أو شرحها، فهي آيات محكمة صريحة بيّنة، فيها عبرة لكم وعظة لو تأملتموها، وفكرتم في حالكم من طاعتها أو عصيانها، وفيما يجب عليكم حيالها، وأنتم تحكمون بقوانين لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، بل هي تنافيه في كثير من أحكامها وتناقضه، بل لا أكون مغالياً إذا صرّحت أنها إلى النصرانية الحاضرة أقرب منها إلى الإسلام، ذلك أنها ترجمت ونقلت كما هي عن قوانين وثنية، عدّلت ثم وُضعت لأمم تنتسب إلى المسيحية، فكانت، وإن لم توضع عندهم وضعاً دينياً، أقرب إلى عقائدهم وعاداتهم وعرفهم، وأبعد عنا في كل هذا. وقد ضُربت علينا هذه القوانين في عصر كان كله ظلمات، وكانت الأمة لا تملك لنفسها شيئاً، وكان علماؤها مستضعفين جامدين.

هذه القوانين كادت تصبغ النفوس كلها بصبغة غير إسلامية، وقد دخلت قواعدها على النفوس فأشربتها، حتى كادت تفتنها عن دينها، وصارت القواعد الإسلامية في كثير من الأمور منكراً مستنكرة، وحتى صار الداعي إلى وضع التشريع على الأساس الإسلاميّ يجهل ويضعف، أو ينجل فينكمش، مما يُلاقي من هزء وسخرية!! ذلك أنه يدعوهم -في نظرهم- إلى الرجوع القهقري ثلاثة عشر قرناً، إلى تشريع يزعمون أنه وُضع لأمة بادية جاهلة!!

لا تظنوا -أيها السادة- أني أذهب فيما أصف مذهب الغلوّ أو الإسراف في القول، فإني جعلتُ هذه الدعوة هجّيراي وديدي، وجادلت وحاججت، ورأيت وسمعت، ولو شئت أن أُسمّي لسمّيت لكم أسماء ممن نُجلّ ونحترم، ونعرف لهم فضلاً وذكاءً وعلماً.^(١)

- وقال: إني أرى أن هذه القوانين الأجنبية إليها يرجع أكثر ما نشكو من علل، في أخلاقنا، في معاملتنا، في ديننا، في ثقافتنا، في رجولتنا، إلى غير ذلك. وسأقص عليكم بعض المثل من آثارها مما رأى:

كان لها أثر بيّن بارز في التعليم، فقسّمت المتعلمين المثقفين منا قسمين، أو جعلتهم معسكرين: فالذين علّموا تعليماً مدنياً، ورّبّوا تربية أجنبية، يعظمون هذه القوانين وينتصرون لها ولما وضعت من نظم ومبادئ وقواعد، ويرون أنهم أهل العلم والمعرفة والتقدم. وكثير منهم يسرف في العصبية لها، والإنكار لما خالفها من شريعته الإسلامية، حتى ما كان منصوصاً محكماً قطعياً في القرآن، وحتى بديهيات الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، ويزدري الفريق الآخر ويستضعفهم، واخترعوا له اسماً اقتبسوه مما رأوا أو سمعوا في أوربة المسيحية، فسّمّوهم (رجال الدين) وليس في الإسلام شيء يسمّى (رجال الدين) بل كل مسلم يجب عليه أن يكون رجل الدين والدنيا. ثم عزلوهم عن كل أعمال الحياة وأعمال الدولة، واحتكروا لأنفسهم مناصبها، زعموا أنهم أن (رجال الدين) لا يصلحون لشيء من أعمال الدنيا، أيّاً كان مبلغهم من العلم والثقافة والمعرفة، وحصروا الألوّف من العلماء المثقفين فيما سمّوه المناصب الدينية،

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص. ١٣ - ١٧).

حتى لا مُتَنَفَّس لهم، فإن ضجوا أو تدمروا حجّوهم بأنهم رجال الدين، زعموهم رهباناً، ولا رهبانية في الإسلام.^(١)

إلى أن قال: إن قَسَمَ المتعلمين في الأمة إلى فريقين أو معسكرين مَكَّن لأقواهما من أن يستأثر بالتشريع والإفتاء، فيحدو بالأمة ويعدل بها عن سواء الصراط. ذلك أنهم أفهموا وعُلموا أن مسائل التشريع ليست من الدين، وظنوا أن الدين الإسلامي كغيره من الأديان، وأن تعرّض العلماء والفقهاء لهذه المسائل تعرّض لما لا يعينهم، وعصبية للاحتفاظ بسلطانهم، شبّهوهم بالقسس في أوربة، وغلبت عليهم مبادئ الثورة الفرنسية في محاربة الكنيسة، فاندفعوا في عصبيتهم ضدّ شريعتهم ودينهم، وأبوا أن يسمعوها قولاً لقائل، أو نصحاً لناصح. وذهبوا يضعون القوانين للمسلمين، على غرار القوانين التي وضعت لغيرهم، بأنها توافق مبادئ التشريع الحديث!!

وابتلي فريق منا بهذا التشريع الحديث، فذهبوا يلعبون بدينهم، فيما عرفوا وما لم يعرفوا، فأحلّوا وحرّموا، وأنكروا وأقرّوا، واضطربوا وترددوا، وكثير منهم يؤمن بالإسلام، ويحرص على التمسك به، ولكنه أخطأ الطريق، بما أشرب في قلبه من مبادئ التشريع الحديث. واندفع العامة والدهماء ورائهم، يقلدون سادتهم وكبراءهم، ويتبعون خطواتهم. ومرج أمر الناس واضطربوا، حتى إنهم ليحاولون علاج أمراضهم النفسية والاجتماعية بمبادئ التشريع الحديث. وبين أيديهم كتاب الله {مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)}

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص. ١٧ - ١٨).

[يونس: ٥٧]. {هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي
أَذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت: ٤٤] ولكن قومنا اكتفوا من
القرآن بالتغني به في المآثم والمواسم، وتركوا تدبّر معانيه واتباع هديّه،
واتخذوا هذا القرآن مهجوراً!!^(١)

موقفه من المشركين:

– التحذير من المستشرقين:

قال رحمه الله بعد إشادته بطبعات المستشرقين للكتب وأنهم اهتموا
بوصف الأصول واختلاف النسخ: وعن ذلك كانت طبعات المستشرقين
نفائس تُقتنى وأعلاقاً تُدّخر، وتعالى الناس وتغالينا في اقتنائها، على علوّ
ثمنها، وتعسرّ وجود كثير منها على رغبة.

ثم غلا قومنا غلوّاً غير مُستساغ في تمجيد المستشرقين، والإشادة
بذكرهم، والاستخذاء لهم، والاحتجاج بكل ما يصدر عنهم من رأي:
خطأ أو صواب، يتقلّدونه ويدافعون عنه، ويجعلون قولهم فوق كلّ قول،
وكلمتهم عالية على كلّ كلمة، إذ رأوهم أتقنوا صناعة من الصناعات:
صناعة تصحيح الكتب، فظنوا أنهم بلغوا فيما اشتغلوا به من علوم الإسلام
والعربية الغاية، وأنهم اهتدوا إلى ما لم يهتد إليه أحد من أساطين الإسلام
وباحثيه، حتى في الدين: التفسير والحديث والفقه.

وجهلوا أو نسوا، أو علموا وتناسوا أن المستشرقين طلائع المبشّرين،
وأن جلّ أبحاثهم في الإسلام وما إليه إنما تصدر عن هوى وقصد دفين،

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص. ٢١ - ٢٣).

وأنهم كسابقيهم {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} وإنما يفضلونهم بأنهم يحافظون على النصوص، ثم هم يحرفونها بالتأويل والاستنباط.

نعم: إن منهم رجالاً أحرار الفكر، لا يقصدون إلى التعصب، ولا يميلون مع الهوى، ولكنهم أخذوا العلم عن غير أهله، وأخذوه من الكتب، وهم يبحثون في لغة غير لغتهم، وفي علوم لم تمتزج بأرواحهم، وعلى أسس غير ثابتة وضعها متقدموهم، ثم لا يزال ما نشؤوا عليه واعتقدوا يغلبهم، ثم ينحرف بهم عن الجادة، فإذا هم قد ساروا في طريق آخر، غير ما يؤدي إليه حرية الفكر والنظر السليم.

ومعاذ الله أن أبخس أحداً حقه، أو أنكر ما للمستشرقين من جهد مشكور في إحياء آثارنا الخالدة، ونشر مفاخر أئمتنا العظماء، ولكني رجل أريد أن أضع الأمور مواضعها، وأن أقر الحق في نصابه، وأريد أن أعرف الفضل لصحابه، في حدود ما أسدى إلينا من فضل، ثم لا أجاوز به حده، ولا أعلو به عن مستواه. ولكني رجل أتعصب لديني ولغتي أشد العصبية، وأعرف معنى العصبية، وحدها، وأن ليس معناها العدوان، وأن ليس في الخروج عنها إلا الذل والاستسلام، وإنما معناها الاحتفاظ بما آثرنا ومفاخرنا، وحوطها والذود عنها، وإنما معناها أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأعرف أنه (ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا) وقد - والله - غزينا في عقر دارنا، وفي نفوسنا، وفي عقائدنا، وفي كل ما يقدرسه الإسلام ويفخر به المسلمون.

وكان قومنا ضعافاً، والضعيف مغرئاً أبداً بتقليد القوي وتمجيده، فرأوا من أعمال الأجانب ما يهر أبصارهم، فقلدوهم في كل شيء،

وعظّموهم في كل شيء، وكادت أن تعصفَ بهم العواصف، لولا فضل الله ورحمته. (١)

- قال في رسالته 'الشرع واللغة' (٢) التي خصّها للردّ على عبد العزيز فهمي باشا وعدائه للعربية - بعد نقله لكلام هذا المفتون -: وقد بدأ معالي الباشا استدلاله - يعني نقضه ردّ الشيخ محبّ الدين الخطيب عليه - بكلمة منكّرة (أن الدين لله، وأما سياسة الإنسان فللإنسان) وما هذه الكلمة إلا تحريف أو تحوير لكلمة ليست إسلامية، وليست عربية، كلمة فيها خنوع وخور واستسلام لاستبداد القياصرة، لا يرضاها مسلم، ولا يرضاها عربيّ.

نعم: إن الدين كله لله، وإن الأمر كله لله. ولكن هذا الرجل والذين يظاهرونه يريدون أن يفهموا الدين على غير ما يعرف المسلمون، وعلى غير ما أنزل الله في القرآن وعلى لسان الرسول. يريدون أن ينفثوا في روع الأغرار والجاهلين أن الدين هو العقائد والعبادات فقط، وأن ما سواهما من التشريع ليس من أمر الدين، عدواً منهم وبغياً، واستكباراً وعتوّاً على المسلمين، بل جهلاً وعجزاً، ثم استكانة وذلّاً، للسادة الأوربيين (ذوي العقول الجبارة). ثم لا يستحيي أحدهم أن يدعي أنه يفهم الدين، وأن يزعم أنه مكتفٍ بما يسّر الله له من دينه، وأنه موقن بأن لا مزيد عليه عند كائن من كان من المسلمين!!

(١) شرح سنن الترمذي (١/ ١٩ - ٢٠).

(٢) طبعت مع محاضراته الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدراً للقوانين.

والأدلة في القرآن وبديهيّات الإسلام على وجوب اتباع ما أنزل الله في كتابه وعلى لسان رسوله، في العقائد والعبادات، وأحكام المعاملات والعقوبات وغيرها، متوافرة متواترة، لا ينكرها مسلم ولا يستطيع. وأظن أن معالي الباشا سمع مرة أو مرات قول الله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)} [المائدة: ٤٤] وقوله سبحانه: {وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)} [المائدة: ٤٩] أيجرؤ معاليه أن يتأول هذه الآيات ونحوها على أنها في العقائد والعبادات؟ وإن جرؤ على ذلك، فماذا هو قائل في قول الله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)} [الأحزاب: ٣٦].

وقوله: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧)} وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)} [النور: ٤٧ - ٥١] أفيجرؤ أن يتأولها أيضاً على

العقائد والعبادة؟ أم هو يلعب بالألفاظ والألغاز؟! (١)

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص. ٨٨ - ٩٠).

- وقال: ولطالما سمعنا اعتذار المسرفين على أنفسهم، من يأبون العود بالأمة إلى تشريعها الإسلامي، ولطالما جادلناهم، فما رأينا أحداً منهم أجزأ على الله وعلى الدين من هذا الباحث العلامة!

ما زعم لنا واحد منهم قطّ (أن الدين لله، وأما سياسة الإنسان فللإنسان) وأن (الحاكم في الإسلام عليه أن يسوس الناس على ما يحقق مصالحهم، مؤسساً عمله على الحق والعدل، على أن لا يمسّ العقائد وفرائض العبادات). لأن معنى هذا الكلام الخروج بالإسلام عن حقيقته، وجعله دين عبادة فقط، وإنكار ما في القرآن والسنة الصحيحة من الأحكام في كل شؤون الإنسان.

والقرآن مملوء بأحكام وقواعد جليّة، في المسائل المدنية والتجارية، وأحكام الحرب والسلم، وأحكام القتال والغنائم والأسرى، وبنصوص صريحة في الحدود والقصاص.

فمن زعم أنه دين عبادة فقط فقد أنكر كل هذا، وأعظم على الله الفرية. وظن أن لشخص كائناً من كان، أو لهيئة كائنة من كانت، أن تنسخ ما أوجب الله من طاعته والعمل بأحكامه. وما قال هذا مسلم قط ولا يقوله، ومن قاله فقد خرج عن الإسلام جملة، ورفضه كلّ. وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم.

إنهم كانوا يدورون حول هذا المعنى ويجمعون ولا يصبرّحون، حتى كشف هذا الرجل عن ذات نفسه، وأخشى أن يكون قد كشف عما كانوا يضمرون.

ولكني لا أحب أن أجزم في شأنهم، فلنأخذ الناس بالظنة،
وحسابهم بين يدي الله يوم القيامة.^(١)

- قال - بعد ذكره نماذج لما في القوانين الإفرنجية والنظم الأوربية مما يخالف عقائد المسلمين، وتعطيل لكثير من فروض الدين:- ولنا ننعى على هذه القوانين كلّ جزئية فيها، بالضرورة، ففيها فروع في مسائل مفصلة، تدخل تحت القواعد العامة في الكتاب والسنة، ولكننا ننكر المصدر الذي أخذت منه، وهو مصدر لا يجوز لمسلم أن يجعله إمامه في التشريع، وقد أمر أن يتحاكم إلى الله ورسوله. فالكتاب والسنة وحدهما هما الإمام، نستنبط منهما وفي حدودهما ما يوافق كلّ عصر وكلّ مكان، مسترشدين بالعقل وقواعد العدل. ولكننا نسخط على الروح الذي يملئ هذه القوانين ويوحى بها، روح الإلحاد والتمرد على الإسلام، في كثير من المسائل الخطيرة، والقواعد الأساسية، فلا يبالي واضعوها أن يخرجوا على القرآن، وعلى البديهيّ من قواعد الإسلام، وأن يصبغوها صبغة أوربية، مسيحية أو وثنية، إذا ما أرضوا عنهم أعداءهم، ونالوا ثناءهم، ولم يخرجوا على مبادئ التشريع الحديث!!

وهم - في نظر الشرع - مخطئون إذا ما أصابوا، مجرمون إذا ما أخطأوا. أصابوا عن غير طرق الصواب، إذ لم يضعوا الكتاب والسنة نصب أعينهم، بل أعرضوا عنهما ابتغاء مرضاة غير الله، جهلوهما جهلاً عجباً. وأخطؤوا عامدين أن يخالفوا ما أمرهم به ربهم، ساخطين إذا ما دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم. والحجة عليهم قول كبيرهم: (إن جهات

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص. ٩٣ - ٩٤).

التشريع عندنا تشتغل في دائرة غير دائرة الدين!! وإصراره على أنه لو كان قوياً في صحته فلن يجيب إلى (الرجوع لسلفنا الصالح في أمر القوانين).^(١)

موقفه من الجهمية:

كان هذا الرجل متشبعاً بالعقيدة السلفية زيادة على تضلعه في علم الحديث ويظهر ذلك من تعاليقه وتحريراته، وله مقال جيد نأخذه على سبيل المثال للدلالة على دفاعه عن العقيدة السلفية: جاء في دائرة المعارف الإسلامية في التعليق على مادة: "تأويل": قال: أصل مادة (تأويل) من المعنى اللغوي: آل يؤول أولاً، أي: رجع إلى أصله. ثم استعمل في كلام العرب وفي القرآن خاصة بمعنى التفسير أو بشيء قريب من معناه. فالتفسير والتأويل: كشف المراد عن الشيء المشكل. وفرق بعض العلماء بينهما، فكثير استعمال التفسير: فيما يتعلق بشرح المفردات والألفاظ، والتأويل: فيما يتعلق بالمعاني والجمل.

واصطلح الفقهاء وغيرهم على معنى آخر للتأويل هو: تفسير الآية أو الحديث بمعنى غير ما يفهم من ظاهر اللفظ. ولذلك يقول العلماء كثيراً في عباراتهم مثلاً: إن هذا الحديث أو هذه الآية من الصريح الذي لا يحتمل التأويل، أي: لا يحتمل معنى آخر يخرج عن المراد الظاهر من لفظه، فالمعنى الظاهر لا يخرج عن المفسر والمؤول إلا بدليل أو قرينة، لأنه يكون شبيهاً بالمعنى المجازي. وقد ورد لفظ التأويل في آيات من القرآن على المعنى اللغوي الأصلي، ولكن بعض العلماء والمفسرين ظنوا مما يدخل في

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص. ٩٧ - ٩٨).

التأويل الاصطلاحي، فنشأ عن ذلك اختلاف واضطراب في آرائهم، والحق أن ذلك على المعنى اللغوي الواضح. ففي لسان العرب: "وأما قول الله عز وجل: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ} [الأعراف: ٥٣] فقال أبو إسحاق: معناه، هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث. قال: وهذا التأويل هو قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ٧]: أي: لا يعلم متى يكون أمر البعث وما يؤول إليه الأمر عند قيام الساعة إلا الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به أي: آمنا بالبعث. والله أعلم، قال ابن منظور: وهذا حسن. (١)

وأقول: بل هو الصواب الذي لا يفهم من القرآن غيره، ثم دخل على المسلمين ناس اتبعوا المتشابه في مثل هذا، وأكثروا من القول في القرآن بغير علم، حتى ادعوا أن له ظاهرا وباطنا، وأن الباطن لا يعلمه هؤلاء إلا بشيء يزعمونه نحو:

"الإلهام". وهم لم يفقهوا ظاهر القرآن، ولم يعرفوا شيئا من السنة، أو عرفوا وأعرضوا عنه لما وقر في نفوسهم من حب الإغراب أو من آراء تنافي الإسلام، فأرادوا أن يلصقوها به، وعن ذلك نشأت تأويلات الصوفية وغيرهم ممن أشار إليهم كاتب المادة. وهذه التأويلات لا تمت إلى الإسلام بصلة وإن كان قائلوها يسمون بأسماء إسلامية ويذكرون في تاريخ الإسلام، وتذكر أقوالهم وآراءهم مع آراء علماء الإسلام. والإسلام دين واضح سهل لا رموز فيه ولا ألغاز. ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد ترك المسلمين على المحجة الواضحة ليلها كنهارها. فكل من

(١) لسان العرب (١٣ / ٢٥)

حاد عن هذه السبيل فإنما أعرض عن الصراط المستقيم وتفرقت به السبل، حتى خرج بعضهم عن كل طريق من طرق الإسلام، أو من الطرق التي تشبه أن تتصل بالإسلام، ممن وصفهم كاتب المادة بقوله: "بل صارت أحكام القرآن في رأي أصحابها غير واجبة الإلتباع". ومن ذهب هذا المذهب أو قريبا منه فلا يمكن أن يعد من المسلمين ولا أن ينسب قوله إلى أقوال أهل الإسلام.^(١)

وفاته:

توفي رحمه الله في السادسة بعد فجر يوم السبت الموافق ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٣٧٧هـ، الموافق ١٤ من يونيه سنة ١٩٥٨م.

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٩/ ١٦٢ - ١٦٣).

محمد حامد الفقي (١٣٧٨ هـ) (١)

هو الشيخ العلامة إمام التوحيد (كما لقبه بذلك العلامة عبدالرحمن الوكيل) محمد حامد الفقي الأزهرى وقد ولد الشيخ بقرية نكلا العنب في سنة ١٣١٠ هـ الموافق ١٨٩٢ م بمركز شبراخيت مديرية البحيرة. نشأ في كنف والدين كريمين فوالده الشيخ أحمد عبده الفقي تلقى تعليمه بالأزهر ولكنه لم يكمله لظروف اضطرت له لذلك. أما والدته فقد كانت تحفظ القرآن وتجيد القراءة والكتابة، وبين هذين الوالدين نما وترعرع وحفظ القرآن وسنه وقتذاك اثني عشر عاماً. ولقد كان والده أثناء تحفيظه القرآن يوضح له معاني الكلمات الغريبة ويعلمه مبادئ الفقه حتى إذا أتم حفظ القرآن كان ملماً إماماً خفيفاً بعلومه ومهياً في الوقت ذاته لتلقي العلوم بالأزهر على الطريقة التي كانت متبعة وقتذاك.

طلبه العلم

كان والده قد قسم أولاده الكبار على المذاهب الأربعة المشهورة ليدرس كل واحد منهم مذهباً، فجعل الابن الأكبر مالكيّاً، وجعل الثاني حنفيّاً، وجعل الثالث شافعيّاً، وجعل الرابع وهو الشيخ محمد حامد الفقي حنبليّاً.

(١) مجلة التوحيد (العدد الثالث ربيع الأول ١٤١٦ هـ). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. موقع الجماعة على الشبكة العنكبوتية . موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ٩ / ٣٨٩ - ٤٠٧

ودرس كل من الأبناء الثلاثة ما قد حُدد من قبل الوالد ما عدا الابن الرابع فلم يوفق لدراسة ما حدده أبوه فقبل بالأزهر حنفياً.

بدأ محمد حامد الفقي دراسته بالأزهر في عام ١٣٢٢هـ — ١٩٠٤م وكان الطلبة الصغار وقتذاك يبدؤون دراستهم في الأزهر بعلمين هما: علم الفقه، وعلم النحو. وكانت الدراسة المقررة كتاباً لا سنوات، فيبدأ الطالب الحنفي في الفقه بدراسة مراقي الفلاح. ويبدأ في النحو بكتاب الكفراوي وهذان الكتابان هما السنة الأولى الدراسية، ولا ينتقل منها الطالب حتى يتقن فهم الكتابين.

كان آخر كتاب في النحو هو الأشموني أما الفقه، فحسب المذاهب ففي الحنابلة الدليل، وعند الشافعية التحرير، وعند الحنفية الهداية وعند المالكية الخرشي أما بقية العلوم الأخرى كالمنطق وعلم الكلام والبلاغة وأصول الفقه فكان الطالب لا يبدأ في شيء منها إلا بعد ثلاث سنوات.

بدأ الشيخ محمد حامد الفقي دراسته في النحو بكتاب الكفراوي وفي الفقه بكتاب مراقي الفلاح وفي سنته الثانية درس كتابي الشيخ خالد في النحو وكتاب منلا مسكين في الفقه ثم بدأ في العلوم الإضافية بالسنة الثالثة، فدرس علم المنطق وفي الرابعة درس علم التوحيد ثم درس في الخامسة مع النحو والفقه علم الصرف وفي السادسة درس علوم البلاغة وفي هذه السنة وهي سنة ١٩١٠م بدأ دراسة الحديث والتفسير وكانت سنه وقتذاك ثمانية عشر عاماً فتفتح بصره وبصيرته بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسك بسنته لفظاً وروحاً.

بدايات دعوة الشيخ لنشر السنة الصحيحة

لما أمعن الشيخ في دراسة الحديث على الوجه الصحيح ومطالعة كتب السلف الصحيح والأئمة الكبار أمثال بن تيمية وابن القيم. وابن حجر والإمام أحمد بن حنبل والشاطبي وغيرهم. فدعا إلى التمسك بسنة الرسول الصحيحة والبعد عن البدع ومحدثات الأمور وأن ما حدث لأمة الإسلام بسبب بعدها عن السنة الصحيحة وانتشار البدع والخرافات والمخالفات.

فالتفَّ حوله نفر من إخوانه وزملائه وأحبابه واتخذوه شيخاً له وكان سنه عندها ثمانية عشرة عاماً سنة ١٩١٠م بعد أن أمضى ست سنوات من دراسته بالأزهر. وهذا دلالة على نبوغ الشيخ المبكر.

وظل يدعو بحماسة من عام ١٩١٠م حتى أنه قبل أن يتخرج في الأزهر الشريف عام ١٩١٧م دعا زملائه أن يشاركوه ويساعدوه في نشر الدعوة للسنة الصحيحة والتحذير من البدع.

ولكنهم أجابوه: بأن الأمر صعب وأن الناس سوف يرفضون ذلك فأجابهم: أنها دعوة السنة والحق والله ناصرها لا محالة. فلم يجيبوه بشيء. فأخذ على عاتقه نشر الدعوة وحده. والله معه فتخرج عام ١٩١٧. بعد أن نال الشهادة العالمية من الأزهر وهو مستمر في الدعوة وكان عمره عندها ٢٥ سنة.

ثم انقطع منذ تخرجه إلى خدمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وحدثت ثورة ١٩١٩م وكان له موقف فيها بأن خروج الاحتلال لا يكون بالمظاهرات التي تخرج فيها النساء متبرجات والرجال ولا تحرر فيها

عقيدة الولاء والبراء لله ولرسوله. ولكنه بالرجوع لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وترك ونبد البدع وإنكاره لمبادئ الثورة (الدين لله والوطن للجميع). (وأن خلع حجاب المرأة من التخلف) وانتهت الثورة وظل على موقفه هذا.

تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية

وظل بعد ذلك يدعوا عدة أعوام حتى تهيئت الظروف وكانت ثمرة هذا المجهود هو إنشاء جماعة أنصار السنة المحمدية التي هي ثمرة سنوات الدعوة من ١٩١٠م إلى ١٩٢٦م عام اشهارها تقريرا واتخذ لها دارا بعابدين ولقد حاول كبار موظفي قصر عابدين بكل السبل صد الناس عن مقابلته والاستماع إليه حتى سخرُوا له من شرع في قتله ولكن صرخة الحق أصمّت آذانهم وكلمة الله فلت جموعهم وانتصر الإيمان الحق على البدع والأباطيل.

تأسيس مجلة الهدي النبوي

بعد أن أسس الشيخ رحمه الله جماعة أنصار السنة المحمدية وبعد أن يسر الله له قراءة كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم واستوعب ما فيها ووجد فيها ضالته أسس عام ١٣٥٦هـ في مارس ١٩٣٦م صدر العدد الأول من مجلة الهدي لتكون لسان حال جماعته والمعبرة عن عقيدتها والناطقة بمبادئها. وقد تولى رئاسة تحريرها فكان من كتاب المجلة على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أحمد محمد شاكر، الأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، (إمام للحرم المكي)، والشيخ أبو الوفاء محمد درويش، والشيخ

صادق عرنوس، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ خليل هراس، كما كان من كتابها الشيخ محمود شلتوت.

أغراض المجلة

وقد حدد الشيخ أغراض المجلة فقال في أول عدد صدر فيها: «وإن من أول أغراض هذه المجلة أن تقدم ما تستطيعه من خدمة ونصح وإرشاد في الشؤون الدينية والأخلاقية، أخذت على نفسها موثقاً من الله أن تنصح فيما تقول وأن تتحرى الحق وأن لا تأخذ إلا ما ثبت بالدليل والحجة والبرهان الصحيح من كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم» أهـ.

جهاده

يقول عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل: «لقد ظل إمام التوحيد (في العالم الإسلامي) والدنا الشيخ محمد حامد الفقي — رحمه الله — أكثر من أربعين عاماً مجاهداً في سبيل الله. ظل يجالذ قوى الشر الباغية في صبر، مارس الغلب على الخطوب واعتاد النصر على الأحداث، وإرادة تزلزل الدنيا حولها، وترجف الأرض من تحتها، فلا تميل عن قصد، ولا تجبن عن غاية، لم يكن يعرف في دعوته هذه الخوف من الناس، أو يلوذ به، إذ كان الخوف من الله آخذاً بمجامع قلبه، كان يسمي كل شيء باسمه الذي هو له، فلا يُدهن في القول ولا يُداجي ولا ييالي ولا يعرف المجاملة أبداً في الحق أو الجهر به، إذ كان يسمي المجاملة نفاقاً ومداهنة، ويسمي السكوت عن قول الحق ذلاً وجبناً».

عاش رحمه الله للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر، عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته، كان في دعوته يمثل التطابق التام بين الداعي ودعوته، كان صبوراً جلدًا على الأحداث. نكب في اثنين من أبنائه الثلاث فما رأى الناس معه إلا ما يرون من مؤمن قوي أسلم لله قلبه كله. ويقول الشيخ أبو الوفاء درويش: «كان يفسر آيات الكتاب العزيز فيتغلغل في أعماقها ويستخرج منها درر المعاني، ويشبعها بحثًا وفهمًا واستنباطًا، ويوضح ما فيها من الأسرار العميقة والإشارات الدقيقة والحكمة البالغة والموعظة الحسنة.

ولا يترك كلمة لقائل بعده. بعد أن يحيط القارئ أو السامع علما بالفقه اللغوي للكلمات وأصولها وتاريخ استعمالها فيكون الفهم أتم والعلم أكمل وأشمل».

قلت: لقد كانت آخر آية فسرهما قوله تبارك وتعالى: (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) [الإسراء: ١١]. وقد فسرهما رحمه الله في عدد ٦ و ٧ لسنة ١٣٧٨هـ في حوالي ٢٢ صفحة.

إنتاجه العلمي

إن المكتبة العربية لتعتز بما زودها به من كتب قيمة مما ألف ومما نشر ومما صحح ومما راجع ومما علق وشرح من كتب الإمام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

وكما كان الشيخ محباً لابن تيمية وابن القيم فقد جمعت تلك المحبة لهذين الإمامين الجليلين بينه وبين الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر، وكذلك جمعت بينه وبينه الشيخ شلتوت الذي جاهر بمثل ما جاهر به الشيخ حامد.

ومن جهوده كذلك قيامه بتحقيق العديد من الكتب القيمة نذكر منها ما يأتي: —

- ١ — اقتضاء الصراط المستقيم.
- ٢ — مجموعة رسائل.
- ٣ — القواعد النورانية الفقهية.
- ٤ — المسائل الماردينية.
- ٥ — المنتقى من أخبار المصطفى.
- ٦ — موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول حققه بالاشتراك مع محمد محي الدين عبد الحميد.
- ٧ — نفائس تشمل أربع رسائل منها الرسالة التدمرية.
- ٨ — والحموية الكبرى.
- وهذه الكتب جميعها لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ومن كتب الشيخ ابن القيم التي قام بتحقيقها نذكر:
- ٩ — إغاثة الفقهاء.
- ١٠ — المنار المنيف.
- ١١ — مدارج السالكين.
- ١٢ — رسالة في أحكام الغناء.
- ١٣ — التفسير القيم.

- ١٤ — رسالة في أمراض القلوب.
- ١٥ — الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
- كما حقق كتب زخرى لمؤلفين آخرين من هذه الكتب:
- ١٦ — فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن آل شيخ.
- ١٧ — بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني.
- ١٨ — جامع الأصول من أحاديث الرسول.
- ١٩ — لابن الأثير.
- ٢٠ — الاختيارات الفقهية من فتاوى ابن تيمية لعلي بن محمد بن عباس الدمشقي.
- ٢١ — الأموال لابن سلام الهروي.
- ٢٢ — الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل لعلاء الدين بن الحسن المرادي.
- ٢٣ — جواهر العقود ومعين القضاة.
- ٢٤ — والموقعين والشهود للسيوطي.
- ٢٥ — رد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد.
- ٢٦ — شرح الكوكب المنير.
- ٢٧ — اختصار ابن النجار.
- ٢٨ — الشريعة للآجري.
- ٢٩ — العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لمحمد ابن أحمد بن عبد الهادي.
- ٣٠ — القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية لابن اللحام.

٣١ — مختصر سنن أبي داود للمنذري حققه بالاشتراك مع أحمد شاكر.

٣٢ — معارج الألباب في مناهج الحق والصواب لحسن بن مهدي.

٣٣ — تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الربيع الشيباني.

٣٤ — العقود؛ (لشيخ الإسلام) تحقيق بمشاركة: الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

مصير هذا التراث

هذا قليل من كثير مما قام به الشيخ محمد حامد الفقي فيما مجال التحقيق وخدمة التراث الإسلامي وهذا التراث الذي تركه الشيخ إذ أن جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت قد جمعت كل هذا التراث. وقد جاء في نشرتها (أخبار التراث الإسلامي) العدد الرابع عشر ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م أنها اشترت خزانة الشيخ محمد حامد الفقي كاملةً مخطوطاتها ومصوراتها وكتبها وكتيباتها وقد أحصيت هذه تلك المحتويات على النحو التالي:

١ - ٢٠٠٠ كتاب.

٢ - ٧٠ مخطوطة أصلية.

٣ - مائة مخطوطة مصورة على ورق.

عقيدته

يقول حماد الأنصاري: أما عن حياة حامد الفقي: فعندما اجتمعت معه عام ١٣٦٧هـ جئته وهو يُدرّس "تفسير ابن كثير" عند (باب علي بالمسجد الحرام)، وعندما سَمِعْتُهُ، قلت: هذا هو ضالّتي، فكان يأخذ آيات التوحيد ويسلّط عليها الأضواء، وسمعتُه من

بعيد، فجلست في حلقته، وكانت أول حلقة أجلس فيها بالحرم وأنا شاب صغير، وكان عمري لا يتعدى الثانية والعشرين، وسمعت الدرس، وكان الدرس في تفسير آيات التوحيد، وبعدما انتهى الدرس وصلينا العشاء جاءنا شخص سوري لا أتذكر اسمه الآن وقال للشيخ: أنا أرى أن تشربوا القهوة عندي. فقال له الشيخ: ومن معي. قال له الرجل: أحضر من شئت. وكانت هذه أول أرى فيها الشيخ، على الرغم أنني سمعت عنه كثيراً، لأن شيعي وهو الشيخ محمد عبد الله المدني التنبكي كان تلميذاً حامد الفقي. وذهبنا إلى بيت الأخ السوري، وعندما وصلنا إلى البيت وجلسنا قال لنا: أنا أريد أن أسلم لكم سيوفاً من الخشب، وسلم الأخ السوري كل واحد سيوفاً من الخشب، وقال لنا: تعالوا نتسايف أولاً، وبعد ذلك نشرب القهوة حتى نطبق النونين التين تركز عليهما الإسلام، وأخذ كل واحد منّا سيفه، وأخذ مع صاحبه يتجاولان، حتى انتهينا من المحاولة جلسنا وشربنا القهوة.

وقلت للشيخ حامد الفقي: يا شيخ أنا عندي سؤال؟ فقال: ما هو سؤالك يا ولدي؟

فقلت له: كيف صرت موحداً وأنت درست في الأزهر؟ (وأنا أريد أن استفيد والناس يسمعون) فقال الشيخ: والله إن سؤالك وجيه. قال: أنا درست في جامعة الأزهر، ودرست عقيدة المتكلمين التي يدرسونها، وأخذت شهادة الليسانس وذهبت إلى بلدي لكي يفرحوا بنجاحي، وفي الطريق مررت على فلاح يفلح الأرض، ولما وصلت عنده قال: يا ولدي اجلس على الدكة وكان عنده دكة إذا انتهى من العمل يجلس عليها، وجلست على الدكة وهو يشتغل، ووجدت بجاني على طرف الدكة

كتاب، فأخذت الكتاب ونظرت إليه فإذا هو كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية" لابن القيم ؛ فأخذت الكتاب أتسلى به، ولما رأي أخذت الكتاب وبدأت أقرأ فيه تأخر عني حتى قدر من الوقت الذي آخذ فيه فكرة عن الكتاب. وبعد فترة من الوقت وهو يعمل في حقله وأنا أقرأ في الكتاب جاء الفلاح وقال: السلام عليكم يا ولدي، كيف حالك؟ ومن أين جئت؟ فأجبته عن سؤاله.

فقال لي : والله أنت شاطر، لأنك تدرجت في طلب العلم حتى توصلت إلى هذه المرحلة؛ ولكن يا ولدي أنا عندي وصية. فقلت: ما هي؟

قال الفلاح: أنت عندك شهادة تعيشك في كل الدنيا في أوروبا في أمريكا، في أي مكان. ولكنها ما علمتك الشيء الذي يجب أن تتعلمه أولاً. قلت: ما هو؟!

قال : ما علمتك التوحيد!

قلتُ له : التوحيد!!

قال الفلاح: توحيد السلف.

قلتُ له: وما هو توحيد السلف؟!!

قال له: انظر كيف عرف الفلاح الذي أمامك توحيد السلف. هذه هي الكتب: كتاب "السنة" للإمام أحمد الكبير. وكتاب "السنة" للإمام أحمد الصغير. وكتاب "التوحيد" لابن خزيمة. وكتاب "خلق أفعال العباد" للبخاري. وكتاب "اعتقاد أهل السنة" للحافظ اللالكائي. وعدّ له كثيراً من كتب التوحيد. وذكر الفلاح كتب التوحيد للمتأخرين. وبعد ذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

وقال له: أنا أدلك على هذه الكتب إذا وصلت إلى قريتك ورأوك وفرحوا بنجاحك لا تتأخر ارجع رأساً إلى القاهرة فإذا وصلت القاهرة أدخل دار الكتب المصرية ستجد كل هذه الكتب التي ذكرتها كلها فيها ولكنها مكدّسٌ عليها الغبار وأنا أريدك تنفض ما عليها من الغبار وتنشرها.

وكانت تلك الكلمات من الفلاح البسيط الفقيه قد أخذت طريقها إلى قلب الشيخ حامد الفقي لأنها جاءت من مُخلص. استوقفت الشيخ وسأله: كيف عرف الفلاح كل ذلك؟! قال الشيخ حامد: لقد عرفه من أستاذه (الرمال).. هل تسمعون بـ(الرمال)؟

قلتُ له: أنا لا أعرف (الرمال) هذا.. ما هي قصته؟ قال: (الرمال) كان يفتش عن كتب سلفه ولما وجد ما وجد منها بدأ بجمع العمال والكناسين وقام يُدرّس لهم وكان لا يُسمح له أن يُدرّسَ علانية وكان من جُمْلَتِهِم هذا الفلاح.. وهذا الفلاح يصلح أن يكون إماماً من الأئمة ولكنه هناك في الفلاحة فمن الذي يصلح أن يتعلم؟! ولكن ما زال الخير موجوداً في كلّ بلدٍ حتى تقوم الساعة. ولما رجعتُ إلى قريتي في مصر وذهبتُ إلى القاهرة ووقفت على الكتب التي ذكرها لي الفلاح كلها ما عدا كتاب واحد ما وقفت عليه إلا بعد فترة كبيرة.

وبعد ذلك انتهينا من الجلسة وذهب الشيخ حامد الفقي.. وكان يأتي إلى السعودية ونستقبله ضمن البعثة المصرية أيام الملك فاروق كل عام،

وكانت هذه القصة هي إجابة للسؤال الذي سألتُهُ للشيخ حامد في مجلس الرجل السوري.

موقفه من حزب الإخوان المسلمين وأوجه الاختلاف بينه وبينها
كان الشيخ منذ بدايته يعلم أن حزب الإخوان المسلمين ليس حزباً يدعو للحق ولا ينير طريق، فلا علم يتصفون به فضلاً عن أن يكونوا مؤهلين له، ولا عقيدة يتبنونها ويتقنونها فضلاً عن أن يعتقدوها، بل كانت حزباً سياسياً له مطامع بالسلطة والنفوذ والمال، ويفعلون من أجل تحقيق مطامعهم والوصول إليها أي شيء فكثر في البلاد واغتيالاهم، وكان يطلق عليهم ((الخوَّان المسلمين)) [كما شهد بذلك محدث العصر الإمام المجدد محمد ناصر الدين الألباني تعالى عندما قابله في حج عام ١٣٦٧ قبل اغتيال حسن البناء بسنة واحدة، على الرغم من أنه أنكر عليه شدته في القول، ولم ينكر عليه مخالفته لهم والتي استمر عليها الشيخان حتى لقيا ربهما].

أما جماعة الشيخ (جماعة أنصار السنة المحمدية) فقد كانت تدعو للحق وتعلم الناس دينهم، وتنور طريقهم، بعملٍ دؤوب لا يشوبه بحث عن مصالح دنيوية أو مكاسب سلطوية، ولا جرائم ولا اغتيالات ولم يتعرضوا لحاكم البلاد ولم يشقوا عصا الطاعة ولم يفرقوا جماعة المسلمين.
فنستطيع أن نشبه حزب الإخوان المسلمين بأنها حزب سياسي يريد الوصول للحكم ويتخذ من الدين سلماً يتسلَّق عليه.
ونستطيع أن نشبه جماعة أنصار السنة المحمدية بأنها مدرسة أو جامعة مهمتها التعليم والدعوة والنصح.

موقفه من المبتدعة:

كان هذا الإمام شوكة في حلق المبتدعة في زمنه. ونفع الله به نفعاً عظيماً. وأخرج كثيراً من كتب السلف وزينها بتعاليقه الجيدة. وهي وإن كانت مختصرة، لكنها مفيدة.

منها ما جاء في هامش 'اقتضاء الصراط المستقيم':

- قال: وكذلك المقلدون على عمى: قد أطاعوا من قلدهم في أخطائهم، وردوا بها صريح نصوص الكتاب والسنة، زاعمين أنها لم يأخذ بها معظمهم.^(١)

- وقال: الجاهلية: هي الحالة الناشئة عن الجهل والإعراض عن أسباب العلم التي أقامها الله في آياته الكونية في الأنفس والآفاق وفي النعم المتتالية؛ فهذه الحالة الجاهلية ملازمة للإعراض عن الفهم والتفقه لما أنزل الله في كتبه وأرسل به رسله، ولالإعراض عن التدبر والتأمل لسنن الله الكونية، وآياته العلمية. وهذه حال يعمد الشيطان إلى إركاس الناس فيها بصرفهم عن الحق والهدي الذي جاءهم به رسل الله. وقد أركس الشيطان الناس اليوم فيها بالتقليد الأعمى وتعطيل عقولهم وأفهامهم، وحرمانهم من تدبر سنن الله وآياته، ومن الفقه في كتاب الله وسنة رسوله، فغلب عليهم العقائد الزائفة، والأخلاق الفاسدة، وانعكست بهم الأحوال، فغلبت النساء بسفههن الرجال، ونفقت سوق الشرك والبدع والخرافات، والفسوق والعصيان، وتحاكموا إلى الطواغيت، وتقطعت الصلات، وتباغضت القلوب، وتعاونوا على الإثم والعدوان، وأصبحوا شيعاً وأحزاباً

(١) هامش اقتضاء الصراط المستقيم (٩).

كل حزب بما لديهم فرحون، وضل سعيهم في كل شئون الحياة الدنيا. وعلى الجملة: أصبحوا في حياة لا ينبغي أن تنسب إلا إلى الجهل والسفه والغبي، والإسلام دين الحكمة والرشد والفترة السليمة، ودين العزة والقوة: برئ منها كل البراءة.^(١)

- وقال: لا يمكن أن تكون بدعة إلا ولها سلف وقدوة خبيثة من دين الكافرين وخبث أعمالهم التي أوحاها إليهم شياطين الإنس والجن.^(٢)

- وقال: والذي أعتقد -والله الموفق- هو أن شرع الإسلام بعقائده وعباداته وشرائعه شرع تام بما أتمه الله غير محتاج إلى غيره {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] بل جعله الله مهيمنا على غيره. بحيث يجب على المؤمن أن لا يرجع إلى غيره، ولو أنه عرض له في حياته أمر أي أمر -فيجب أن يرده إلى الله ورسوله. فهو الشريعة التي حفظ الله أصولها ونصوصها، بحيث لا يتطرق شك ولا ريب إلى أي أصل من أصولها، ولا نص من نصوصها، وهي الشريعة التي ارتضاها الله ربنا سبحانه -وهو العليم الحكيم الرحيم- لعباده من كل بني آدم من وقت نزولها إلى آخر الدهر، واختزن ربنا في طوايا نصوصها ما فيه الهدى والرحمة، والرشد والحكمة، والشفاء لما في صدور جميع الناس من كل داء ومرض من أمراض الشبهات والشهوات في الفرد والأسرة والحكومة والمجتمع.^(٣)

(١) هامش اقتضاء الصراط (٧٩).

(٢) هامش اقتضاء الصراط (١١٦).

(٣) هامش اقتضاء الصراط (١٧٠).

- قال الشيخ رحمه الله عقب كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء: "وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وتعظيمهما له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع: من اتخاذ مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - عيداً".

قلت: كيف يكون لهم ثواب على هذا وهم مخالفون لهدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولهدي أصحابه؟! فإن قيل: لأنهم اجتهدوا فأخطأوا، فنقول: أي اجتهاد في هذا؟ وهل تركت نصوص العبادات مجالا للاجتهاد؟! والأمر فيه واضح كل الوضوح. وما هو إلا غلبة الجاهلية وتحكم الأهواء، حملت الناس على الإعراض عن هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى دين اليهود والنصارى والوثنيين. فعليهم ما يستحقونه من لعنة الله وغضبه، وهل تكون محبة وتعظيم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالإعراض عن هديه وكرهه وكراهية ما جاء به من الحق لصالح الناس من عند ربه، والمسارة إلى الوثنية واليهودية والنصرانية؟ ومن هم أولئك الذين أحيوا تلك الأعياد الوثنية؟ هل هم مالك أو الشافعي أو أحمد أو أبو حنيفة أو السفينان أو غيرهم من أئمة الهدى رضي الله عنهم؟ حتى يعتذر لهم ولأخطائهم، كلا، بل ما أحدث هذه الأعياد الشركية إلا العبيديون الذين أجمعت الأمة على زندقته، وأنهم كانوا أكفر من اليهود والنصارى، وأنهم كانوا وبالا على المسلمين، وعلى أيديهم وبدسائسهم وما نفثوا في الأمة من سموم الصوفية الخبيثة انحرف المسلمون عن الصراط المستقيم، حتى كانوا مع المغضوب عليهم والضالين؟ وكلام شيخ الإسلام نفسه يدل على خلاف ما يقول من

إثابتهم، لأن حب الرسول وتعظيمه الواجب على كل مسلم: إنما هو
باتباع ما جاء به من عند الله. كما قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)}
[آل عمران: ٣١] وقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا
أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا
(٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ
بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدَنَّا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) فَلَا
وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)} [النساء: ٦٠ -
٦٥]، وقال تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ
مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ
يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ

إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) { [النور: ٤٧ - ٥٢]. اهـ (١)

وله كلام جيد على بدعة قراءة القرآن على الموتى:

جاء في اقتضاء الصراط المستقيم: "والوقوف التي وقفها الناس على القراءة عند قبورهم فيها من الفائدة: أنها تعين على حفظ القرآن، وأنها رزق لحفاظ القرآن، وباعثة لهم على حفظه ودرسه وملازمته، وإن قدر أن القارئ لا يثاب على قراءته، فهو مما يحفظ به الدين، كما يحفظ بقراءة الكافر وجهاد الفاجر. وقد قال - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) ."

- قال حامد الفقي عقب هذا القول: لقد كان هذا من أقوى أسباب إimate القرآن فقها وعلماء وعملا وإن حفظوه حروفا وألفاظا، لأنهم يحترفون قراءته للموتى، على مثال كهنة قدماء المصريين الوثنيين، وبذلك هان القرآن ونزل من نفوس القادة والرؤساء، بل والعامّة، حتى أصبح أقل منزلة في نفوسهم من قول الشيوخ وآرائهم، وعادات الآباء وتقاليدهم، وحتى أصبح في زمننا هذا أقل من قوانين الفرنجة وضلالهم. ولم يبق له في العقائد والعبادات والأخلاق والأدب والأحكام والدولة والأسرة أي أثر ولا قيمة، كل ذلك من آثار امتهانه للموتى والمقابر وللحجب والتمايم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وهل كان السلف يستعينون على حفظ القرآن

(١) هامش اقتضاء الصراط (٢٩٤ - ٢٩٥) دار الكتب العلمية).

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٩ / ٢) والبخاري (٢٢٠ / ٦ - ٢٢١ / ٣٠٦٢) ومسلم (١ / ١٠٥ - ١٠٦ / ١١١).

بهذا؟ أو هل أثر عن أحد من الخلفاء الراشدين قراءة القرآن على المقابر؟ ولكن هي السنن، حين تتحكم الأهواء، فيلتمس الناس لجعلها ديناً أي دليل، ولو كان أوهى من بيت العنكبوت.^(١)

موقفه من المشركين:

له هوامش على 'فتح المجيد':

- قال رحمه الله عقب قول الشارح: " .. فإنهم أحبوهم مع الله وإن كانوا يحبون الله تعالى": هم في الواقع ما أحبوا الله حقيقة، لأن حب الله لا يكون إلا عن معرفة بالله، بأسمائه وصفاته. ومن أحب الله على الحقيقة لا يمكن أن يتخذ من دونه ندا. وليس معنى (كحب الله) أي كحبهم لله. ولكن معناها والله أعلم: يحبونهم حبا من جنس الحب الذي لا يكون إلا لله. وهو حب العبادة: غاية الحب في غاية الذل والتعظيم. فهذا هو الحب الذي ينشأ عنه الدعاء واللجأ والضراعة وطلب تفريج الكرب ونحوها مما يجرده المؤمنون لله وحده وهم أشد حبا لله. والمشركون يجردونه لأوليائهم أو يشركونهم مع الله، ولا يرجون الله وقارا.^(٢)

- وقال: الظاهر أن المعنى: أنهم يحبون أندادهم من جنس حب الله الذي هو حب التعظيم والذل والخضوع. لأنه ليس كل حب يكون عبادة حتى يكون فيه تعظيم وخضوع. ولذلك قال: (كحب الله) ولم يقل: كحبهم لله. فهم في الوقت الذي يحبونهم أعظم الحب، يخافونهم أشد الخوف، معتقدين أنهم يخلقون عليهم خيرا مما ينذرونه لهم، ويذبحونه لهم

(١) هامش اقتضاء الصراط (٣٨٠ - ٣٨١) دار الكتب العلمية.

(٢) فتح المجيد (ص. ١٢٣).

من طيب ما لهم، ويرجون منهم المساعدة والمعونة على كشف الضر ودفع البأساء، ويحذرون انتقامهم بحرق زرعهم وإهلاك أولادهم وأنفسهم، ويروون عن سدنهم روايات مكذوبة في تأييد دعاويهم قهويلا عليهم وتمكيننا للضلال والشرك من أنفسهم. فهم لا يرجون الله وقارا كما يرجون لهم، ولا يخشون الله كما يخشونهم. فتجود أنفسهم بسخاء في سبيل التقرب إلى أولئك الموتى من أوليائهم بما لا تجود بعشره في سبيل الله برا للوالدين أو صلة للأرحام، أو إطعاما لجار بائس، أو مسكين من أهل قريته؛ هذا شأن عباد القبور والموتى اليوم. دقق في أحوالهم وطبقها على آيات المشركين في القرآن تجددهم زادوا على مشركي الجاهلية الأولى. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن من تحقق محبة مشركي زماننا لأهنتهم التي يسمونها بالأولياء يعلم يقينا أنهم يحبونها أكثر من محبتهم لله، ويتصدقون لوجوهها بما لا يقدر أن يتصدقوا بعشره لوجه الله.^(١)

- وقال: في التَّوَلَّى: وإن زعم الذين يصنعونها للنساء أنهم مسلمون ومتدينون، وأن ما يكتبونه من القرآن وأسماء الله، فإنهم يفعلون ذلك تضليلا بالقرآن وإلحادا فيه. لأنهم يكتبونه على طريقة اليهود حروفا مقطعة وبمعداد خاص، ويمزجونه بأدعية جاهلية وبخطوط يزعمونها على صورة خاتم سليمان الذي كان فيه سر ملكه، كما يزعم اليهود الذين يعتقدون كفر سليمان، وأنه كان يسخر الجن بالسحر لا بمعجزة من الله. وعلى هذه العقيدة اليهودية الدجالون الذين يكتبون التماائم والتولات،

(١) فتح المجيد (ص. ١٣٧).

ويزعمون أن للحروف والأسماء خداما يقومون بما يطلب منهم من الأعمال السحرية، ويتخذون أنواعا من البخور والأدوات المخصصة التي يوحى بها شياطينهم. وكل ذلك من الكفر العظيم.(١)

- وقال: في قوله تعالى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} [النجم: ٢٣]: الظن هنا: ظن المشركين بأوليائهم أنها تسمع الدعاء وتحيب، فإنهم ليس لهم علم بذلك لا من طريق حواسهم، ولا من خبر صادق، وإنما هو مما يشيعه السدنة ترويجا لتجارهم الخاسرة. ويزيد الجاهلين تعلقا بأوليائهم من دون الله ما تهوى أنفسهم من قضاء حاجاتهم بغير الأسباب الكونية فهم يعظمون أولئك الموتى لهوى أنفسهم وقضاء وطهرهم لا حبا في الإيمان والمؤمنين. ولذلك تراهم يتنقلون من ميت إلى آخر إذا لم يجدوا مسألتهم قضيت عند الأول. وهكذا ترى السدنة إذا انتقلوا من وظيفة عند هذا الولي الذي كان في نظرهم كبيرا أصبح الولي الذي انتقلوا عند قبره أعظم بركة وأكثر كرامات. والله يقول: إن هؤلاء جميعا لا يتبعون إلا هوى أنفسهم وهم كاذبون أعظم الكذب في دعواهم حب الأولياء والصالحين(٢).

(١) فتح المجيد (ص. ١٥٤).

(٢) فتح المجيد (ص. ١٦٢ - ١٦٣).

وفاته

توفي رحمه الله فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ الموافق ١٦ يناير ١٩٥٩م على إثر عملية جراحية أجراها بمستشفى العجوزة، وبعد أن نجحت العملية أصيب بتزيف حاد وعندما اقترب أجله طلب ماء للوضوء ثم صلى ركعتي الفجر بسورة الرعد كلها. وبعد ذلك طلب من إخوانه أن ينقل إلى دار الجماعة حيث توفي بها، وقد نعاه رؤساء وعلماء من الدول الإسلامية والعربية، وحضر جنازته واشترك في تشييعها من أصحاب الفضيلة وزير الأوقاف والشيخ عبد الرحمن تاج، والشيخ محمد الحسن والشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، والشيخ أحمد حسين، وجميع مشايخ كليات الأزهر وأساتذتها وعلمائها، وقضاة المحاكم.

أبنائه: الطاهر محمد الفقي، وسيد أحمد الفقي، ومحمد الطيب الفقي وهو الوحيد الذي عاش بعد وفاة والده.
فرحمه الله عز وجل رحمة واسعة .

أبو الوفاء محمد درويش (١٣٨٢هـ) (١)

"مؤسس أنصار السنة بسوهاج"

- والده محمد درويش أبو طالب.
- ولد بمدينة سوهاج "مديرية جرجا آنذاك" وكان مولده في ١٨ يونيو ١٨٩٣م.
- مات بمدينة سوهاج في يوم الاثنين ٢٦/١٢/١٣٨٢هـ الموافق ٢٠/٥/١٩٦٣م عن عمر يناهز السبعين عاماً.
- حفظ القرآن الكريم وهو في سن التاسعة من عمره.
- حصل على شهادة "كفاءة التعليم الأولى" وكان ترتيبه الأول.
- حصل على كفاءة التعليم الثانوي وكان ترتيبه الثاني على السلطنة المصرية، ثم حصل على البكالوريا، وكذلك حصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٨م، وحصل أيضاً على دبلوم في الدراسة الفرنسية "التي كان يجيدها قراءة وكتابة وترجمة".
- حصل على دبلوم في الصحافة. وعند تخرجه من مدرسة المعلمين عين بها مدرساً، وذلك أنه ناقش المفتش العام للتعليم في ذلك الوقت "حفني ناصف" في عدة مسائل، وأعجب به فأمر بتعيينه فور تخرجه مدرساً بالمدرسة.

(١) موقع جماعة أنصار السنة على الشبكة العنكبوتية .

• عمل مدرساً بمدرسة البنات الثانوية بسوهاج، وقد سمي الشارع الذي تقع به المدرسة باسمه.

• بعد بلوغه سن الإحالة للمعاش اشتغل بالمحاماة.

• أسس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج، واجتمع مجلس إدارتها أول اجتماع له في يوم الخميس ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ، ويصف الشيخ درويش الصعاب التي لاقاها في تأسيس هذه الجماعة بسوهاج، وذلك في مقدمة كتابه "صيحة الحق" ذلك الكتاب الذي عن طريقه انضم خلق كثير في مصر والسودان والصومال وإرتريا إلى جماعة أنصار السنة.

جهوده العلمية:

كان رحمه الله من أوائل من كتبوا في مجلة "الهدى النبوي" منذ أول صدورها، كما كان يتولى باب الفتاوى على مدى عشرين عاماً تقريباً، وله فتاوى في بعض الموضوعات لا يزال يذكرها أعضاء أنصار السنة المحمدية القدامى، وكانت له على صفحات تلك المجلة حوارات في بعض الموضوعات منها: مسألة تلبس الجن، والتصوير الضوئي، وتيمم المسافر، ومسألة مسحورية الرسول صلى الله عليه وسلم والربا، وغيرها، -وقد جمعتها كلها لمن يطلبها-.

وكان رحمه الله عنيداً إلى أبعد حدود العناد في الرأي يراه أو يقتنع به، وما كان أحد يستطيع أن يرده عنه، أو يقنعه بمجافاته للحق، ولكن كان عف اللسان.

قالت عنه مجلة "الهدى النبوي" عند وفاته: "وهكذا تطوى صفحة علم من أعلام السنة في هذا القرن الرابع عشر الهجري، فقد ظل يكافح ويناضل في ميدان الجهاد في الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى سقط شهيداً على طريق سلفنا الصالح: من دعاة التوحيد، لقد كان علماً عالياً وطوداً شامخاً، وستظل كتبه ورسائله سلاحاً وذخيرة لدعاة التوحيد، حتى يرث الله الأرض ومن عليها".

قلت^(١): لقد عاصرناه في سوهاج يدعو إلى الله على بصيرة، يلبس ملابس الشيوخ ويعتلي المنابر، ويوضح للمسلمين عقيدة التوحيد الخالص، وكان في أسلوبه لطيفاً بليغاً، فتبعه خلق من المثقفين في بندر سوهاج وأريافها، وعرض بذلك نفسه إلى نقمة أولئك الجهلة من حملة العمائم والمنتفعين بالدين، وحدث أن استعدى عليه المتعاملون الجاهلون أحد المديرين فأمره بالانقطاع عن دروس التفسير وهدده بمحاربته في وظيفته، فظل في بيته مركز إشعاع للتوحيد والسنة، حتى جاء آخر وعرف من قدر الشيخ وعلمه فأمره بالعودة إلى دروسه، ولقد أجاد الشيخ الإنكليزية والفرنسية وخاطب أهلها ببيان فضائل الإسلام، وقد ترجم عن الفرنسية ثلاث كتب، فكان رحمه الله موسوعي الاطلاع موسوعي التأليف.

ولقد كان للشيخ أبي الوفاء درويش مكانته الخاصة عند الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة، حتى أنه كتب عنه في حياته يقول: "لأخينا العلامة المحقق الشيخ أبي الوفاء درويش قلب عامر بالعلم النبوي النقي الصافي، عبه عباً من مورده الصافي النمير من كتاب الله وسنة نبيه صلى

(١) فتحي أمين عثمان.

الله عليه وسلم، وله لسان أقطع من السيف لرقاب حزب الشيطان وأعداء التوحيد".

ويقول عنه الشيخ عبدالرحمن الوكيل رئيس الجماعة الأسبق: والشيخ أبو الوفاء درويش صاحب "صيحة الحق" التي دوت في قوة، واستعلنت في عزة وكرامة، وصاحب الكتب التي هدى الله بها الكثيرين، وصاحب الصيال القوي والجلاد الذي زلزل، هياكل الأصنام، ودكها على رءوس سدنتها، أبو الوفاء الذي نعرف منه الوضوح والصراحة والجرأة في قول الحق وفي الجهر بما يؤمن".

لقد كانت للشيخ درويش مكانته عند إخوانه حتى أن أحدهم يقول عن كل كتاب يصدره الشيخ قصيدة يقرظ بها الكتاب، ومن أمثال ذلك ما كتبه الشيخ صادق عرنوس يوم صدر كتاب "صيحة الحق" فأنشد يقول:

سمع المكابر صيحة الحق	فهو صريعاً فاقد النطق
ما زال يهذي غير محتشم	يلقى من البهتان ما يلقي
نفثات صل هاج هائجة	يصمى ضحاياها ولا يرقى

إلى أن قال:

لاقيت ما لاقى ابن راشد	من طيش الهوى ورعونة الحمق
فكلا كما في صبره مثل	للقائمين بنصرة الحق
فلتطلعا شمسين في أفق	هو لا يغيب وأنت في أفق

وكذلك يقول عن كتاب "من خصائص الإسلام":

هات يا منهل النفوس الظوامي طرفاً من خصائص الإسلام "صيحة الحق" لا تزال نذيراً بضحايا الآراء والأوهام يا بن درويش لا حرماً مقاماً كنته أنت في فسيح المرامي يا بن درويش لا حرماً مقاماً لك فيه صبرت صبر الكرام ولذا فلا غرو أن نجد أن الشيخ درويش يكتب عند وفاة الشيخ عرنوس قائلاً: "كل نفس ذائقة الموت، لقد مات عرنوس فمات بموته ملاً من الموهوبين".

ولما مات الشيخ درويش كتب عنه الأستاذ نجاتي عبدالرحمن شاعر أنصار السنة وقتذاك يقول:

فقيد العلم — قد وجب الرثاء وحق على بني الوطن البكاء فما للموت
طب أو دواء فإن حم القضا انقطع الرجاء بكاك العلم والدين الحنيف
ويكي بالدم الرجل الشريف هوى حصن من التقوى منيف وركن العلم
هدمه القضاء نقي كنت للفتيا أميناً مجيئاً ناصحاً دنيا ودينا

من رفاقه في الدعوة:

الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة، والشيخ عبدالرحمن الوكيل، والشيخ محمد علي عبدالرحيم والشيخ صادق عرنوس، والشيخ خليل هراس، والشيخ رشاد الشافعي، والشيخ عبداللطيف حسين.

إنتاجه العلمي:

مقالات وأبحاث في مجلة "الهدي النبوي" وكذا فتاوى لا تحصى على مدى عشرين عاماً، وقد تم جمع مقالاته عن الأسماء الحسنى وطبعت الآن في صورة كتاب.

أما باقي كتبه فهي كالاتي:

"صيحة الحق"، "صدى صيحة الحق"، "خواطر في الدين والاجتماع"،
"ومن خصائص الإسلام"، "معارف إسلامية"، "من رسائل إلى صديق"،
"من أمثال القرآن"، "مصرع خرافة"، "عتاب بين أحباب"، "تيسير
مصطلح الحديث"، "دفاع عن الوحي"، "القبلة"، "الشفاعة" و "الوسيلة"،
"القضاء والقدر".

وطبع بالسعودية، "الإسلام والروحانية"، "قواعد فقهية"، "الطهارة"،
"تفسير جزء عم".

وترجم كتاب "خاتم النبيين في نظر المستشرقين"، و "الاختيار"، و
"جرازيل" وكلها عن الفرنسية.

حقق كتاب "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" لابن تيمية.
أبناءؤه:

أنجب الشيخ خمس أبناء مات منهم اثنان، كما أنجب ثلاث بنات
كلهن أحياء، ويعتبر الشيخ درويش حبر الصعيد، على أنه لم يكن له معلم
إلا ذكاؤه، فقد حصل على معظم شهاداته دون حضور الدراسة.

محب الدين الخطيب (١٣٨٩ هـ) (١)

هو محب الدين بن أبي الفتح محمد ابن عبد القادر بن صالح الخطيب، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني . ولد بدمشق عام ١٨٨٦م وكان والده عالماً دينياً، ويدرس في أحد المساجد، كما كان يعمل أميناً لدار الكتب الظاهرية، فنشأ في بيئة محافظة، وتعلم القراءة والكتابة، وحفظ كتاب الله، ثم التحق بمدرسة ابتدائية، ثم بعدها بمدرسة ثانوية تدرس العلوم باللغة التركية، ثم التحق بكلية الحقوق والآداب معاً، وقد مدّ له يد العون في تحصيله العلمي، شيخه الكبير العلامة طاهر الجزائري، الذي عهد إليه بنسخ كثير من المخطوطات، وكان للشيخ طاهر الجزائري حلقة علمية بدار الكتب بدمشق، يؤمها الشيوخ والشباب ومنهم محب الدين الخطيب، الذي كان حريصاً على قراءة الصحف والمجلات الصادرة بمصر وتركيا، وقد تأثر بكتاب "طبائع الاستبداد" لمؤله عبد الرحمن الكواكبي، وبكتاب "الإسلام والنصرانية" لمؤلفه الشيخ محمد عبده.

رحلته إلى اليمن ومصر

ثم سافر إلى اليمن للعمل كمترجم في القنصلية التركية بمدينة "الحديدة"، وقد سعى فترة بقاءه هناك إلى إنشاء مدرسة كانت هي المدرسة الوحيدة، وكان يتولى تدريس معظم العلوم فيها، بالإضافة لعمله كمترجم، حيث عمل في جريدة "المؤيد" فذاع صيته وانتشرت مقالاته وترجماته، وبخاصة ما يتعلق بالمبشرين البروتستانت، وخططهم الخبيثة

(١) الأعلام (٥/ ٢٨٢) والمستدرک علی معجم المؤلفین (٥٧٦ - ٥٧٧).

لتنصير المسلمين، والتي كان ينشرها الكاتب الفرنسي المبشر مسيو لوشاتليه في الدوائر الكنسية، فكشفها محب الدين الخطيب وهتك أستارها، ونبه المسلمين إلى خطورتها، ثم جمعها في كتاب وأصدره بعنوان "الغارة على العالم الإسلامي".

كما عمل مترجماً ومحرراً بجريدة "الأهرام" المصرية فترة لأنه لم يرتح لسياسة القائمين عليها، الذين يداهنون الاستعمار وأعوانه ولا يهتمون بقضايا المسلمين وما يحيط بهم من مؤامرات ومكائد.

ثم أسس المكتبة السلفية الكبرى ومطبعتها، وجعلها كبرى وسائله في جهاده الطويل المدى وكفاحه الطويل النفس وجعل ينشر فيها من كنوز التراث الإسلامي عشرات الكتب، ويطلع فيها رسائل من تأليفه وتأليف كبار العلماء والمفكرين من إخوانه، ثم أصدر منها مجلته الأولى (الزهراء) والتي استمرت عدة سنوات، ثم أصدر مجلته الأسبوعية (الفتح) التي تعتبر إلى يومنا هذا من أقوى المجلات الإسلامية التي ظهرت في العالم العربي، لقد استمرت مجلة الفتح تصدر خمسة وعشرين عاما في مرحلة من أصعب المراحل التي مرت بها الأمة الإسلامية في تاريخها الحديث، وقد تبنت الفتح في تلك المرحلة العصبية قضايا العلم الإسلامي واستقطبت حولها كتاب العلم الإسلامي كله، وتصدت للدفاع عن حقائق الإسلام وحقوق المسلمين.

وقد بين رحمه الله الفكرة الداعية إلى إصدار الفتح في إحدى افتتاحياتها فقال: "إن الفتح أنشئت لمباشرة الحركة الإسلامية وتسجيل أطوارها ولسد الحاجة إلى حاد يترنم بحقائق الإسلام مستهدفا تثقيف النشء الإسلامي وصبغه بصبغة إسلامية أصيلة يظهر أثرها في عقائد الشباب

وأخلاقهم وتصرفاتهم وحماية الميراث التاريخي الذي وصلت أمانته إلى هذا الجيل من الأجيال الإسلامية التي تقدمته" (العدد الأول من عام ١٣٥٣) .
ومن هذه الكلمة الجامعة يبدو أن الفتح كانت مدرسة كبرى تعنى بتثقيف الجيل المسلم وتربيته ومعالجة قضايا واقعه على اختلاف أنواعها.
وفي مدة ربع قرن من الزمان والفتح تفتح آفاقا جديدة أمام المسلمين من الوعي الإسلامي الصحيح والفكر السياسي النير والمعالجة السليمة لقضايا العالم الإسلامي على ضوء هذا الدين الحنيف، وبعد هذا الجهاد المرير مع مختلف أعداء الإسلام في الحاضر والماضي على صفحات الفتح اضطر محب الدين رحمه الله إلى إيقافها وحينما سئل عن سبب ذلك قال: "أوقفتها حينما أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرما يفتش ويعاقب".

مشاركته بإنشاء الشبان المسلمين

ولم يكتف بذلك بل سعى مع ثلة من المفكرين والعلماء والدعاة والمصلحين والغيورين على الدين لإنشاء "جمعية الشبان المسلمين" بالقاهرة التي شارك في تأسيسها محمد الخضر حسين، وأحمد تيمور، وعبد العزيز جاويز، ومحمد أحمد الغمراوي، وعبد الوهاب النجار، وحسن البنا، وصالح حرب... وغيرهم، وقد أسندت رئاستها للدكتور عبد الحميد سعيد، فكانت هذه الجمعية في أول تأسيسها منارة إصلاح ورسالة توجيه وإرشاد.

وعن غايته من تأسيس هذه الجمعية يقول رحمه الله: "كنت أنا وأحمد تيمور باشا والسيد محمد الخضر حسين حريصين على أن تكون هذه المؤسسة الأولى للإسلام في مصر قائمة على تقوى من الله وإخلاص، وكنا حريصين على أن يتولى إدارتها رجال يعرفون كيف يصمدون لتيار

الإلحاد الجارف بعد أن استولى المتابعون للاستعمار على أدوات الثقافة والنشر في العالم الإسلامي وفي مصر على الخصوص"، ويقول أيضاً: "وكانت الجمعية حدثاً كبيراً من أحداث الحركة الإسلامية لأن دعاة الإلحاد والتحلل كان قد استفحل أمرهم وظنوا أن قيادة الأمة قد أفلتت من أيدي ممثلي الإسلام وانتظمت إلى أيديهم".

وقد قامت مجلة "الفتح" بنشر أكثر ما يقال في منتديات جمعية الشبان المسلمين من محاضرات ودروس وندوات واحتفالات، وامتدت المجلة بموضوعاتها إلى تحليل معضلات العالم الإسلامي الرازح تحت وطأة الاستعمار.

كما أصدر محب الدين الخطيب مجلة "الزهراء" التي تُعنى بالبحث العلمي والنقد الموضوعي للأفكار الوافدة والمقولات الباطلة التي يرددها البيغاوات من تلامذة الغرب وفروخ الاستعمار وأدعياء الثقافة والأدب ورموز التغريب السائرين في ركاب المستشرقين والمستعمرين الصليبيين.

قالوا عنه

يقول الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه القيم "النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين": (... إن محب الدين الخطيب كان أمة في واحد، لأن أكثر حركات التحرر الإسلامي في الأمة العربية، عرفت منه الظهير المؤيد، والمقترح المصمم، ولكن طبيعة الجندي في نفسه، جعلته لا يطمح إلى منزلة القائد الرسمية، أما في الواقع العملي فهو قائد حقاً، وأنت حين تعرض أسماء: شكري القوتلي، وصالح حرب، ولطفي الحفار، ورفيق العظم، ومحمد كرد علي، وحسن البناء، وعبد الرحمن عزام، وعزيز المصري، وغيرهم، تجد ارتباطاً قوياً بينهم وبين محب الدين الخطيب في

كثير من المواقف الحاسمة على مدى نصف قرن متطاوّل، لأنّ محب الدين الخطيب انتقل في دنيا الكفاح الإسلامي ما بين دمشق، وبيروت، وتركيا، والقاهرة، واليمن، ومكة انتقال المكافح الذي يقف في مقدمة الصفوف) انتهى.

نشاطه

حقاً لقد كان الأستاذ محب الدين الخطيب متعاوناً مع كل العاملين للإسلام من الدعاة والمصلحين والزعماء المخلصين أمثال : محمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، وحسن البناء، وتقي الدين الهلالي، وغيرهم، وكان كخليفة النحل في نشاطه وتحركه وصولاته، حيث كان واسع الاتصال بالشخصيات الإسلامية في أنحاء العالم. وقد أصدر بالتعاون مع حسن البناء وطنطاوي جوهري مجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية سنة ١٩٣٣م.

توليّه مجلة الأزهر

ولم يتوقف الأستاذ محب الدين الخطيب عن الكتابة والنشر، بل استمر من خلال المكتبة السلفية، والمطبعة السلفية يُصدر الكتب والنشرات، ويحقق كتب التراث الإسلامي، ثم سعدنا به رئيساً لتحرير مجلة "الأزهر" بناء على ترشيح شيخ الأزهر العلامة الإمام محمد الخضر حسين، ولقد كانت افتتاحيات محب الدين الخطيب، زاداً لنا نحن الطلبة الأزهريين، تشجّد هممنا، وتُقيّ عزائمنا، وتستثير نخوتنا الإسلامية للذود عن الإسلام وحرّماته، والتصدي لأعدائه في الداخل والخارج ممن ينالون من الإسلام، أو نبي الإسلام، أو صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعلى أثر سوء تفاهم مع القائمين على الأزهر استقال رحمه الله من رئاسة تحرير مجلة الأزهر، وكان ذلك آخر عمل رسمي له، ثم انزوى في مكتبته ومطبعته وقطع تقريبا كل صلة له بذلك المجتمع وانكب على التأليف والتحقيق، وحتى الأعمال التجارية الصرفة كانت شبه مقطوعة مع المكتبات المصرية وكان جل تعامله في آخر أمره مع المؤسسات والمكتبات السعودية. واليوم الوحيد الذي كان يخرج فيه إلى المجتمع من جزيرته الهادئة القصية هو يوم الجمعة بعد العصر حيث يذهب إلى سوق الكتب المقامة على سور حديقة الأزبكية في القاهرة ويشترى من الكتب المختلفة القديمة والحديثة وكان يحملها بيديه الكليتين وعلى كاهله أعباء الثمانين ويتمايل في مشيته ويتعثر حتى يجد سيارة تقله إلى بيته وقد ثابر على هذه العادة الكريمة إلى ما قبيل وفاته رحمه الله، وقد جمع من ذلك مكتبة ضخمة خاصة به فاقت على ما أعتقد كل مكتبة خاصة في مصر ماعدا مكتبة العقاد، حيث بلغ تعداد كتبه الخاصة ما يزيد على عشرين ألف كتاب وكانت فهارسها تبلغ خمسة وستين مصنفا. وكان رحمه الله قد جعلها قبل وفاته وقفا على أهل العلم من ذريته وقد بنى ولده قصي داراً جديدة في محلة الدقى في القاهرة وخصص الطابق الأول منها لتلك المكتبة، كما قال ذلك هو رحمه الله.

ولقد أسهم محب الدين الخطيب بعلمه الغزير وقلمه السيل، في فضح دسائس الباطنية، وغلاة الرافضة، ومكائد الصهيونية، وسموم الاستعمار، وحقد الجوسية، ولن أنسى له توجيهاته لنا نحن الطلبة، وتحذيراته لنا من مؤامرات أعداء الإسلام، حيث كان يكرر في أحاديثه لنا بأن كل أنواع الهدم والتخريب والفساد والتدمير والكذب والتزوير الذي أصاب

المسلمين في القديم والحديث سواء على مستوى اغتيال الخلفاء أو الإسرائيليات في التفسير والحديث، أو الطعن في الصحابة والتابعين، أو الدس في السيرة والتاريخ، إنما هو من صنع اليهود والمجوس، لأنهم هم وراء كل ذلك، وهم الذين انشئوا الحركات الهدامة والجمعيات السرية والفرق الباطنية، ولا زال هذا شأنهم وديدنهم إلى اليوم، حيث يستظلون وراء أسماء براقة، ورايات متعددة، ومسميات مختلفة، وكلها تصب في مجرى واحد يستهدف تقويض الإسلام، وإفساد أبنائه، وحرب دعائه، وسلب خيراته، وتخطيط مجتمعاته، وتدمير أسرته وأفراده، حيث يملكون وسائل الإعلام والمال، وعصابات الربا والدعارة والمخدرات، ودور الفن والملاهي والقمار والخمر، وغيرها من وسائل الإفساد والهدم والتضليل والغواية التي تدمر الشباب، وتهدم مقومات المجتمع، وتذيب هوية الأفراد، وتربط الأمة بذيل الغرب الاستعماري، مستعينين بتلامذتهم الذين رضعوا حضارة الغرب بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، ما يحمد منها وما يعاب، فكانوا كالبيغاوات التي تردد ما يملأ عليها دون وعي أو ادراك.

مؤلفاته وأثاره

ولقد ترك رحمه الله ثروة فكرية كبيرة وتتمثل في مجموعة الكتب والرسائل والتعليقات، والتحقيقات التي كتبها في مراحل عمره المختلفة، وجميع كتاباته تتميز بالأسلوب الأدبي الرفيع والبيان البديع والحرارة الصادقة في العاطفة والفكرة العلمية المحققة. ومن أهم الآثار الفكرية التي خلفها رحمه الله هي ما يلي:

١- كتاب توضيح الصحيح، وهو شرح الصحيح البخاري بقلمه، الأستاذ أنور الجندي قال في كتابة مفكرون وأدباء بأنة في ثمانية أجزاء كبار.

٢- كتاب الحديقة، وهو مختارات في الأدب الإسلامي في مختلف العصور وفي مختلف الموضوعات وهو في أربعة أجزاء.

٣- كتاب مع الرعيل الأول.

٤- كتاب اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب.

٥- كتاب البهائية.

٦- رسالة الجيل المثالي.

٧- حملة رسالة الإسلام الأولون.

٨- الغارة على العالم الإسلامي - ترجمة -.

٩- تاريخ مدينه الزهراء.

١٠- الأزهر ماضيه وحاضره.

١١- الخطوط العريضة للديانة الاثني عشرية الامامية.

وله تعليقات قيمة على كتب عديدة منها:

١- تعليقاته الرائعة على كتاب العواصم من القواصم لابن العربي

المالكي. وهي أكبر وأهم من الكتاب.

٢- وكذلك تعليقات على كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي.

٣- وتعليقاته على مختصر التحفة الاثني عشرية للألوسي.

٤- وتعليقاته المفيدة على كتاب الإكليل للهمداني.

وقد طبع كتاب الأدب المفرد للبخاري مع تخرّيج أحاديثه، وكذلك طبع فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر مع الإشارة إلى الأبواب التي تفرقت فيها الأحاديث بالتعاون مع محمد فؤاد عبد الباقي. وما نشر كتاباً إلا وكتب مقدمة علمية عن المؤلف وعن الكتاب ثم هناك مئات من المقالات التي كتبها في موضوعات شتى خلال عمره المديد في الزهراء والفتح والأزهر وغيرها من الصحف والمجلات.

وكان رحمه الله يجيد اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية.

من أقواله

قال الأستاذ الخطيب في افتتاحية مجلة "الأزهر" عدد شهر جمادي الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م : (العلم عالمي لا تختص به أمة دون أمة.. ولا تحتكره قارة من قارات الأرض فيكون غيرها عالة عليها فيه، إنه مشاع كالهواء الذي نتنفسه، وكالبحار التي تحيط باليابسة، لأنه مجموعة الحقائق التي توصل إليها العقل البشري في مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن. فجدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة في القدم وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب في كل وطن، ولولا ما كان معروفاً قبل المسلمين من علم الحساب ما توصلوا إلى إتخاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة، ولولا علم الجبر والمقابلة الذي توصل علماءنا إليه من مئات السنين لما تقدمت في العصور الأخيرة علوم الرياضيات التي وصلت بها الأعمال الهندسية إلى غايتها، ولا غضاضة على أمة تطلب العلم بها من حيث تجده.

وكذلك الطب وعلوم الطبيعة، لأن العلم واحد في كل امة، وهو سبيل القوة في الحرب والإسلام ولا بد من توصيله).

ومن أقواله أيضا : (علينا أن نأخذ من كل مكان ما نحن في حاجة إليه من أسباب العزة والقوة، وأن نحتفظ بكل ما في كياننا الوطني والديني مما لا يعد من عوامل الذل وبواعث الوهن. وكل ما كان نستعيره من الأمم الأخرى محدوداً لا يتجاوز منفعته المؤكدة فإن ذلك أخرى ألا ندوب في غيرنا ونخرج من أنفسنا، فنحن نطلب من التجديد ما ننظم به حياتنا، وما نستغني به مصنوعات الأمم الأخرى بما نتججه بأيدينا نحن).

ويبين أهمية تصحيح التاريخ فيقول: "أنا مؤمن من صميم قلبي أن رسالة الإسلام جديرة بأن تستقبل من مظاهر العظمة في تهذيب الإنسانية أبهر وأزهر مما كان لها في الماضي ولن تستوفي هذه الرسالة مهمتها إلا بإرجاع الإنسانية كلها إلى نظام الفطرة الطاهرة وذلك متقف على شيء واحد هو أن يعرف العرب والسلمون من هم وممن هم وما هي رسالتهم في الحياة. ولن يكون ذلك إلا إذا بنوا مناهج تعليمهم وأسس ثقافتهم ومعالم أدبهم على هذه المعرفة والإيمان بلوازمها وتعميم طريقهم نحو أهدافها. ورأس ذلك وعموده تصحيح تاريخ العروبة والإسلام وتجريد مما دس فيه. لقد كان محب الدين رحمه الله فخورا جدا بأعجاد الإسلام ومفاخر المسلمين وكان يحزن كثيرا لبقاء تلك الأعجاد والمفاخر بعيدة عن أذهان الشباب المسلم خاصة والمسلمين عامة.

ويقول رحمه الله في تعليقه على ديوان مجد الإسلام: "وستمتع به نفوس محبي الأدب الرفيع والنظم البليغ أزماناً وأزماناً إلى أن يوجد الشاعر الذي يكتشف سر الله في اختياره العربية لغة لتثريته، والعروبة بيئة لأكمل

رساله، وأهلها أصحاباً وأعواناً على حمل رسالته إلى آفاق آسيا وأفريقية ثم إلى أوروبا".

وفي حديثه عن شيخه طاهر الجزائري رحمه الله يقول: "من هذا الشيخ الحكيم عرفت عروبي وإسلامي، منه عرفت أن المعدن الصديء الآن الذي برأ الله منه في الدهر الأول أصول العروبة ثم تخيرها ظئراً للإسلام إنما هو معدن كريم لم يبرأ الله أمة في الأرض تدانيه في أصالته وسلامته وصلابته وعظيم استعداده للحق.

وإلى هذا كان يدعو رحمه الله إلى الأخذ بأسباب القوة وبكل نافع من نتاج الحضارة الحديثة مع المحافظة على المثل والقيم والأخلاق القديمة لأن الخير كله قديم، وكان يركز على إصلاح المدارس ومناهج التعليم ووسائل الإعلام.

موقفه من المبتدعة:

كانت له أيادي بيضاء في نشر العقيدة السلفية والدفاع عنها، يظهر ذلك في تعاليقه الجيدة على المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي.

- قال في مقدمته على 'العواصم' لابن العربي: والتاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير، لكنه يريد من كل من يتحدث عن رجاله أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها، وأن يتقى الله في ذكر سيئاتهم فلا يبالغ فيها ولا ينخدع بما افتراه المغرضون من أكاذيبها.

نحن المسلمين لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكل من ادعى العصمة لأحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو كاذب. فالإنسان إنسان، يصدر عنه ما يصدر عن الإنسان، فيكون منه الحق والخير، ويكون منه الباطل والشر. وقد يكون الحق والخير

في إنسان بنطاق واسع فيعد من أهل الحق والخير، ولا يمنع هذا من أن تكون له هفوات. وقد يكون الباطل والشر في إنسان آخر بنطاق واسع، فيعد من أهل الباطل والشر، ولا يمنع هذا من أن تبدر منه بوادر صالحات في بعض الأوقات.

يجب على من يتحدث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات، أن لا ينسى ما غلب عليهم من الحق والخير، فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات. ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم لهم بوادر صالحات، أن لا يوهم الناس أنها من الصالحات من أجل تلك الشوارد الشاذة من أفعالهم الصالحات^(١).

- قال في مقدمته على كتاب 'مختصر التحفة الاثني عشرية':
والمسلمون الأولون -الذين تولى الهادي الأعظم - صلى الله عليه وسلم -
تربيتهم وتوجيههم وإعدادهم للاضطلاع بمهمة الإسلام العظمى - كانوا
المثل الكامل للعمل بالإسلام: في إيمانهم، وطاعتهم لله، وأخلاقهم الكريمة،
وسياستهم الحكيمة، وفتوحهم الرحيمة، وتكوينهم المجتمع الإسلامي
الصالح، والدولة الإنسانية المثالية. وقد كافأهم الله على ذلك بانتشار
رسالته على أيديهم، وذيوع دعوته بين الأمم اقتداء بهم، واتباعا لهم. ولما
تخطت رسالة الإسلام حدود الجزيرة العربية المباركة -فدخلت العراق
وإيران شرقا، والشام شمالا، ومصر وإفريقية غربا- كان ذلك سعادة
للأخيار من أهل البلاد المفتوحة، وغذاء لعقولهم، وبهجة وحيورا تطمئن
بهما قلوبهم. وشجى للأشرار منهم، وغصة في حلوهم، ومبعث إحنة

(١) مقدمة العواصم (٤٦ - ٤٧).

وغل تسمت بهما دماؤهم وأرواحهم. إن الأخيار من طبقات سالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، فالحسن البصري، وعبد الله بن المبارك، فمحمد بن إسماعيل البخاري، وأبي حاتم الرازي، وابنه عبد الرحمن، وأندادهم وتلاميذهم، استقبلوا هداية الإسلام السليمة الأصيلة بأرواحهم وعقولهم، وفتحوا لها أبوابهم وصدورهم، وأحلوا لغتها محل لغاتهم، وعملوا بسننها بدلا من سننهم، ونسخوا بإيمانها كل ما كانوا -أو كان آباؤهم- عليه من قبل. فساهموا في حفظ كتاب الله وسنة رسوله الأعظم، وحرصوا على فهمهما كما كان يفهمهما أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن مسعود ومعاذ بن جبل ومن أتم بهم وسار على منهاجهم، حتى صاروا بنعمة الله إخوانا للمسلمين كصالحى المسلمين، وأئمة للمسلمين كسائر أئمة المسلمين^(١).

- وقال في مقدمة تحقيقه على كتاب 'المنتقى من منهاج الاعتدال' للذهبي رحمهما الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)} [المائدة: ٨].

إن ظهور هذا الدين الإسلامى -على فترة من تاريخ الإنسانية- كان حادثا من أعظم أحداثها، بل هو أعظم أحداثها، فقد جاء لإقامة الحق: ما كان منه وما سيكون، فكل حق يواجهه البشر في اتلافهم واختلافهم، وفي معاملاتهم وأقضييتهم وأحكامهم، وفي تفكيرهم وبحوثهم ودراساتهم وأنظمتهم، وفي تعاونهم على ما فيه خيرهم ومصالحهم: فهو من الإسلام.

(١) مقدمة مختصر التحفة الاثني عشرية.

وحسب الإسلام مكانة في تاريخ التشريع أن يسميه الله "دين الحق" {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} [التوبة: ٣٣]، وكل ما وافق العدل والقسط فالإسلام يدعو أهله إلى أن يقوموا به، وأن يشهد كل واحد منهم بما يعلمه منه، وأن يعملوا جميعا على بسط سلطان العدل ونشر لوائه في دار الإسلام وفي سائر آفاق الأرض كاملا وافيا بأقصى ما يستطيعونه، ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم، فالحق والعدل وإقامتهما والشهادة بهما عنصر الإسلام الأول، وخلقهم المقدم، والسمة التي يجب أن يتميز بها أهله في طيبة قلب وصفاء فطرة وطهارة نفس وإيثار لما فيه مرضاة الخالق وطمأنينة الخلق. والعدل في نظام الإسلام من التقوى، والتقوى ميزان التفاضل بين المسلمين، والله خبير بأهلها وبمن ينحرف عنها، لا تخفى عليه منهم خافية.

وهذه الصورة المشرقة لهذا الإسلام الجميل هي التي تولى خاتم رسل الله تربية أصحابه عليها، وإعدادهم ليخلفوه في دعوة الإنسانية إليها، ولم يودع - صلى الله عليه وسلم - هذه الدنيا ويغمض بصره وراء سحف بيت عائشة أم المؤمنين المطل على مسجده الشريف ليلتحق بالرفيق الأعلى؛ إلا بعد أن أقر الله عينيه الكريمتين باجتماع الصفوة المختارة منهم صفوفًا كالبنيان المرصوص، مسلمين أنفسهم وقلوبهم لله عز وجل في عبادته وطاعته، خلف خليفته فيهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي قال فيه وفي صنوه عمر بن الخطاب أخوهما علي بن أبي طالب وهو يخطب على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وفي مثل لمح البصر - بعد فاجعة الإسلام والمسلمين بفراق أكرم خلق الله على الله - لم هؤلاء البررة الأخيار شعتهم في جزيرتهم المباركة، ووجدوا

صفوفهم العامة للجهاد، كما وحدوا في أيام احتضار الرسول - صلى الله عليه وسلم - صفوفهم للصلاة، فسارت رايات أبي بكر متوجهة إلى العراق والشام حاملة أمانات الرسالة المحمدية إلى أمم الأرض أدناها فأدناها، وسرعان ما كافأهم الله على جهادهم الصادق بالنصر الموعود، فترددت أصدااء دعوة "حي على الفلاح" في الآفاق التي خفقت فيها رايات قواد الخليفة الأول: أبي عبيدة، وخالد، وعمر بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وكان هؤلاء للشعوب التي اتصلوا بها معلمين ودعاة وأصحاب رسالة من الله ورسوله إلى البلاد التي عرفت أقدارهم؛ وفتحت أبوابها وقلوب أهلها لتعليمهم وتوجيههم. وبعد أن قرت عيننا أبي بكر بنصر الله في بلاد الرافدين وربوع الشام اختاره الله لمجاورة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الأخرى، كما اختاره لصحبته في الدنيا، فأخذ دفعة القيادة في سفينة الإسلام خليفته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر بشهادة أخيهما أبي الحسن رضي الله عنهم جميعاً.

ومضت قافلة الإسلام في طريقها ترعاها عين الله التي لا تنام، فواصلت كتائب الدعوة المحمدية سيرها إلى وادي النيل، ومنها إلى شمال إفريقيا، كما توغلت أخواتها في مملكة كسرى إلى أقصى آفاقها، حتى إذا تأمرت على الدم العمري الشريف مكاييد اليهودية والمجوسية، واختار الله إليه مثال العدالة في الأرض: يسر له مجاورة صاحبيه، فارتضى المسلمون للخلافة المحمدية عليهم أطيبهم نفساً وأرحمهم قلباً وأنداهم يداً وأحفظهم للقرآن وأصبرهم على بلاء الزمان: صهر نبهم على كريمته، ولو كان له - صلى الله عليه وسلم - ابنة ثالثة لآثره بها، فكان عثمان لهؤلاء الصفوة البررة

من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا مخلصا، ولأبنائهم أبا مشفقا، وكانت الأمة مدة خلافته في أرخى عيش وأسعد مجتمع، كما شهد بذلك عالمان من كبار التابعين: الحسن البصري وصنوه ابن سيرين، بينما كانت رايات ذي النورين بأيدي المجاهدين الأبطال من رجاله تخفق في آفاق قفقاسيا وما وراء الباب مما كان قواد الأكاسرة وأبطالهم لا يطمعون في الوصول إليه. وهكذا عرفت أمم المشرق وأمم المغرب هذا الإسلام من سيرة الصحابة وعدلهم، ورفقهم وحزمهم واستقامتهم على طريق الحق الذي قامت به السماوات والأرض، وبذلك تحقق فيهم قول صاحب الرسالة العظمى - صلى الله عليه وسلم - : «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (١) ...

وهذا الحديث الشريف من أعلام نبوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ لأن الإسلام لم ير زمان سعادة وعزة واستقامة على الحق والخير كالذي رآه في زمان الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وتحديد ذلك إلى نهاية الدولة الأموية، وقد يلتحق به زمن الخلفاء الأولين من بني العباس الذين تربوا في البيئة الأموية. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (ج٧ صلى الله عليه وسلم ٤): اتفقوا - أي اتفق أئمة الإسلام - أن آخر من

(١) أخرجه بهذا اللفظ أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٢) عن عمر بن الخطاب واستغربه. وقد صح الحديث بلفظ «خير الناس قرني ...» من حديث ابن مسعود أخرجه: أحمد (١/ ٣٣٤) والبخاري (٥/ ٣٢٤/ ٢٦٥٢) ومسلم (٤/ ٢٥٣٣/ ١٩٦٣ [٢١٢]) والترمذي (٥/ ٣٨٥٩/ ٦٥٢) والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٩٤ - ٤٩٥ / ٦٠٣١) وابن ماجه (٢/ ٢٣٦٢/ ٧٩١).

كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود سنة ٢٢٠هـ، ثم ظهرت البدع، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً.

هذه المدة التي تنبأ عنها خاتم رسل الله - صلى الله عليه وسلم - ونعتها بأنها "خير القرون" وكان ذلك من أعلام نبوته، هي عصور الإسلام الذهبية التي لم ير الإسلام أعظم منها بركة، ولا أعز منها لأهله رفعة وسلطاناً، ولا أصدق من جهاد قادتها جهاداً، ولا أوسع من دعوتها إلى الله في أوسع الآفاق من أرض الله، وفيها انتشر حفظ القرآن في أنحاء المعمورة ورحل شباب التابعين إلى كل بقعة فيها صحابي يحفظ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً من سنته السنية ليتلقوها عنه قبل أن تموت بموته، ثم رحل تابعوهم إلى كل بقعة فيها أحد من كبار التابعين يحفظ شيئاً عن الصحابة ليحملوا عنه ما حمّله عن شيوخه من الصحابة، وهكذا وصلت أمانة السنة إلى رجال التدوين - من أمثال مالك وأحمد وشيوخهم ومعاصريهم وتلاميذهم - غضة يفوح منها عبق النبوة، هدية من الأمناء الحافظين إلى الأمناء الحافظين، فكان من ذلك أثمن تراث للمسلمين بعد كتاب الله عز وجل، فبهمة هؤلاء حفظ الله لنا هذه الكنوز، وبسيوفهم فتح الله للإسلام هذه الممالك، وبدعوتهم المباركة نشر الله دعوة الإسلام، فكان لنا اليوم هذا العالم الإسلامي بأوطانه وشعوبه وما فيه من علوم وعلماء كانوا في عصور الإسلام الأولى ملح الأرض وزينة الدنيا، وبصلاحهم وعودتهم إلى الله في أيامنا والآيات سيعود إن شاء الله لهذا الإسلام مجده وسلطانه، وستحيا بنهضتهم أنظمتهم وسننه، وما ذلك على الله بعزيز.

وكما أن أبناء السُّرّة وأهل السعة يرثون عن آبائهم أملاكهم وأموالهم فتكون لهم بذلك العزة والمكانة في الدنيا، إلا أن يخدعهم عنها قرناء السوء فيوهموهم أن سعادتهم ومتعتهم في تبديدها والتفريط بها. كذلك هذا المجد الإسلامي الذي ورثناه عن الصحابة والتابعين لا نعلم لأمة من أمم الأرض مجدا يضارعه في مواريث الإنسانية، وأثنى هذا الميراث وأعظمه قدسية وبركة اهتمام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بجمع القرآن، وتوحيد تلاوته، وحفظه في المصاحف، ولو أن كل مسلم على وجه الأرض دعا لهم بالرحمة والرضا وعظيم المثوبة آناء الليل وأطراف النهار على ما أحسنوا به إلى المسلمين من هذا العمل العظيم لما وفيانهم ما في أعناقنا من منة لهم، سيتولى الله عنا حسن مكافأتهم عليها، ثم من أعظم كنوز هذا الميراث العظيم عناية كل صحابي بصيانة ما حفظه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحاديثه وخطبه وسيرته وتصرفاته وتشريعه في أمره ونهيه وإقراره، فأدوا - رحمهم الله ورضي عنهم - هذه الأمانة إلى إخوانهم وأبنائهم والتابعين لهم بإحسان بما لم يعهد مثله عن أصحاب نبي غيره من الأنبياء السابقين، فكان ذلك من أعظم مواريث الإنسانية كلها في الأخلاق والتشريع وتكوين الأمم الاجتماعي والتقريب بين البشر في طبقاتهم وأجناسهم وأوطانهم وألوانهم، ولا يغمط جيل الصحابة فيما قاموا به للإنسانية من ذلك إلا ظالم يغالط في الحق إن كان غير مسلم، أو زنديق ييطن للإسلام غير الذي يظهره لأهله إن كان من المنتسبين إليه. وميراثنا الثالث من المواريث التي صارت إلينا عن الصحابة حسن عرضهم هذا للإسلام على الأمم ممثلاً بأخلاقهم الإسلامية السليمة وأعمالهم الجليلة الرحيمة، فحببوه بذلك إلى الناس، وعرفوهم به من طريق

القدوة والأسوة، فكان ذلك سبب دخول الأمم في الإسلام إلى أقصى آفاق المعمورة المعروفة في أزمنتهم.

وهذه الفضيلة قد شارك عمال الخلفاء الراشدين فيها من جاهد بعدهم من الصحابة والتابعين تحت رايات الخلفاء من قريش الذين كان من أعلام نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضا التنويه بهم في حديث جابر بن سمرة في الصحيحين^(١)، ورؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - في قباء عن جهاد معاوية رضي الله عنه في البحر، ورؤياه الثانية يومئذ عن حملة ابنه في حصار القسطنطينية^(٢)، وهؤلاء الخلفاء من قريش الذين ورد النص عنهم في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة هم الذين جاهدوا وجاهد

(١) وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة». ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قاله؟ فقال: «كلهم من قريش». أخرجه: أحمد (٥/ ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠) والبخاري (١٣/ ٢٦١، ٢٢٢، ٢٢٣) ومسلم (٣/ ١٤٥٢ - ١٤٥٣/ ١٨٢١ [٧]) واللفظ له. وأبو داود (٤/ ٤٧١ - ٤٧٢ / ٤٢٧٩، ٤٢٨٠) والترمذي (٤/ ٢٢٢٣/ ٤٣٤) من طرق عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فذكره.

(٢) البخاري (٦/ ١٢٧/ ٢٩٢٤) عن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام، قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «أول جيش من أمي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام: قلت يا رسول الله: أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أول جيش من أمي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا». قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا في البحر، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر. وقد حدث أنس بن مالك عن أم حرام هذا الحديث أتم من هذا السياق ..

رجالهم تحت كل كوكب، وطووا آفاق الأرض يحملون هذه الدعوة إلى أقاصي المعمور من بلاد آسيا وإفريقية وأوربا، ومهما تنبض قلوبنا بشكرهم والوفاء لهم والثناء على ما نشروا في الدنيا من ألوية جهادهم لن نوفيهم عشر معشار ما كان ينبغي لنا أن نفعله، وإلا فأين هي الدراسات العلمية الصحيحة التي قمنا بها لتدوين أمجادهم العظمى وبطولتهم الكبرى، وأين هي المؤلفات العصرية التي كان ينبغي أن تكون في أيدي الشباب في جميع أقطار الإسلام، والتي تجعل القارئ منا كأنه معاصر لتلك الأحداث، مرافق لكتائبها وأعلامها، مشارك بمشاعره ومداركه وخفقات قلبه في كل نصر أحرزه الإسلام في الدنيا على أيدي الصحابة والتابعين وأتباعهم^(١).

وفاته

وقد انتقل إلى رحمة الله عام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ودفن بمصر. رحم الله أستاذنا العلامة محب الدين الخطيب، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين، خير ما يجزي عباده الصالحين، ونفع الله بذريته قصي محب الدين الخطيب وإخوانه.

(١) مقدمة المنتقى من منهاج الاعتدال (٣ - ٨).

عبد الرحمن الوكيل (١٣٩٠ هـ) (١)

هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل وقد ولد في قرية زاوية البقلي - مركز الشهداء - منوفية في ٢٣ / ٦ / ١٩١٣ م.

نشأته وتعليمه:

نشأ الشيخ عبد الرحمن الوكيل نشأة علمية، فقد كان أهل القرى في ذاك الزمان مهتمين بتعليم أبنائهم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، فحفظ القرآن في كُتّاب القرية، ثم التحق بالمعهد الديني في طنطا؛ فدرس فيه تسع سنوات حتى حصل على الثانوية الأزهرية.

كان والده رحمه الله من حملة كتاب الله، وشيخ البلد في زاوية البقلي، وقد حفظ ابنه الصبي عبد الرحمن (الموطأ) بجانب القرآن، وكان هذا من شروط الالتحاق بالمعهد الأحدي التابع للأزهر بطنطا.

تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر حاصلاً على الإجازة العالية بتفوق، ثم حصل على إجازة التدريس.

وظائفه:

عين مدرساً للدين بالمدارس الثانوية بوزارة المعارف والتربية والتعليم. تعرّف على فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رائد الدعوة السلفية في مصر سنة ١٩٣٦ م، وكان السبب في مجيئه - بعد إرادة الله - سيدة

(١) مجلة التوحيد (العدد الخامس جمادى الأولى ١٤١٦ هـ/ص. ٣٤ - ٣٧). موسوعة مواقف

السلف في العقيدة والمنهج والتربية ٥٠٩/٩

فاضلة من نصيرات السنة هي (نعمت صدقي) حرم الدكتور محمد رضا ووالدة الدكتور أمين رضا وكيل كلية طب الإسكندرية، ولقد كانت له مكانته الخاصة لدى الشيخ حامد الفقي حتى إنه عندما حقق رحمه الله كتاب «نقض المنطق» ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م كتب في مقدمته يقول: «ثم وكّلت إلى الأخ الفاضل المحقق الشيخ عبد الرحمن الوكيل وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية عمل مقدمة له؛ لأنه متخصص في الفلسفة وله بصر نافذ فيها وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله».

وقد أقام المركز العام حفلة شاي توديعاً له في مساء الاثنين ٢٢/ ١٣٧٢هـ، وقد خطب كثير من الإخوان ذاكرين سجايه وفضله وعلمه، وكتبت مجلة الهدي تقول: «وأنصار السنة المحمدية إذ يودعون الأستاذ الوكيل - هادم الطواغيت- يسألون الله أن يوفقه ويسدد خطاه وأن ينفع به حيثما حل».

اختير رحمه الله رئيساً لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر القديمة، كما عمل وكيلاً أول للجماعة، وعند اختيار الشيخ عبد الرزاق عفيفي رئيساً للجماعة تم انتخابه نائباً للرئيس في ٢٢ صفر ١٣٧٩ - ٢٧/ ٨/ ١٩٥٩م، ثم انتخب رئيساً للجماعة بعد الشيخ عبد الرزاق إلى السعودية، وكان ذلك في اجتماع الجمعية العمومية المنعقدة في ١٥ محرم ١٣٨٠هـ يوليو ١٩٦٠م ليكون ثاني رئيس للجماعة بعد مؤسسها وانتخب نائباً له الشيخ محمد خليل هراس.

عندما أدمجت الجماعة غيرها وتوقفت مجلة الهدي النبوي التي كان يشغل رئيس تحريرها ويكتب التفسير بها انتدب أستاذاً بكلية الشريعة بمكة وظل في هذه الوظيفة وهو أستاذ للعقيدة بقسم الدراسات العليا وفي جوار

البلد الأمين غالبه المرض وقضى نحبه ولحق بجوار ربه في ٢٢ جمادى الأول ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧١م ودفن بالحجون.

رأي العلماء فيه:

يقول الشيخ محمد عبد الرحيم رحمه الله في مقدمة كتاب «دعوة الحق»:

«لقد كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل موفور الحظ من اللغة، وجمال البلاغة ووضوح المعنى، وسعة الاطلاع وشرف الغاية، كما جمع علمًا مصفى من شوائب البدع والخرافات الصوفية، وكان حسن اللغة قليل اللحن فصيح العبارة له اجتهاداته الواعية وكان في ذلك نمطًا فريدًا في جماعته لا يشاركه في ذلك إلا حبر سوهاج وعلامتها أبو الوفاء درويش».

ويقول عنه الدكتور سيد رزق الطويل:

«لقد كان في أخلاقه نسيج وجده سمو في الخلق وعفة في اللسان، طلق الحيا منبسط الأسارير واسع الثقافة متنوع المعرفة أديبًا، شاعرًا جزل الشعر قوي العبارة». (مقدمة دعوة الحق).

ويقول عنه الشيخ أبو الوفاء درويش في مجلة الهدي النبوي:

«لو كنت أريد أن أوفيه حقه من التمجيد - وهذا كلام أبي الوفاء - وأن أشرح آثار قلمه الفياض في نفوس القراء وأن أنوه بما خصه الله من شجاعة في الحق نادرة، وصراحة يعز منالها في أيامنا الحاضرة وأن أومئ إلى ما لازم قلمه الجريء من التوفيق في جولاته الموفقة في كل ميادين المعرفة وما امتاز به أسلوبه الجزل من روعة تسطير على النفوس، وجلال علل القلوب لما استطعت أن أوفيه حقه».

ويقول عنه الشيخ محمد صادق عرنوس:

«إن أخانا الأستاذ النابغة عبد الرحمن الوكيل المعروف بين قراء الهدي النبوي بهادم الطواغيت قد أصبح أخصائياً في تشريح التصوف والإحاطة بوظائف أعضائه، والأستاذ الوكيل يتعلم وينبغ ليمرض ويشفى».

قال العلامة أحمد بن يحيى النجفي مفتي جنوب المملكة العربية السعودية سابقاً رحمه الله في كتابه: المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال:

« وللشيخ عبدالرحمن الوكيل رئيس أنصار السنة بمصر سابقاً كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة اقتنيتُه قبل سنوات ولما قرأته كتبت عليه هذه العبارة وإني لأعدها من صالح عملي وهذه هي العبارة: رحمك الله يا عبد الرحمن لقد سجلت حقاً في هذا الكتاب وكشفت الستر المفتعل على تلك الأصنام الجوفاء التي كانت ومازالت بقاياها تقذف أبحث الكفر وأقذره وتزعم أنه عين التوحيد وتضفي هالة من القداسة على قائله الضلال معتقدين فيهم أنهم أولياء الله في الوجود وخاصته من بين العباد حتى بين الله أمرهم على يدك. اهـ

ويعتبر الشيخ عبد الرحمن الوكيل أول من قال من علماء جماعة أنصار السنة المحمدية «بأن التصوف كله شر». وكان له رحمة الله عليه أثر كبير في ظهور الكتابة العلمية عن التصوف في مجلة الهدي النبوي. وقد ظل يكتب بها قرابة ربع قرن ولقد كتب رحمه الله في آخر ما كتب تحت عنوان «نظرات في التصوف» من ذلك اعتباراً من عام ١٣٧٩هـ - ١٣٨٦هـ مقالات بلغت (٤٥) مقالاً جمعتها كلها ووجدت أنه قد اختط لنفسه منهجاً في الكتابة عن التصوف، يقول هو عنه: «إننا سنعرض

هذه القضية عرضاً عادلاً منصفاً فيه إسراف في العدل والإنصاف، وحسب القارئ إنصافاً في العرض وإيثاراً للعدل الكريم أننا سنبسّط أن آراء التصوف نفسه كما بثها كبار شيوخه، وكما دافعوا عنها تاركين للقارئ الحكم، وحسبه أن يقارن بين أصول الإسلام التي يعيها كل مسلم وبين آراء التصوف على أنها سنعين القارئ أحياناً بتذكيره بأدلة هذه الأصول من آيات القرآن وأحاديث السنة الصحيحة». ومن أراد أن يعرف صلته رحمه الله بالتصوف فليقرأ مقدمة كتابه رسالة مفتوحة إلى شيخ مشايخ الطرق الصوفية والتي سماها «صوفيات».

إنتاجه:

يتميز إنتاجه بالأسلوب الرصين، مع التحقيق الدقيق والدقة المتناهية في نقل النصوص، وتعتبر كتبه مرجعاً لكل من أراد أن يكتب عن التصوف، بل لا أكون مغالياً إن قلت: إن معظم من كتب عن التصوف بعده هم عيال عليه.

وأهم مؤلفاته:

(١) صوفيات

(٢) دعوة الحق

(٣) هذه هي الصوفية

(٤) البهائية

(٥) الصفات الإلهية

(٦) القاديانية

(٧) رسالة صغيرة طبعت تحت عنوان «زندقة الجيلي».

تحقيقاته:

(٨) حقق كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية.

(٩) مصرع التصوف للإمام البقاعي.

(١٠) الروض الأنف للسهيلي الأندلسي.

وعن كتاب "مصرع التصوف" يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل:

"هذا الكتاب: هو في الحقيقة كتابان صنفهما علم من أعلام القرن التاسع الهجري، هو برهان الدين البقاعي، سمى أولهما "تنبيه الغي، إلى تكفير ابن عربي" وسمى الآخر "تحذير العباد من أهل العناد بدعة الاتحاد" نقد فيهما ابن عربي وابن الفارض بخاصة، والتصوف المشاكل لدينهما بعامة.

ومنهاج البقاعي في النقد يقوم على أصلين.

أولاً: نقل نصوص كثيرة عن "فصوص الحكم" لابن عربي، وعن "التائية الكبرى" لابن الفارض، وقليلاً ما يعلق البقاعي على هذه النصوص، أو يكشف عما فيها من مجافاة لروح التوحيد القرآني. معتمداً على فطنة القارئ ومعرفته بدينه، فهما كفيلاً بإدراك ما في هذه النصوص من كفر ومجوسية، يدركهما القارئ حتى باللمحة الفكرية الهافية.

الآخر: ذكر فتاوى كثيرة عن أعلام شيوخ القرون: السابع والثامن والتاسع الهجرية، ومما لاحظته: أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية سوى التمرر اليسير جداً بيد أن هذا مما يجعل للكتاب خطره الكبير في نظر المتصوفة على معتقدهم، إذ ما يستطيعون اتهام أحد ممن ذكرهم البقاعي

بالخصوصة، كما كانوا يفعلون -مفترين- بالنسبة إلى الشيخ الإمام ابن تيمية. "اهـ

إله الغزالي

وتحت هذا العنوان كتب الشيخ مقالة - في كتابه الفذ " هذه هي الصوفية " - تبرز سلفيته ومدى محاربته للتصوف ، فقال رحمه الله :
ولعلم ما يقلق دهشتك، ويثير ثائرتك أن يقرن بأولئك هذا الذي افترى له الصوفية أضخم لقب في التاريخ، وهو "حجة الإسلام" ليفتكون بهذا اللقب الخادع بما بقي من ومضات النور الشاحبة في قلوب المسلمين. فاسمع إلى كاهن الصوفية - لا حجة الإسلام - يتحدث عن التوحيد ومراتبه "للتوحيد أربع مراتب ... والثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه، كما صدق به عموم المسلمين، وهو اعتقاد العوام!! (تدبر وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد!!). والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار(في هذه المرتبة يقرر وحدة الفاعل، بدليل ما سيقدره بعد، وهو أنه لا يشاهد إلا فاعلاً واحداً، فيلزمه نسبة فعل المحرم إلى ذلك الفاعل الواحد). والرابعة : ألا يرى في الوجود إلا واحداً (قرر فيما سبق وحدة الفاعل ولكنه لم ينف وجود غيره، أما في هذه، فيقرر وحدة الوجود أي وحدة الوجود، يقرر أن الذوات على كثرتها هي في الحقيقة ذات واحدة) وهي مشاهدة الصديقين، وتسميه الصوفية: الفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً، فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه؛ لكونه مستغرقاً بالتوحيد، كان فانياً عن نفسه في توحيده، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق"

ثم يحدثنا الغزالي عن مقامات الموحدين في كل مرتبة، فيصف صاحب المرتبة الرابعة من التوحيد بقوله: "والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير، بل من حيث إنه واحد، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد. فإن قلت. كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً، يكون الكثير واحداً؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات (يكل المعرفة بأسمى مراتب التوحيد إلى علوم المكاشفات، فما تلك العلوم؟ إنها قطعاً شئ آخر غير الكتاب والسنة، إنها أساطير الصوفية التي استمدوها من "أذواقهم ومواجيدهم" ثم سجلوها في كتبهم، فكأن القرآن وسنة الرسول ليس فيهما ما يصل بالقلب إلى قدس الحق من التوحيد الخالص، فتدبر تجد الغزالي يهدف إلى صرف المسلمين عن هدي رهم إلى خرافات الصوفية وضلالاتهم)، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب (اقرأ بعد هذا قول الله تعالى "ما فرطنا في الكتاب من شئ" وأهم شئ هو توحيد الله في ربوبيته وإلهيته، ولكن الغزالي يزعم أن حقيقة التوحيد الحق لا يجوز أن تسطر في كتاب، وهذا معناه أنها ليست في كتاب الله، وأنه لا يعرفها أحد إلا الصوفية أرباب الكشف!!) فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر (هذا معناه أنه هو وأمثاله من الصوفية يعرفون أسرار الربوبية، غير أنهم يضمنون بها على الكتب، وأن المسلمين جميعاً لا يعرفون حقيقة التوحيد!! ومعناه مرة أخرى: أن كتاب الله ليس فيه الحق من التوحيد) ثم يضرب لنا مثلاً عن شهوة الوحدة في الكثرة بقوله : "كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد .. فكذا كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات

كثيرة مختلفة فهو باعتبار من الاعتبارات واحد، وباعتبار آخر سواه كثير ومثاله الإنسان، وإن كان لا يطابق الغرض، ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحداً، ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه، وتؤمن إيمان تصديق (بهذا الهراء يستدل الغزالي على الوحدة بين الخلق والخالق، ويحتم علينا الإيمان به!! كنا نحب أن يأتينا بآية من كتاب الله، أو أثارة من فكر صحيح وبرهان عقلي. بيد أنه لجأ إلى الخيال السقيم يشبه الوحدة بين الله وعباده بالوحدة بين الإنسان وأعضائه!!)، وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج (صلب سنة ٣٠٩هـ لثبوت زندقته) حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال: في ماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار؛ لأصحح حالتي في التوكل، فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟! فكأن الخواص (هو إبراهيم بن إسماعيل أبو اسحق الخواص مات ٢٩١هـ) كان في تصحيح المقام الثالث، فطالبه بالمقام الرابع (كل النصوص التي ذكرتها من كتاب الإحياء للغزالي جـ ٤ من ص ٢١٢ وما بعدها ط دار الكتب العربية. وعجيب أن يمجّد الغزالي الحلاج، وهو يعلم أنه قاتل هذه الأبيات:

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ سِرّاً سَنَّا لَاهُوتِهِ الثَّاقِبِ
ثُمَّ بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِراً فِي صُورَةِ الْآكِلِ وَالشَّارِبِ
حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقُهُ كَلْحَظَةِ الْحَاجِبِ لِلْحَاجِبِ
مُزَجَّتْ رُوحُكَ فِي رُوحِي كَمَا تُمَزَّجُ الْخَمْرَةُ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ
فَإِذَا مَسَّكَ شَيْءٌ مَسَّنِي فَإِذَا أَنْتَ أَنَا فِي كُلِّ حَالٍ

[الطواسين للحلاج ص ١٣٠، ١٤٢.]

عجيب أن يمجّد الغزالي صوفياً يزعم أن الله أكل شارب، يحب الحياة ويخاف الموت، ويمحقه العدم ويقتله الحزن، وتزل به الشهوات، لنه عين خلقه!! ألم يجد الغزالي من المؤمنين من يتمثل به في بلوغ أمسى مراتب التوحيد؟ أمل يعطفه توحيد أبي بكر وعمر، فينصرف عنهما إلى تمجيد زندقة الحلاج؟!

أرأيت على من صنمته الصوفية باللقب الفخم الضخم؛ لتفتن به المسلمين عن هدي الله؟! أرأيت إلى الغزالي يدين بوحدة الوجود، أو الشهود؟! سمها بما شئت، فعند الكفر تلتقي الأسطورتان، لا تقل : إن وحدة الوجود أنشودة من البداية، ووحدة الشهود أغرودة عند النهاية، فكلتاهما بدعة صوفية بيد أنها غايرت بين الاسمين، وخالفت بين اللونين، ولكن البصر البصير لا يخدعه اسم الشهد سمي به السم النافع!!
كلتاهما زعاف الرقطاء، غير أن واحدة منهما في كأس من زجاج، والأخرى في كأس من ذهب!!

ولقد فضح الغزالي سره حين تمثل في إعجاب بتوحيد الحلاج. وهذا وحده كاف في إدانة الغزالي بالحلاجية، ولقد علمت ما هي!!

رأي في الغزالي:

ولقد فطن إلى حقيقة دين الغزالي المستشرق نيكلسون، وإلى أنه النافث لجرثومة الصوفية، فقال: "إن الغزالي أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية الذين كانوا إخواناً في ذلك الدين الحر بكل ما لكلمة الحر من معنى (ص ١٠٤) في التصوف الإسلامي" ترجمة الدكتور عفيفي. ولقد كنا نحب أن يفطن إلى ذلك بعض من يمجّدون الغزالي، كما فطن إليه المستشرق المسيحي (سبقة

إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه، فكشف كشفاً صريحاً مؤيداً بالنصوص القاطعة عن صوفية الغزالي وإن كان لم يستشهد بتلك النصوص التي نقلتها من الإحياء فيما قرأت لشيخ الإسلام!!

ويقول جولد زيهر : "وابن عربي الذي أشرنا من قبل إلى تأثره بالغزالي يخضع تفسيره الذي نحا فيه منحى التأويل إخضاعاً تاماً لوجهة النظر التي أخذ بها الغزالي (ص ٢٥٩ مذهب التفسير لجولد زيهر)!" ويقول: "خلص الغزالي الصوفية من عزلتها التي ألفاها عليها، وأنقذها من انفصالها عن الديانة الرسمية، وجعل منها عنصراً مألوفاً في الحياة الدينية، وفي الإسلام، ورغب في الاستعانة بالآراء والتعاليم بالتصوف، لكي ينفث في المظاهر الدينية الجامدة "كذا!!" .. قوة روحية (ص ١٥٩ العقيدة والشرعية لجولد زيهر) ويقول: "إن الغزالي رفع من شأن الآراء الصوفية، وجعلها من العوامل الفعالة في الحياة الدينية في الإسلام (ص ١٦١ نفس المصدر) وهكذا لم يعمل الغزالي للإسلام بل للصوفية، وبعد أن كان المسلمون على حذر من سمها، وفي انفصال تام عنها حملهم بسحر بيانه على أن يعتنقوا أساطيرها. ويقول كارل بكر: "ولقد سادت روح "الغنوص" فرق صدر الإسلام كلها، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين، ولكنه أصبح بفضل الغزالي خالياً من السم معترفاً به من أهل السنة (ص ١٠ التراث اليوناني ترجمة الدكتور بدوي) هذا هو خطر الغزالي!! صور التصوف للمسلمين حقيقاً خالياً من السم، فترشفوه، ففتك بهم. اهـ

وقد ترك الشيخ عبد الرحمن الوكيل مكتبة كبيرة سواء من إنتاج أو من اقتنائه للكتب حوت كتب نادرة في معارف متنوعة، ويكفي أن يقوم

أي باحث بزيارة مكتبته في «مسجد بابل» بالدقي ليعرف قيمة الرجل ومدى إلمامه بشتى العلوم.

موقفه من المبتدعة:

قال في كتابه 'الصفات الإلهية': أمة القرآن: ولقد آتى هذا الإيمان العظيم أكمله، فجعل من أصحابه خير أمة أخرجت للناس، وأعظم جماعة تسامت بكرامة الإنسانية وبدد بنوره الذي أشرق في قلوب هؤلاء، وأشرقوا به على الناس، بغى الصليبية، وكيد الصهيونية ودنس المجوسية، ومكن لهم بنصر الله في الأرض، فأشرق في أرجائها جلال التوحيد، وروحانية الإيمان، وصفاء الخير، ونقاء الحب، ووداعة السلام، وتلاقت الأرحام على أقدس أخوة عرفها تاريخ بني الإنسان.

فأروني الأمة التي أخرجها علم الكلام، ودعائه ألوف ألوف، وقد خيم على العقول القرون الطوال؟ إننا لا نجد أمتة إلا أمة ضلالة ذاهلة وحيرة شاردة، وإن التاريخ لم يسجل لأمة غير هذا الذي نقول؟ وسجل له أنه كان من الظلمات التي حاولت أن تغتال النور في قلوب هذه الأمة وتاريخها المجيد.

كيد دنيء: هكذا فعل الإيمان العظيم الذي تحدثنا عنه بهذه الأمة. ولكن أبى المسعرون بالأحقاد أن تظل هذه القوة العظيمة المنتصرة تبطش بالجور والسفه والضلالة والكفر، وتشيد في كل لحظة مجدا لقوة الحق، وجلالة الإيمان، وإيثار الأخوة السمحاء، وللوحدة القوية التي تجعل من البشرية أسرة واحدة.

كما أبوا أن يستكينوا إلى ذل الهزيمة، فأوغلوا في الكيد وظلوا بالمسلمين يمارسون - في دهاء - فتنهم، حتى استطاعوا الظفر بمن يهجر

القرآن، ويتنكر للسنة، ويمجد البدعة، ويسجد للخرافة "وإذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل - كما يقول ابن تيمية- انتقم الله ممن خالف الرسل، فإنه لما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط الله عليهم الكفار. ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام، وقهر الملحدون والمبتدعين نصرهم الله على الكفار" وقول الإمام ابن تيمية حق هدى إليه القرآن، وامتلاً بآياته التاريخ. (١)

موقفه من الصوفية:

له من الآثار السلفية:

- ١ - صوفيات أو 'هذه هي الصوفية'. وهو مطبوع ومتداول.
- ومما قال فيه رحمه الله: للصوفية مدد من كل نحلة ودين إلا دين الإسلام، اللهم إلا حين نظن أن للباطل اللئيم مدداً من الحق الكريم، وأن للكفر الدنس روحاً من الإيمان الطهور. والصوفية نفسها تبرأ إلا من دين طواغيتها مؤمنة بأنه هو الحق الخالص. يقول التلمساني -وهو من كهان الصوفية- "القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا" وابن عربي يزعم أن رسول الله أعطاه كتاب فصوص الحكم -وهو دين زندقة- وقال له: "أخرج به إلى الناس ينتفعون به- ويقول: فحققت الأمنية كما حده لي رسول الله بلا زيادة ولا نقصان" ثم يقول:
- فمن الله، فاسمعوا ... وإلى الله فارجعوا

(١) الصفات الإلهية (١٠ - ١٢).

على حين يذكر الحق وتاريخه الصادق أن الصوفية تنتسب إلى كل نحلة مارقة، وتنتهب منها أبحث ما تدين به، ثم تفتريه لنفسها، مؤمنة به، وتحمل على الإيمان به كل فراشة تطيف بجحيمه، وإلا فهل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود، وخرافة وحدة الأديان؟ فتلك تزعم أن الله سبحانه عين خلقه، عينهم في الذات والصفات والأسماء والأفعال، تزعم أن واهب الحياة، وخالق الوجود عين الصخر الأصم، والرمة العفنة، ووحدة الأديان تزعم أن كفر الكافر، وخطيئة الفاجر عين إيمان المؤمن، وصالحة الناسك، وتزعم أن دين الخليل هو دين أبيه آزر، وأن إيمان موسى عين كفر فرعون، وأن وثنية أبي جهل عين توحيد محمد، فكل رب الدين ورسوله، كل تعين للذات الإلهية، غير أنها سميت في تعين بمحمد، وفي آخر بأبي جهل، وهي هي في مظهريها، أو اسميها، تزعم أن دين إبليس وإيمانه عين دين أمين الوحي، وروح إيمانه، بل زادت الخطيئة فجورا، فزعمت أن إبليس أعظم معرفة بآداب الحضرة الإلهية من أمين الوحي، وأسمى مقاما.

أفمن دين الإسلام هذه الخطايا الكافرة؟^(١)

- وقال رحمه الله: كانت الجاهلية في إسفافها الوثني أقل حماقة من الصوفية، وتدبر ما قصه الله عن الجاهلية وشركها، تجدهم كانوا يوحّدون الله في ربوبيته توحيدا حرمت حتى من مثله قلوب الصوفية، إن كانت لهم قلوب، يقول تعالى: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ

(١) هذه هي الصوفية (ص. ١٩ - ٢٠).

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ يَدِينُ
مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨)
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) { [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

هذا دين الجاهلية ولكن الله لعنهم لعنا كبيرا بشركهم، لأنهم أشركوا
بالله في إلهيته، فتضرعوا إلى غيره بالدعاء.

أما الصوفية فتدين بالقتلة والمحرمين، وأوغاد الفاحشة أقطابا يتصرفون
في الوجود، ويسيطرون بقهرهم على سنن الله الكونية ونواميس الوجود
التي فطرها الله وحده، وهو الذي يصرفها وحده، ويتحكمون في أقدار
الله، فلا ينفذ منها إلا ما يشتهون، فأَيُّ الشركين أظغى بغيا، وأخبث
رجسا؟ لقد وحدث الجاهلية الله في ربوبيته، وأشركت به في ألوهيته، أما
الصوفية فنفتها عنه، وأثبتتها للمفاليك الصعاليك، بل انحدرت حتى
نفت وجود الله الحق، ونعتته بالعدم الصرف، أفيمكن أن يقاس إلحاد
الصوفية، بشرك الجاهلية؟ أم ترى هذا ليلا غاسقا، وترى الإلحاد الصوفي
دياجير تطغى، وتتراكم، وتطول، حتى لا يعرف الأبد فيها بدايته، أو
منتهاه؟ أحيبوا يا كهنة الصوفية ولكن، لا: فحسبي أن الجواب مسفر
الصبح، وضيء البيان، قوي الدلائل^(١).

وله تقديم وتعليق على كتاب 'تنبيه الغي إلى تكفير ابن عربي' وكتاب
'تحذير العباد ببدعة الاتحاد' وكلاهما للبقاعي، تحت عنوان 'مصرع
التصوف'.

(١) هذه هي الصوفية (ص. ١٣٥).

- قال رحمه الله في مقدمة الكتاب: إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله ورسوله. إنه قناع المحوسي يتراءى بأنه رباني، بل قناع كل عدو صوفي العداوة للدين الحق. فتش فيه تجد برهمية، وبوذية، وزرادشتية، ومانوية، وديسانية. تجد أفلوطينية، وغنوصية. تجد فيه يهودية، ونصرانية، وثنية جاهلية. تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر، منذ وقف في جرأة صوفية يتحدى الله، ويقسم بعزته أنه الذي سيضل غير المخلصين من عباده. تجد فيه كل هذا الكفر الشيطاني، وقد جعل منه الشيطان كفرا جديدا مكحول الإثم متبرج الغواية، متقتل الفتون، ثم سماه للمسلمين: (تصوف) وزعم لهم -وأيده في زعمه القدامى والمحدثون من الأحرار والرهبان- أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا في الإسلام، أقولها عن بينة من كتاب الله، وسنة خير المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، وبعون من الله سأظل أقولها، لعلي أعين الفريسة التعسة على أن تنجو من أنياب هذا الوحش المثلث بوشاح الدعة الحانية العطوف، ولكن سلوا الصوفية سودا وبيضا، خضرا وحمر، سلوهم: ما ردكم على هذا الصوت الهادر من أعماق الحق؟ سيقولون ما قالت وثنية عاد: إن نراك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، وآلهتهم هي قباب أضرحة الموتى وأعتابها^(١).

- وقال رحمه الله متعقباً ابن خلدون في تقسيمه طريق المتصوفة إلى طريقة السنة وطريقة هي مشوبة بالبدع: ما كان من الصحابة ولا من التابعين صوفي، ولم يسم واحد منهم بهذا الاسم المرادف للزنديق،

(١) مصرع التصوف (ص. ١٠٠).

والمصوفية منذ نشأوا وحيث كانوا عصابة تناوب الكتاب والسنة، لا يفترق في هذا سلفهم عن خلفهم في هذا، غير أن بعضهم كان أشد جرأة من بعض في البيان عن زندقته، ودليلنا ما سجله التاريخ الحق، وما خلفوه هم في كتبهم من تراث وثني طافح بالمجوسية الغادرة، فتقسيم ابن خلدون هذا مجاف للصواب، ولكنه خدع كغيره فيما يشقشق به الصوفية من زور النفاق، إذ يزعمون كاذبين أن طريقهم طريق الكتاب والسنة، وابن خلدون نفسه يقر بأنه بدعة، إذ يقول في مقدمته عن التصوف: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة" ثم هل في الكتاب والسنة أن قبر الكرخي يقسم به على الله فيستجيب، ويستشفى به فيهفو الشفاء، وأن الصوفية هم غياث الخلق؟ كما زعم القشيري في رسالته، وهو من سلف الصوفية المتقدمين، وأقلهم شناعة في إفك المتصوف.

أجاء في السنة أن العزوبية تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة، وأن تربية الجرو أفضل من تربية الولد كما زعم أبو طالب المكي في قوته، ونسب فريته المانوية إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -؟ أفيها أن الدين شريعة وحقيقة، وأن هذه أفضل من تلك؟ أفيها أن المرید لابد له من شيخ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان؟ أفيها أن قلب المرید بيد شيخه يصرفه بهواه؟ أفيها أن غضب الشيخ من غضب الله؟ أفيها أن المرید يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الغاسل؟ أفيها أن الولي أفضل من النبي؟ أفيها أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسى؟ أفيها أن الذريات تسبح بحمد الأولياء، وأن هؤلاء يفقهون تسبيحها؟ كما زعم الغزالي؟ تلك بعض مفتریات سلف الصوفية الأقدمين، يهتوا بها الحق والهدى منذ سمي أول رجل منهم بالصوفي في منتصف القرن الثاني للهجرة

وبعده، وتلك بعض ضلالات أولئك الأول الذين يزعم لهم ابن خلدون - وغيره - أن طريقهم مؤيد بالكتاب والسنة، أفتنسم على روحك مما نقلته عنهم نسيمات حق، أو عبير هدى؟ كلا بل إنه يحموم كفر ومجوسية، ألا فلنقل الحق: ما من صوفي إلا وهو يسلك طريق الشيطان وحده من سلف ومن خلف. (١)

- وقال رحمه الله: الخبير بحال الصوفية - سلفهم وخلفهم - والمتأمل في كتبهم يوقن أن الصوفية منذ نشأت، وهي حرب دينية - خفية أو مستعلنة - على الإسلام، هذا القشيري الصوفي القديم (ولد سنة ٣٧٦هـ - وتوفي سنة ٤٦٥هـ) هذا هو يقول في رسالته عنهم: (ارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركنوا إلى اتباع الشهوات. وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدانية) (ص. ٢ - ٣) الرسالة للقشيري. هذه شهادة عليهم في القرن الرابع الهجري من رجل يعدونه المثل الأعلى للصوفية العملية المعتدلة، وإنما لتدل على أن الصوفية من قديم تواصلوا بالكيد للإسلام، وإنا لا نخدعنا هذه الشفوف من النفاق الصوفي، إذ هم السم النافع يترآ شهداً مُذاباً. فالقائلون بما هلل له البقاعي هم عين القائلين بما يخنقك منه يحموم الزندقة، فالقشيري نفسه يقول في مقدمة

(١) هامش (ص. ١٥٠ - ١٥١) من الكتاب نفسه.

رسالته عن أهل الطريقة: (جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه) يفضل الصوفية على السابقين من المهاجرين والأنصار، ثم يقول: (جعل قلوبهم معادن أسرارهم، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنوارهم، فهم الغياث للخلق) وماذا بقي لله إذا كان هؤلاء غياثا للخلق؟ وماذا للصحابة من طوالع الأنوار ومعادن الأسرار إذا كان هؤلاء وحدهم كذلك؟ ثم يقول: (ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية وأشهادهم مجاري أحكام الربوبية) إذا فهم عند القشيري أعظم مقاما من خليل الله إبراهيم، ومن محمد عليه الصلاة والسلام؟ فتأمل في الأستاذ القشيري، وفي قوله، وفيما خلفه في رسالته، ثم اسمع إليه ينقل في رسالته: (لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا، المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوه) (انظر مقدمة الرسالة وص. ١٦٤ منها) وهذه زمزمة قديمة بزندقة الاتحاد ووحدة الشهود.^(١)

• موقفه من الجهمية:

- قال رحمه الله: ولقد رأيت من البر بالحقيقة، ومن الإحسان في الدعوة إلى الله أن أنشر هذه النصوص الوفيرة لأئمة الأشاعرة، بل لأعظم أئمتها، وهم: "أبو الحسن الأشعري، إمام الأشاعرة الأول، والباقلاني، والجويني، وابن فورك، والرازي، والغزالي" وسيرى أولئك الذين أضلّتهم فتنة الخلفية أن أئمة الأشاعرة قد اعترفوا صريحا كاملا بأن طريقة

(١) هامش (ص. ٢٣٢).

السلف هي الأسلم، وبأنها هي الأعلم، وبأنها هي الأحكم. وبأن طريقة الخلف حيرة وشك وضلالة أوهام.

وإني لأرجو أن يحمل هذا بعضَ الذين يحسنون الظن "بالخلفية" على الرجوع إلى الإيمان الصحيح، وعلى أن يكسروا من حدة غلوائهم في اتهامنا بالتمثيل، وبالتجسيم، وعلى أن يؤمنوا أن خلف الأشاعرة لا تصلهم رحمٌ ما بسلف الأشاعرة، فقد عاش أبو الحسن -بعد توبته- يؤكد في كل كتاب له: أنه على عقيدة سلف هذه الأمة. أما متأخرو الأشاعرة، فقد لُقّبوا بأنهم "مخانيث الجهمية والمعتزلة" لأنهم أوغَلُوا في التأويل إيغالاً أدى بهم إلى التعطيل.

فليتدبر الذين يزعمون أنهم أشاعرة أو خلف، فلعل إشراقة من نور الحق تبدد ما غام على نفوسهم من غيِّ الخلفية وفتنتها.

نصيحة من القلب: وليتدبر أولئك الإخوان الذين نشهد لكثير منهم بحسن القصد والسعي في سبيل الخير والحق، فَثَمَّتَ فيهم من يدين بالخلفية الجهمية، ويفتي بها غير مقتصد، ولا مُسْتَدِلِّ بكتاب، أو سنة. وينكر أن الله استوى على عرشه، وأن له يدين، وأن له وجهاً، ويقترب تفسيراً كله زيغ وضلالة وإفك قديم لكل آية أخبر الله فيها عن استوائه ويديه ووجهه سبحانه.

فهل هذه الخلفية هي "السنة" التي يزعم هؤلاء المفتون أنهم يؤمنون بها، ويعملون بها، ويجاهدون في سبيل أن يجعلها المسلمون لهم منهاجاً وسيلاً إلى الله؟

لا أظن أنهم يجرعون على اقتراف هذا الزعم، فما نَحَمَت الخلفية إلا بعد قرون، ولا أظن أنهم يجرعون على اتهام الصحابة والتابعين بأنهم لم

يكونوا على بينة من دينهم، وبأن "الرازي وأضرابه" كانوا أبر بكتاب الله من أبي بكر وعمر؛ أو كانوا أسلم وأحكم وأعلم، وأعظم فهماً للكتاب من صفوة هذه الأمة؟

إن من يؤكد للناس أنه "عامل بالكتاب والسنة" يجب عليه أن يكون هو القدوة الحسنة في ذلك، فيعتقد في الله سبحانه ما كان يعتقد خير العاملين بالكتاب والسنة، رسول الكتاب والسنة، أما أن يعتقد فيه ما كان يعتقد "الرازي" مثلاً، فهو بهذا يناقض ما يدعيه، ويثبت أنه عامل "بالرازي" لا بالكتاب والسنة.

ترى هل ظلت الأمة كلها أربعة قرون جاهلة بمراد الله، ضالة عن معرفته حتى ظهر أمثال "الرازي" فدل هذه الأمة على دينها؟^(١)

- وقال بعد ذكره النصوص الواضحات من كتب أبي الحسن الأشعري التي تدل على اعتناقه مذهب السلف: كل هذا، بل بعضه يدمغ بالجور أولئك الأشاعرة الذين يعمقون أن يُنسب إلى الأشعري أنه كان يمجّد عقيدة السلف. وذلك حين يتراءون بالارتياح في صحة نسب كتابه 'الإبانة' إلى الأشعري، أو حين يزعمون أنه رجع عما فيه، فألف الكتب التي تنقض ما أثبتته فيه، والإبانة في الحقيقة هو آخر كتاب ألفه.

ولا أظن في أشعري مسلم، أنه يرتضي أن يُتهم إمامه بالردة عن دين الحق، أو بأنه كان نهب الحيرة والاضطراب في عقيدته، أو بأنه كان ذا وجهين، وجه ينافق به المعتزلة والمعتلة، فيكتب في تأويل الصفات أو نفيها، ووجه آخر ينافق به السلفيين، فيكتب في إثبات الصفات.

(١) الصفات الإلهية (ص. ٣٢ - ٣٤).

ولا أظن في إنسان يحترم الحقيقة أنه يجنح إلى الريبة في صحة نسب الكتاب إلى الأشعري من غير دليل إلا إن كنا نعتبر نزغ الهوى دليلاً، كما لا أظن أنه يرتاب في أن الأشعري ظل يؤمن بكل كلمة قالها فيه، ولم يؤلف كتاباً آخر ينقض به ما أثبتته في الإبانة.

والذين يجلون الأشعري، ويفخرون بالانتساب إليه، لا أظن أيضاً أنهم يجروون على إنكار هذه الحقيقة التي أذكركم بها مرة أخرى: تلك هي أن ما انتهى إليه مذهب الأشعري على يد بعض أتباعه يخالف ما كان عليه الأشعري نفسه، ويناهضه وأن ما كتبه الرازي، أو الجويني وغيرهما من تأويلات يناقض عقيدة الأشعري كل المناقضة، وينتسب برحمٍ ماسّةٍ إلى المعتزلة والجهمية الذين كفّهم أبو الحسن الأشعري، فهل بعد هذا أستطيع أن أقدم على الظن بأن أشاعرة اليوم لن يُقدِّموا على تحطيم إمامهم الكبير؛ لينوا على أنقاضه بعض الذين أبوا إلا أن يجحدوا بدين إمامهم الكبير، وإلا أن يعينوا عليه عدوّه من الجهمية والمعتزلة، وإلا أن يسبوا كبار أئمتهم كالأشعري، ليسبوا -بغياً- أنصار السنة؟^(١)

وفاته:

توفي رحمه الله بعد فترة مع المرض وقضى أجله ولحق بجوار ربه في ٢٢ جمادى الأول ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧١م ودفن بالحجون.

(١) الصفات الإلهية (ص. ٥٢ - ٥٣).

محمد عبد الرزاق حمزة (١٣٩٢هـ)

هو العلامة المتفنن المحدث السيد الشريف محمد عبدالرزاق حمزة الأزهرى، ولد في قرية كفر عامر التابعة لمركز بنها بمصر وينتهي نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أي أنه من سلالة آل الرسول، وكان من خلقه وطبعه عدم ذكر شيء عن نسبه؛ لأن مبدأه وعقيدته التي عاشها طوال حياته أن الأنساب لا ترفع أحداً وأن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وشجرة نسبه تحتفظ بها أسرته.

وقد تربى في وسط ريفي بين أبوين كريمين، تغلب عليهما السماحة والوداعة، والبعد عن التعقيد، والصراحة في القول والعمل، وكذلك كان الشيخ محمد عبد الرزاق - رحمه الله تعالى - في حياته وظل كذلك بعد أن انتقل إلى الحاضرة، وعاش في القاهرة بين صخب المدينة وزخرفة الحضر، ومعاصرة أصحاب الترف في الطبقات (المترفة) مع هذا كله لم تتغير خصال الشيخ وانطباعاته، ولم يحد عن خلقه في السماحة والمسألة والصراحة والتمسك بمكارم الأخلاق وصفات أهل الورع والتقوى. دراسته وتحصيله:

لقد تلقى المبادئ الأولى من القراءة والكتابة والقرآن الكريم في كُتَّاب القرية، وكانت تلك المبادئ إعداداً لما بعدها من مراحل العلم وحقول المعرفة والتوسع في جوانب الدراسة الدينية والعربية والرياضية. و متى بلغ الولد سن القبول في الأزهر، وتوفرت فيه الشروط المطلوبة في طلبته، كحفظ القرآن، ألحقه أبوه بالأزهر،، وكان الشيخ محمد عبد

الرزاقي حمزة جادا في طلبه ومتقدماً على أقرانه، دؤوباً على التحصيل والغوص في المسائل العلمية وحلها بتحقيقه والإفادة منها.

علاقته بجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر:

كانت للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رحمه الله أوثق الصلات بجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ممثلة في رئيسها ومؤسسها فضيلة الشيخ العلامة محمد حامد الفقي رحمه الله وكانت بينهما صلات قوية تنبئ عن عمق العلاقة الأخوية والدعوية للشيخين الجليلين رحمهما، كما أن المكاتبات والمراسلات العلمية بينهما تنبئ أيضاً عن عمق هذه العلاقة ومتانتها، كما كان للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رحمه الله إسهامات علمية مباركة في مجلة الهدى النبوي تبرهن على قوة صلة الشيخ بجماعة أنصار السنة المحمدية التي تؤدي دوراً فاعلاً في الساحة الإسلامية داخلياً وخارجياً.

انتقاله إلى الحجاز:

وفي عام ١٣٤٤ ق صد الشيخان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ عبد الظاهر أبو السمح مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وكان الملك عبد العزيز آل سعود (ملك الحجاز وسلطان نجد كما كان لقبه يومئذ) حاجاً فاتصلاً به مع العلماء القادمين من العالم الإسلامي، وتكررت اللقاءات معه فعرف الكثير عن نشاطهما وقيامهما بالدعوة السلفية في مصر، وعرض عليها الانتقال إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية لإمامة الحرمين الشريفين والقيام بخطابة الجمع والتدريس فيهما.

وبناءً على الرغبة الملكية السامية انتقل الشيخان بأهلتهما وأولادهما إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٩م) وأصدر الملك عبد العزيز أمره

الكريم بتعيين الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السّمح إماماً وخطيباً ومدرساً في المسجد الحرام، وتعيين الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد النبوي بالمدينة.

نشاطه في المدينة:

كان للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في خطب الجمع والتدريس في الحرم النبوي جولات واسعة في الإصلاح الديني، والتوجيه الهادف، ومعالجة الأدواء الاجتماعية، كما فتح دروساً صباحية ومساءية في المسجد النبوي في الحديث والتفسير والتوحيد، وكان لكل ذلك الأثر الطيب في نفوس الشباب المثقف وغيرهم.

انتقاله إلى مكة المكرمة:

لم تطل إقامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في المدينة فنقل إلى مكة المكرمة في غضون ١٣٤٨هـ - (١٩٢٩م) مدرساً في الحرم المكي، ومساعداً للشيخ عبد الظاهر محمد أبي السّمح في إمامة الحرم والخطابة.

في المعهد العلمي السعودي:

كما عهد إليه في التدريس في المعهد العلمي السعودي ودروسه في المعهد لم تكن مقتصرة على المواد الدينية، بل قام بتدريس المواد الرياضية كالحساب والهندسة والجبر ومبادئ المثلثات.

دروسه في الحرم المكي:

استأنف - رحمه الله - نشاطه العلمي الإرشادي في مكة، بفتح دروس للعمامة بين العشائين، وبعد صلاة الفجر في المسجد الحرام، في التفسير والحديث بطريقة غير مألوفة للناس، وذلك بعدم التقيد بكتاب معين فكان يقرأ الآية غيباً ثم يبدأ في تفسيرها بما وهبه الله من سعة الاطلاع وسرعة

استحضر أقوال السلف مكتفياً في ذلك بالصحيح الثابت المأثور من الأقوال والروايات، وبهذه الطريقة أكمل مراراً تفسير القرآن الكريم، وفي الحديث أكمل قراءة الصحيحين وشرحهما على طريق تفسير القرآن، وكانت حلقات دروسه ملتقى أجناس شتى من أهل مكة والوافدين إليها، ونفر كثير من أهل جدة كانوا يحرسون على دروسه كلما جاءوا إلى الحرم، ولم تكن دروسه تخلو من طرف علمية أو نواذر أدبية دفعاً للسأم، وترويجاً لنفوس المستمعين على عادة العلماء الأقدمين الأذكياء.

وإذا تعرض لآراء الفرق المنحرفة من القدماء أو العصرين شرح للمستمعين انحرافاتهم، ثم يبدأ في نقض آرائهم بطريقة علمية منطقية سهلة، يرتاح إليها الحاضرون، ويصغون إليه وكأن على رؤوسهم الطير.

دروسه الخاصة:

وكان للشيخ - رحمه الله - بعض الدروس لأفراد من راغبي العلم في حجرته بباب علي في المسجد الحرام وكانت تعرف بقبة الساعات، وهذه الدروس كانت تشمل اللغة العربية، (النحو والصرف والبلاغة)، وأصول التفسير، وأصول الحديث، والرياضيات كالجبر والهندسة والفلك، ولم تكن دراسته لعلم الفلك على الطريقة القديمة (الربع المجيب) بل كانت على الطريقة الحديثة وقد ساعدته معرفته بمبادئ اللغة الإنجليزية للاستفادة بالتقويم الفلكي السنوي، الذي تصدره (البحرية الملكية البريطانية بلندن).

فكرة تأسيس مرصد فلكي في مكة:

وولعه بهذا الفن دفعه إلى فكرة تأسيس مرصد فلكي صغير، على رأس جبل أبي قيس بمكة المكرمة، للاستعانة بآلاته على إثبات رؤية الهلال لشهر رمضان، ورؤية هلال ذي الحجة لتحديد وقفة عرفات وعيد الأضحى،

وعرض الفكرة على الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - فوافق، وأصدر أمره إلى (وزارة المالية) ببناء غرفة خاصة للمرصد على قمة جبل أبي قبيس كما ساعده في جلب بعض آلات الرصد في مقدمتها (تلسكوب)، ولكن - مع الأسف - لم يكتب للفكرة الظهور إلى الوجود نظراً لغرابتها.

تأسيسه لمدرسة دار الحديث بمكة:

كان الاهتمام بالحديث وكتبه ودراسته ودراسة فنونه في مقدمة ما كان يحرص عليه الشيخان الجليلان الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة وبناءً عليه قام الاثنان بتأسيس (دار الحديث بمكة) سنة ١٣٥٠هـ - (١٩٣١م) بعد الاستئذان من الملك عبد العزيز - رحمه الله - وقد رحب بالفكرة، ووعدهما بالمساعدة في كل ما يحتاج إليه هذا المشروع.

وتم افتتاح هذه الدار تحت إدارة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، وعُهِدَ إلى الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بأن يكون مدرساً أولاً بها، واختير لها كذلك نخبة من العلماء المشتغلين بالحديث وعلومه للتدريس بها.

وبذل الشيخ محمد عبد الرزاق مجهوداً كبيراً في رفع مستوى طلاب الدار في علوم الحديث، وكان معظم طلابها يومئذ من المجاورين، وبعد سنوات تخرج فيها عدد لا بأس به، فرجعوا إلى بلادهم بأفريقيا وآسيا دعاءً إلى الله، وهداة إلى سنة رسوله كما تولى كثير منهم المناصب الدينية الرفيعة في بلادهم.

انتداب الشيخ للتدريس في أول معهد علمي أقيم بالرياض:

وفي سنة ١٣٧٢هـ - (١٩٥٢م) تأسس في الرياض أول معهد علمي تحت إشراف سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، وانتدب الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة للتدريس به في مادة التفسير والحديث وفروعهما، وقد وجد طلاب المعهد في شيخهم المنتدب كنوزاً من المعرفة، تجمع بين القديم والجديد، وكثيراً ما كانت دروس الشيخ تتحول بالأسئلة والمناقشة إلى علم الجغرافية والهندسة والفلك وآراء المذاهب القديمة والجديدة في هذه العلوم. واستمر انتدابه سنة واحدة تقريباً ثم عاد إلى مكة المكرمة.

إحالاته إلى التقاعد:

وبعد جهاد علمي متواصل، وخدمة للعلم في مختلف مجالاته، ونشر للمعرفة بكل الوسائل وبعد الأثر البارز الملحوظ الذي تركه رحمه الله في كل من الحرمين الشريفين، بلغ الشيخ السن القانونية التي يحال فيه الموظف إلى التقاعد، وهي الأربع والستون من العمر، صدرت الإرادة الملكية إلى سماحة رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ بإحالاته إلى التقاعد بكامل راتبه.

لقد أحيل الشيخ محمد عبد الرزاق إلى المعاش، بيد أن أحداً لم يدرك ذلك غير أقاربه، أما الطلاب الذين كانوا يدرسون عنده، والذين يجتمعون في حلقات درسه الصباحية والمسائية فلم يشعروا بأي فرق في مجالس دروسه في الحرم الشريف وفي حجرته، بل زاد نشاطه في ذلك، وزاد عدد الطلاب عنده، كما شاهد المتصلون به زيادة اهتمام منه في التأليف والتعليقات على الكتب وكتابة المقالات في المجالات.

مرضه ووفاته:

وفي الأيام الأخيرة أي منذ سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) أصيب رحمه الله بعدة أمراض، وفي مقدمتها الروماتزم، وكان بقوة توكله على الله يتحلى ويقاوم تلك الأمراض، مع المحافظة على قراءة الكتب، ثم تفرغ لتلاوة القرآن والصحف أحياناً، جالساً أو مضطجاً في البيت أو في غير بيته. وقد دخل مستشفيات مكة والطائف للاستشفاء، ثم سافر إلى بيروت وتعالج في مستشفى الجامعة الأمريكية أياماً، وأخيراً سافر مع ابنه الأستاذ عبد الله حمزة إلى تركيا ودخل مستشفى من مستشفياتها المشهورة أياماً، ثم عاد إلى مكة واشتدت عليه وطأة الأمراض، فأصبح من سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) ملازماً للفراش، وأخيراً وافاه الأجل المحتوم في الساعة الثامنة بالتوقيت الغروبي من يوم الخميس ٢٢ - ٢ - ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)، وصُلِّيَ عليه في المسجد الحرام بعد صلاة المغرب، ودفن بالمعلا - رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الفردوس الأعلى.

تلاميذه:

ومن أبرز تلاميذه: العلامة عبدالله خياط، والشيخ علي الهندي، والشيخ سليمان الصنيع، والأستاذ المحقق أحمد عبدالغفور عطار، والعلامة المؤرخ حمد الجاسر، والشيخ محمد الصومالي، والشيخ إسماعيل الأنصاري، والشيخ محمد بن عمر الشايفي السوداني، والشيخ يحيى بن عثمان المدرس عظيم آبادي، والشيخ محمد الفاداني، والشيخ محمد نور الدين حسين جماوي الحبشي، والشيخ المحقق أبو تراب الظاهري، والدكتور محمد بن سعد الشويعر، والشيخ عبدالله بن سعدي العبدلي - وغيرهم رحم الله حيهم وميتهم -

مؤلفاته وآثاره العلمية:

- ١ - كتاب الصلاة ويعتبر كموسوعة مصغرة لموضوع الصلاة، فقد جمع فيه كل ما يتعلق بالصلاة وأنواعها (مطبعة الإمام بالقاهرة ١٣٧٠هـ) ٢٠٠ صفحة.
 - ٢ - كتاب الشواهد والنصوص في الرد على كتاب هذي هي الأغلال (مطبعة الإمام بالقاهرة ١٣٦٧هـ) ٢٠٠ صفحة.
 - ٣ - رسالة في الرد على بعض آراء الشيخ الكوثري (مطبعة الإمام بالقاهرة ١٣٧٠هـ) ٧٢ صفحة.
 - ٤ - كتاب ظلمات أبي رية (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٨هـ) ٣٣١ صفحة.
 - ٥ - الإمام الباقلاني وكتابه التمهيد في رسالة جمعت بحثه وبحث الشيخ بهجت البيطار والشيخ يحيى العلمي - رحمهم الله - مطبعة الإمام بالقاهرة.
- هذه هي مؤلفاته، وثم كتب نشرها بعد تصحيحها والتعليق عليها وهي:
- ١ - عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر طبعة مكة المكرمة (١٣٤٩هـ).
 - ٢ - رسالة التوحيد للإمام جعفر الباقر دار العباد بيروت (١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م).
 - ٣ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان المطبعة السلفية بالقاهرة (١٣٥١هـ).

- ٤ - الباعث الحثيث إلى فن مصطلح الحديث المطبعة الماجدية بمكة المكرمة (١٣٥٣هـ).
- ٥ - الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية المطبعة السلفية بمكة المكرمة (١٣٥٠هـ).
- ٦ - رسالة الطلاق لشيخ الإسلام ابن تيمية دار الطباعة المحمدية الأزهر بالقاهرة (١٣٤٢هـ).
- ٧ - الكبائر للذهبي مطبعة الإمام بالقاهرة (١٣٧٣هـ).
- ٨ - الاختيارات الفقهية طبع على نسخة كتبها بقلمه ويده.
- ٩ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، اشترك في تحقيقه وتصحيحه مع فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي، والأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م).
- ١٠ - ومن الرسائل التي ألفها ولم تطبع رسالة " الله رب العالمين في الفطر والعقول والأديان ".

محمد خليل هراس (١٣٩٥هـ-)(١)

هو الشيخ العلامة مفيد الطالبين قانع المبتدعين كاشف شبهات المتكلمين محمد خليل هراس الأزهرى ولد في (قرية الشين) مركز قطور إحدى مدن محافظة الغربية بمصر عام ١٩١٥، ثم بدأ تعليمه في الأزهر الشريف عام ١٩٢٦م ودرس وتخرج في الأزهر من كلية أصول الدين وحصل على العالمية العالية في التوحيد والمنطق عام ١٩٤٠م، وعمل أستاذاً بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر ودرس في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وجامعة أم القرى ثم عاد إلى مصر وشغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة ثم رئيساً عاماً لها.

وفي عام (١٩٧٣م) - أي قبل وفاته بسنتين - اشترك مع الدكتور عبد الفتاح سلامة في تأسيس جماعة الدعوة الإسلامية في محافظة الغربية وكان أول رئيس لها.

وكان رحمه الله سلفي المعتقد شديداً في الحق قوي الحجة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف ونشر السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة شديد التمسك بها وناصرها لها كما كان رحمه الله شوكة في حلوق المبتدعة قال عنه فضيلة الشيخ محمد رشاد الشافعي: (كان يلاقي رحمه الله من عنت الجبارين و كيد المبتدعين و زندقة الملحدين ما لا يطقه إلا الصابرون و

(١) مقدمة كتابه 'شرح العقيدة الواسطية' بقلم علوي السقاف (ص٤١ - ٤٢) ومجلة التوحيد (العدد الأول محرم ١٤١٧هـ/ص٥٧ - ٥٩) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١٠ / ٤٨)

المحتسبون) حيث ظل رحمه الله طوال حياته مدافعا عن الحديث الشريف الصحيح من اعتداءات منكري السنة فكان رحمه الله أول من رد عليهم كيدهم فتعرض رحمه الله لمحاولات عديدة للقتل من متشددى الصوفية و منكري السنة و لكن الله أعلم بمكائدهم فنجاه الله حتى يكون شوكة في حلوقهم و قد ركز رحمه الله على كتابة كتب العقيدة مثل الصفات الإلهية عند ابن تيمية - شرح العقيدة الوسطية - ابن تيمية السلفي و قد حصل الباحث موسى واصل السلمي على درجة الماجستير من كلية الدعوة و أصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة على درجة الماجستير في العقيدة و كان موضوعه: الشيخ خليل هراس و جهوده في تقرير عقيدة السلف و كان اختياره للهراس - رحمه الله - كما يقول الباحث "لاتصاف مؤلفات الشيخ بغزارة العلم، و وضوح الأسلوب و الفهم الدقيق لما عليه المخالفون لعقيدة السلف - كما تقدم - مما يجعل القيام لإبراز هذه الجهود فيه خير عظيم و نفع عظيم"

مكانته العلمية:

كان رحمه الله على قدر كبير من التميز في دراسة العقيدة السلفية و ملما إماما دقيقا بفكر الفرق الضالة المختلفة و كان رحمه الله له القدرة على أن يتكلم في موضوعات تحسبها لأول وهلة أنها من أعقد قضايا الاعتقاد و لكن الشيخ رحمه الله كان له القدرة على أن يجلي غامض الأمور و كان من معارفه و ممن كانوا رفقاء له و كانوا يقدروه حق قدره و يعرفون مكانته العلمية جماعة من كبار العلماء من أمثال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله الذي ألحَّ على طلب إعارته للتدريس بمكة المكرمة و ذلك بعد معارضة الأزهر لذلك غير أن الملك فيضل رحمه الله

طلب و أُلح في طلبه و بقى في هذا المنصب حتى توفاه الله و كان من عارفه أيضا الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله و فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس قسم العقيدة الإسلامية بجامعة أم القرى و فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي و غيرهم كثير.

موقفه من المبتدعة:

- قال في شرحه على نونية ابن القيم:

وهذه الهجرة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع قطع مسافتها، وبلوغ غايتها إلا من جرد لها ركائب عزمه، وتوجه إليها بكل همه، ولم يلتفت إلى شيء مما يعوقه في سيره من تقليد لمذهب أو تعصب لرأي أو استحسان لبدعة، ولكن مسافتها تطول وتطول جدا على من خصهم الله بالحرمان والخذلان، فصرف قلوبهم عنها، وكره انبعاثهم إليها، فثبطهم وقال اقعدوا مع القاعدين، فهي هجرة لا ينالها أبداً كسلان، ولا يقوى عليها كل رعديد الفؤاد جبان، وهي هجرة لا تحتاج أن تعد لها زادا وراحلة، وتضرب في بيد الأرض وقفارها، بل قد يقوم بها العبد وهو نائم على فراشه، ويسبق في مضمارها الساعين إلى منازل الرحمة والرضوان، الذين يغذون السير جاهدين، تحب بهم مطاياهم، وأما هو فيسير سيرا لينا رفيقا، ولكنك تراه مع ذلك قد سبق الركب، وسار أمامهم كأنه الجبل العظيم، يراه من في القاع تحته، وإنما هيا له السبق في المضمار أنه نشرت له أعلام النصوص، وفي رؤوسها أوقدت نيران، هي النور المبين لهداية السالك الحيران، ولكن لا يراها إلا من كانت له عينان بمراود الوحي مكتحلتان، لا بمراود أهل الفشر والهديان، فلما رآها هرع

نحوها وجرّد السعي إليها، فلم يلتفت عنها يمينا ولا شمالا حتى بلغها وأدرك عندها بغيته وحقق أمله.(١)

- وقال: وردت أحاديث كثيرة على ما أعد الله سبحانه من أجر عظيم للمتمسكين بسنة نبيه المختار - صلى الله عليه وسلم - عند فساد الزمان وانحلال عرى الدين. فروى أبو داود رحمه الله في سننه، وروى أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه في مسنده أثرا تضمن أن للعامل من هذه الأمة عند فساد الزمان أجر خمسين رجلا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولفظ الحديث عند أبي داود، وعن أبي أمية الشعباني قال: "سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ} [المائدة: ١٠٥]؟ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك -يعني بنفسك- ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر فيها مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله»، وزاد في غيره، قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم»، وله شاهد يقويه فيما رواه مسلم رحمه الله من أن العبادة في وقت المهرج -أي القتل والفتن- تعدل هجرة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا ولأهل السنة هجرات كثيرة لا بالأمان والأحلام ولكن بالتحقيق والتشيت، فلهم هجرة إلى الله عز وجل بالإخلاص والتوحيد، ولهم هجرة

(١) شرح النووي (٢/ ٢٨٢).

إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالافتداء والاتباع، ولهم هجرة من البدع إلى السنن، ومن المعاصي إلى الطاعات، ومن الأقوال والآراء إلى ما قاله الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما جاء في القرآن؛ وله شاهد أيضا فيما رواه الترمذي من أن الذي يجيئ سنة من سنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماتت يكون رفيقه في الجنة. اهـ (١)

- وقال في شرحه على العقيدة الواسطية: هذا بيان المنهج لأهل السنة والجماعة في استنباط الأحكام الدينية كلها، أصولها وفروعها، بعد طريقتهم في مسائل الأصول، وهذا المنهج يقوم على أصول ثلاثة: أولها: كتاب الله عز وجل، الذي هو خير الكلام وأصدق، فهم لا يقدمون على كلام الله كلام أحد من الناس.

وثانيها: سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وما أثر عنه من هدي وطريقة، لا يقدمون على ذلك هدي أحد من الناس.

وثالثها: ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرق والانتشار وظهور البدعة والمقالات، وما جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزنوها بهذه الأصول الثلاثة التي هي الكتاب، والسنة، والإجماع، فإن وافقها قبلوه، وإن خالفها ردوه؛ أيا كان قائله. وهذا هو المنهج الوسط، والصراط المستقيم، الذي لا يضل سالكه، ولا يشقى من اتبعه، وسط بين من يتلاعب بالنصوص، فيتأول الكتاب، وينكر الأحاديث الصحيحة، ولا يعبأ بإجماع السلف، وبين من يخبط

(١) شرح النونية (٢/ ٣٢١).

خبط عشواء، فيقبل كل رأي، ويأخذ بكل قول، لا يفرق في ذلك بين
غث وسمين، وصحيح وسقيم.^(١)
• موقفه من الحوار:

- قال في شرحه على الواسطية: قوله: (وفي باب أسماء الإيمان ...)
إلخ. كانت مسألة الأسماء والأحكام من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام
بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين
علي ومعاوية رضي الله عنهما في ذلك الحين، وما ترتب عليها من ظهور
الحوارج والرافضة والقدرية أثر كبير في ذلك النزاع.
والمراد بالأسماء هنا أسماء الدين؛ مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق
... إلخ.

والمراد بالأحكام أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة.
فالحوارج الحنابلة والمعتزلة ذهبوا إلى أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا
من صدق بجنانه، وأقر بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع
الكبائر. فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنا باتفاق بين الفريقين.
ولكنهم اختلفوا: هل يسمى كافرا أو لا؟
فالحوارج يسمونه كافرا، ويستحلون دمه وماله، ولهذا كفروا عليا
ومعاوية وأصحابهما، واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفار.
وأما المعتزلة؛ فقالوا: إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل
في الكفر؛ فهو بمنزلة بين المنزلتين، وهذا أحد الأصول التي قام عليها
مذهب الاعتزال.

(١) شرح الواسطية (٢٥٦ - ٢٥٧).

واتفق الفريقان أيضا على أن مات على كبيرة ولم يتب منها؛ فهو
مخلد في النار.

فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:

١ - نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

٢ - خلوده في النار مع الكفار.

ووقع الخلاف أيضا في موضعين:

أحدهما: تسميته كافرا.

والثاني: استحلال دمه وماله، وهو الحكم الديني^(١).

- وفيه أيضا: والشفاعة من الأمور التي ثبتت بالكتاب والسنة،
وأحاديثها متواترة؛ قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (البقرة الآية ٢٥٥). فنفي الشفاعة بلا إذن إثبات للشفاعة من بعد
الإذن. قال تعالى عن الملائكة: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)} [النجم
٢٦]. فيبين الله الشفاعة الصحيحة، وهي التي تكون بإذنه، ولمن يرتضي
قوله وعمله. وأما ما يتمسك به الخوارج والمعتزلة في نفي الشفاعة من
مثل قوله تعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)} [المدثر: ٤٨] {وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ} [البقرة: ١٢٣] {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ
(١٠٠)} [الشعراء: ١٠٠] ... إلخ، فإن الشفاعة المنفية هنا هي الشفاعة
في أهل الشرك، وكذلك الشفاعة الشركية التي يثبتها المشركون
لأصنامهم، ويثبتها النصارى للمسيح والرهبان، وهي التي تكون بغير إذن

(١) (ص. ١٩٠ - ١٩١).

الله ورضاه.(١)

- وفيه أيضا: وأما قوله: (وأما الشفاعة الثالثة؛ فيشفع فيمن استحق النار ...) إلخ. وهذه هي الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة؛ فإن مذهبهم أن من استحق النار لا بد أن يدخلها؛ ومن دخلها لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها. والأحاديث المستفيضة المتواترة ترد على زعمهم وتبطله.(٢)

• موقفه من المرجئة:

- قال رحمه الله: أهل السنة والجماعة وسط في باب الوعيد بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وإن لم ينطق به، وسُموا بذلك نسبة إلى الإرجاء، أي: التأخير؛ لأنهم أخرّوا الأعمال عن الإيمان.

ولا شك أن الإرجاء بهذا المعنى كفرٌ يخرج صاحبه عن الملة؛ فإنه لا بد في الإيمان من قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، فإذا اختل واحد منها لم يكن الرجل مؤمناً.

وأما الإرجاء الذي تُنسب إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة؛ كأبي حنيفة وغيره، وهو قولهم: إن الأعمال ليست من الإيمان، ولكنهم مع ذلك يوافقون أهل السنة على أن الله يعذب من يعذب من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها، وعلى أنه لا بد في الإيمان من نطق باللسان، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة يستحق تاركها الذم

(١) (ص. ٢١٥ - ٢١٦).

(٢) (ص. ٢١٨).

والعقاب؛ فهذا النوع من الإرجاء ليس كفرًا، وإن كان قولاً باطلاً مبتدعاً؛ لإخراجهم الأعمال عن الإيمان.(١)

- وقال أيضاً: أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وأن هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئاً. ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان؛ كان الإيمان قابلاً للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم.

ومن الأدلة على زيادة الإيمان ونقصه أن الله قسم المؤمنين ثلاث طبقات، فقال سبحانه: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ} [فاطر: ٣٢].

فالسابقون بالخيرات هم الذين أدوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقربون.

والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرمات. والظالمون لأنفسهم هم الذين اجتروا على بعض المحرمات وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

(١) شرح الواسطية (ص. ١٨٨ - ١٨٩).

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك أن المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان، فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خير كثير، فازداد به إيمانه، وتمّ يقينه، ومنهم من هو دون ذلك، حتى يبلغ الحال ببعضهم أن لا يكون معه إلا إيمان إجمالي لم يتيسر له من التفاصيل شيء، وهو مع ذلك مؤمن.

وكذلك هم متفاوتون في كثير من أعمال القلوب والجوارح، وكثرة الطاعات وقلتها.

وأما من ذهب إلى أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وأنه غير قابل للزيادة أو النقص؛ كما يُروى عن أبي حنيفة وغيره؛ فهو محجوج بما ذكرنا من الأدلة، قال عليه السلام: (الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق). اهـ (١)

وفاته:

توفي رحمه الله في شهر سبتمبر عام ١٩٧٥م بعد حياة حافلة بالعطاء حيث كان له نشاط ملحوظ في العام الذي توفي فيه حيث ألقى عدة محاضرات في طنطا و المحلة الكبرى و المركز العام لأنصار السنة و كانت آخر خطبة له بعنوان التوحيد و أهمية العودة إليه. وكانت حياة الشيخ كلها في التوحيد وقد أفنى عمره كله في نصرة العقيدة السلفية والذب عنها فرحمة الله عليه.

(١) شرح الواسطية (ص. ٢٣١ - ٢٣٣).

أبو السمع عبد المهيمن محمد نور الدين (١٣٩٩هـ-)(١)

ولادته :

ولد الشيخ أبو المسح عبد المهيمن في قرية التلين بمديرية الشرقية عام ١٣٠٧هـ .

وصفه :

كان ذا لحية بيضاء أكسبته هيبة ووقاراً . طويل القامة ، أبيض اللون ، يلبس العباءة العربية ، وسيم المطلع ، أسود العينين ، رياضي الجسم ، أنيق الشكل والمظهر .

صفاته :

ينتهاز الفرصة فيتلقي العلم عن العلماء ، ويقول الذين عاشروه أنه كان متواضعاً دمث الأخلاق رقيقاً سهلاً . كان ملازماً للمسجد ورعاً وزاهداً في الدنيا . عرف بالتقوى والصلاح ، تربى على ثقافة دينية . كان مجتهداً في طلب العلم . وكان مشهوراً برحابة الصدر ويشجع على الإفصاح عن الرأي وحرية المجادلة الحسنة لتتقرر الحقيقة . يجيب السائل برفق وبشاشة ، كان لبقاً في حديثه . سديد الرأي في أدق الأمور ، طلق السان ، طيب القلب ، سليم النية ، يكره الملق والتكبر .

نشأته :

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد (١٦) تنمة الأعلام لمحمد خير رمضان يوسف

نشأ الشيخ أبو السّمح في بيت علم ودين ، وعرفت عائلتهم بالزهد والتقوى والورع فترى وتثقف ثقافة دينية . أتم حفظ القرآن الكريم ولم يبلغ العاشرة من عمره . قرأ القرآن وجوده بروايتي عاصم وحفص . وحفظ عدداً من المتون كالألفية لابن مالك والشاطبية للشاطبي وغيرهما من المتون. وجمع القراءات. ولما أنشأ السيد محمد رشيد رضا مدرسة: "الدعوة والإرشاد" انتظم فيها وتخرج فيها.

تعليمه :

تلقى علومه وثقافته الدينية في الجامع الأزهر الشريف على أيدي كبار علماء عصره وتلمذ على كثير منهم من أمثال الشيخ محمد عبده رحمه الله

أعماله :

- عمل الشيخ أبو السّمح عبد المهيمن إماماً للحرم المكي الشريف منذ عام ١٣٦٩-١٣٨٨هـ .

- قضى شبابه في الدعوة إلى الله وإلى اتباع سنة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام فشارك في تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة وكان من أبرز أعضائها الداعين إلى إخلاص العبادة لله وحده وتجنب التبرك بالأضرحة والاستعانة بغير الله وغير ذلك من مظاهر الشرك الشائعة في ذلك الزمن .

- التقى رحمه الله في المملكة العربية السعودية بالكثير من علمائها الأفاضل الأفاضل الصالحاء أمثال الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي الأكبر رحمه الله والمشايخ عبد الملك بن إبراهيم وعبد الله بن دهيش ومحمد على الحركان وغيرهم ممن ساهموا بجهدهم معروف في نشر الدعوة الإسلامية . وشاركهم مجالس العلم وندواته وقد رأى فيه جلالة الملك عبد العزيز

طيب الله ثراه اهتماماً بتوجيه النشء إلى العقيدة الصحيحة فأمر بتعيينه مديراً للمعهد الثانوى بعنيزة في مدينة القصيم ، حيث واصل عليه رحمه الله جهوده الرامية إلى غرس المفاهيم والمبادئ الدينية الصحيحة في الشباب - ولجهوده الملموسة استدعاه جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه

لإمامة المسلمين في الحرم المكي الشريف عام ١٣٦٩هـ .

- واصل جهوده فقام بتدريس القرآن الكريم والتفسير والحديث الشريف في مدارس وزارة المعارف وفي دار الحديث في مدينة مكة المكرمة وكان لا يعمل ولا يكل من أسئلة طلاب العلم وغيرهم ، وكان يطلب الطلاب منه الدعوات الصالحات فيرفع يديه ويدعو لهم بالهداية ثم يربت على أكتافهم ويقول لهم : "الله يصلح حالكم وينير طريقكم" . وكان رحمه الله يوصى طلابه قراءة صحيح البخاري ، وكان يشرح في شرح الدرس إلى أن ينتهى دون أن يتقيد بزمن إذا كان الزمن لا يكفى للشرح والتوسع في الموضوع بحثاً وتحليلاً وتمحيصاً فتظل عبارات شرحه عالقة بأذان الطلاب .

- كان الشيخ إلى جانب ذلك من أكثر الداعين وتحمساً لتضامن المسلمين وتوحيد كلمتهم للوقوف في وجه التيارات الإلحادية والتبشيرية السائدة في العصر الحديث فكان من أشد المؤيدين لدعوة جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى إنشاء رابطة العالم الإسلامي ، وبعد إنشاء الرابطة واظب رحمه الله على حضور اجتماعاتها وندواتها ولم يدخر جهداً في سبيل نشر الدعوة وإعلاء كلمة الله طوال حياته .

- كما عمل مدرساً في المدرسة المنصورية لسنوات عديدة .

- له نشاط كبير ومشكور في مجال تقديم النصح وكتابة الملاحظات بأسلوب النقد العلمى القويم على بعض الكتاب والمفكرين ودون المساس بكرامتهم وفكرهم .

- كما أن له إسهام كبير في تعليم القرآن الكريم حفظاً وتجويداً لأبناء المسلمين سواء في داره العامة أو في المسجد الحرام أو في دار الحديث بمكة المكرمة ، وربما درّس وعلم أجيالاً أصبحوا رجالاً يعتمد عليهم في نشر الدعوة الإسلامية .

- له مصحف مرتل مسجل على أشرطة لعله محفوظ لدى الورثة - والله أعلم .

- امتازت الخطب التي كان يلقيها رحمه الله بالقوة والصراحة وفيها الكثير من العظة للتاجر والصانع ودروس في البيوع وتحايل الناس وغشهم وحرصهم للحصول على المال من شتى الطرق مشروعة أو غير مشروعة ما دام في ذلك إشباع لنهمهم . فكانت عباراته وكلماته في الخطب تظل عالقة بأذان الناس ترن رنيناً متتابعاً كأن كل حرف فيها يضىء في روحانية عجيبة تحمل معنى الإقرار لله سبحانه وتعالى ، ويلتصع في نورانية سامية . وكان دائم الدعوة للاقتناع بما قسم الله للإنسان من شظف العيش وعدم مد اليد لمذلة السؤال ، وكان رحمه الله يرشد العامة إلى الكثير من السلوكيات الإسلامية الصحيحة في التعامل مع بعضهم البعض . ويقول عن الصلاة : (من تركها فقد هدم الدين) ، وكان يدعو إلى معالجة طيش الشباب بالأسلوب التربوي وعدم القسوة الكاملة في العلاج . كما أن أسلوب الخطب عنده امتاز بالعظة والارشاد النصي القرآني أو من السنة الشريفة تطبيقاً وعملاً وقدرة ، لا حفظاً وشقشقة في الألسن . كما أنه

دائماً يرشد الناس إلى أمور دينهم ويحذرهم من الشر وينهاهم عن طرقه وأساليبه . وكان رحمه الله متقشفاً لهذا فهو دائم الدعوة إلى الخشونة ويكرر القول : (اخشوا شئوا فإن النعم لا تدوم) . وكما أنه يدعو إلى الاكتساب الحلال سواء كان بالتجارة أو الصناعة أو الوظيفة ، ويحذر من الطمع والشح والتبذير ويقول قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "إياكم والطمع فإنه الفقر" . كان رحمه الله أمر بالمعروف ناهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم ، كان يكرر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص لك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً" . أخرجه مسلم ومالك وأبو داود والترمذي .

وأقام مدرسة لتعليم الأولاد سَمَّاها (المدرسة الحمدية) في زقاق المحمص من حيّ الميدان في دمشق ، وكان يعلم فيها القرآن والقراءة والكتابة والفقه والحاسبة ومسك الدفاتر التجارية والخطّ، وقد نجحت هذه المدرسة نجاحاً عظيماً. وأقبل الناس عليها إقبالاً كبيراً ثم نقلها إلى حيّ الحقلية في الميدان وجعلها جزءاً من بيته.

فهو من المربين الذين عرفهم حيّ الميدان في دمشق.

ثم سافر بأهله إلى جدّة وأقام فيها سنوات، وأقام مدرسة فيها، نجحت نجاحاً عظيماً، وصار عليها إقبال كبير . وقد سُرَّ بالإقامة هناك وكان قريباً من أخيه الشيخ عبد الظاهر، غير أن زوجته أصابها مرض، ولم تستطع العيش في الحجاز حرّه ورطوبته وهي شامية ألفت جوّ دمشق، فعاد إلى دمشق.

كان الشيخ فقيهاً متمكناً، وكان كاتباً ذا أسلوب عال، ولكنه لم يكن ينشر شيئاً على عادة كثير من المشايخ في تلك الأيام، وقد شهد الأستاذ علي الطنطاوي بامتلاكه أسلوباً رائعاً عندما اطلع على رسالة منه إليه فيها انتقاد مهذب رفيع لموقف للطنطاوي؛ فلما قرأها أثنى على أسلوب كاتبها واعترف له بالحق.

وكان سلفياً يكره البدع ويحذر منها، من أجل ذلك كان بعض المشايخ يشيعون عنه أنه "وهّابي"، وكانت هذه التهمة كبيرة جداً عند العوام وقد يصاب المتهم بها بما يسوءه... فكان يقابل ذلك بالصبر والمضي على طريقه السوي.

وكان خطّاطاً متقناً، وقد كتب مصحفاً بخطّه الجميل الرائع، أودع في قسم المخطوطات في وزارة الأوقاف السورية، ويظهر أنه كان أثراً فنياً رائعاً.

تولّى الإمامة في مسجد الموصلي في الميدان ثم انتقل إلى جامع عَنابة في حيّ الحقلّة، فكان يؤمُّ الناس ويخطب الجمعة، وكانت خطبه متميزة بإيجازها وبأسلوبها فقد كان يكتب الخطبة ببيان الذي تحدثنا عنه آنفاً، ويعالج موضوعات تتصل بحياة الناس، وكان أدأؤه للخطبة موفقاً جداً، فكان لا يلحن أبداً، وكان يخصّ الخطبة الثانية بفائدة فقهية مما يحتاج إليه الناس.

وكان على صلة وثيقة بالشيخ محمد بهجت البيطار رحمه الله وكذلك فقد كانت له صلة بالشيخ سعدي ياسين الذي كان إذا جاء من بيروت اتصل به وزاره، وكذلك فقد كانت له صلة بالشيخ محمد ناصر الدين

الألباني وكانت له صلة وثيقة بالعلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة الذي كان يزوره كثيراً كلما جاء إلى دمشق من مكة المكرمة في فصل الصيف. وكذلك فقد كانت له صلة بالشيخ زين العابدين التونسي، وكان يصلي إماماً معه في مسجد الخانكية أول الأمر، وكانت له صلة بالشيخ سعيد الحافظ وعندما انتشرت المدارس الحكومية، اتجه الناس بأولادهم إليها فضعف شأن المدرسة، فافتتح مكتبة في الميدان مقابل مدرسة خالد بن الوليد، يبيع فيها الكتب والقرطاسية.

ثم أكرمه الله بأن فتحت ابنته مدرسة لتعليم البنات وتحفيظ القرآن الكريم فكان عليها إقبال شديد أغناه الله بذلك وجزاها الله الخير. وكان عفو اللسان لا يذكر أحداً بسوء ولا يغتاب أحداً ومجالسه كلها مجالس خير وعلم ودعوة، وكان يشجع الحركات الإسلامية، ويحضّر على مطالعة الكتب الإسلامية.

حياته العائلية :

رحل الشيخ إلى دمشق سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ولما قامت الحرب العالمية الأولى بقي في دمشق، واتخذ له فيها مسكناً، وكان قد نزل في بادئ الأمر في دار الصعيدي ثم تزوج فاطمة بنت رفاعية وأنجب منها سبعة أولاد، أربعة ذكور وثلاث بنات.

هذا وقد كتب لوحة بخطه الجميل فيها بيتان من الشعر وكان يكررها ويصدر عنها في حياته والبيتان هما:

يا لهفَ قلبي على شَيْئَيْنِ لو جُمعا عِنْدِي لَكُنْتُ إِذْنٌ مِنْ أَسْعَدِ الْبَشَرِ
كَفَافُ عَيْشٍ يَقِينِي ذُلَّ مَسْأَلَةٍ وَخِدْمَةُ الْعِلْمِ حَتَّى يَنْقُضِي عُمْرِي

ملاحظات متجول

تحت هذا العنوان كتب الشيخ ، فقال :

منذ ثلثي قرن من الزمن قدمت من أمريكا امرأة أمريكية لتقيم في مدينة كبيرة في بلد عربي إسلامي، وكان هدفها من الإقامة فيها لغرضين، أحدهما ظاهري والآخر باطني، فأما الأول فهو رعاية الأيتام الذين لا عائل لهم، وقد استطاعت أن تقنع أثرياء المدينة فأمدوها بالمال علاوة على المدد المادي الذي يصل إليها من أمريكا، فأنشأت ملجأً تؤوي إليه من لا عائل له من الأيتام وزادت المعونة الأمريكية والمساعدات المحلية من أثرياء البلدة فاتسع الملجأ وزاد عدد اللاجئين إليه ثم أخذت تدرجهم على الصناعات المختلفة حسب هواية كل لاجئ، وأهمها السجاد والتطعيم بسن الفيل وهذا هو الغرض الظاهري لمهمتها لتصل به إلى مهمتها الحقيقية (التبشير) وهدفها الخاص ورسالتها المعينة التي ظهرت أخيراً وهو تعليم اللاجئين مبادئ الدين المسيحي، وتلقينهم دروساً في التبشير ليكونوا دُعاة رسالتها في المجتمعات التي يعيشون فيها، وهكذا أظهرت في بادئ الأمر العطف والرحمة والإنسانية فاستدرت عطف الوطنيين حتى تمكنت، ثم أظهرت غرضها الثاني، وكان غرضها الأول إنسانياً بحثاً وكان ظاهراً للعيان مما شجع الأثرياء وغير الأثرياء على مساعدتها للنهوض برسالتها على أنها إنسانية وأما الغرض الثاني (الحقيقي) التبشير بالدين المسيحي ونشر تعاليمه في الأوساط المختلفة فقد تحقق بعد إتمام الغرض الإنساني الظاهري، وبعد أن تم لها تحقيق الهدفين من هجرتها، كانت تقوم بتزويج أبنائها لبناتها الذين تربوا في رعايتها وتحت كنفها منذ ما يبلغ كل منهما سناً معينة ولا تتركهما بعد الزواج بل تيسر لهما عملاً يرزقان منه وتمدهما بالمساعدة

المالية اللازمة على أن ترد هذه المساعدات على أقساط شهرية إلى إدارة الملجأ، وإيماناً من هؤلاء برسالة الملجأ، ووفاء لأهمهم التي ربتهم وشملتهم بعنايتها يقومون بتسديد الأقساط الشهرية بمواعيدها وعن طيب خاطر، ومن تلقاء أنفسهم بل ومنهم من كان يتبرع للملجأ بعد السداد، وهكذا استطاعت هذه الأمريكية أن تنشأ لها دولة داخل الدولة تأتمر بأمرها وتنفذ تعاليمها وتنشر رسالتها بل وتنقلها من جهة إلى أخرى ومن جيل إلى جيل، واستطاعت أن تنشر دينها بطريقة سلمية منظمة، ثم توفيت وتركت رسالتها أمانة في عنق أبنائها الروحانيين.

ولا زال الملجأ قائماً يؤدي رسالتها التي رسمتها له هذه الأمريكية التي جاهدت في سبيل عقيدتها وهاجرت في سبيل نشر دينها وتكوين أجيال من المبشرين لدينها تبشيراً عملياً عميق الجذور عريض الاتساع هذه لمحّة عن هذه الأمريكية التي جاءت من بلادها لتبشر بدين منسوخ في بلاد دينها الرسمي الإسلام، نهضت برسالتها ومكنت لها لإقناع أثرياء تلك المدينة الذين أمدوها بالمال والمساعدات فضلاً عن المساعدات الأمريكية.

هذه امرأة أمريكية آمنت بدينها ووهبت حياتها لتحقيق رسالتها التي تعتقد صحتها وتؤمن بخيرها وتركت بعدها ثروة بشرية جادة مجاهدة في نشر رسالتها التي ركزت لها كل إمكانياتها وجهودها ووقتها ومالها وشبابها وحسن تصرفها من وراء ذلك ما أحوج الدين الحقيقي الذي نسخ ما قبله من الأديان إلى مثل هذه المرأة المجاهدة، ما أحوج دين الله الحق إلى رجال ونساء يخلصون إخلاص تلك المرأة — تتوفر فيهم ما توفر فيها من الإخلاص والمثابرة والثبات لنشر تعاليم الدين السمح في أواسط

إفريقية وآسيا وأوروبا وأمريكا. ما أحوج العالم إلى معرفة أصول الدين الإسلامي.

لقد شاهدنا نماذج حية من المسلمين الذين جاءوا من مشارق الأرض ومغاربها ليحجوا إلى بيت الله الحرام وزيارة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، شاهدنا هذه النماذج فأنبأتنا عن جهلها المطبق بأبسط قواعد الإسلام ودلت على أن هؤلاء المسلمين في حاجة ماسة وحاجة ملحة جدا إلى من يفقههم في الدين ويصبرهم بأمر دينهم ودنياهم أنها عناصر طيبة وخامات مؤمنة وتهفوا نفوسهم إلى الإسلام في أي مكان.

أيها الأخ القارئ لا أريد أن أطيل عليك، ولكن اقرأ إن شئت في الكتاب الأخضر ص ٨٢ قصة طريفة أذكر لك منها كلمات ذلك السنغالي التي ألقاها في أحد مساجد لبنان في يوم الجمعة بين المسلمين ومما قال:

"يا إخواننا العرب إننا نرجوكم أن تكونوا أنتم قادتنا لأنكم لو لم تكونوا أشرف أمة لما اختاركم الله لحمل رسالته ونشر دعوته، وإنه ليشرفنا أن تقبلونا جنودا مخلصين نسير وراء قيادتكم مؤمنين ونتعلم لغتكم صادقين ونتلوا قرآنكم مصليين ونسجد لرَبنا وربكم طائعين وعابدين". أكتفي بهذه الكلمات من غير تعليق، والكتاب كله تجب قراءته.

فإذا تركناهم على ما هم فيه فسيتلقفهم المبشرون الذين أتقنوا هذه المهنة كما قرأت عن الأمريكية فيحولونهم من مسلمين إلى الأديان الأخرى ويتخذون منهم تكأة يتكئون عليها وقاعدة ينشرون منها ويجعلونهم أعداء لنا بعد أن كانوا إخوانا لنا في الدين والعقيدة ثم استطرد

المتجول ليلقى التبعة على علماء المسلمين في جميع الأقطار فقال: إن علماء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها منعزلون انعزالا تاما عن هذه البقاع ويعيشون في معزل عن العالم وقد ارتضوا من حياتهم أن يصلوا في اليوم خمس أوقات وأن يصوموا رمضان وأن يؤدوا باقي ما اقترض الله وكفى، ولكن دين الله يتطلب من هؤلاء العلماء أن يجاهروا في سبيل الدعوة _ لا هذه الأمريكية _ لإنقاذ العالم من بידاء الجهالة وضلال الكفر.

إن دين الله وتعاليم الشرع الشريف والقرآن الكريم، وإن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا يكفيها من العلماء شقشقة اللسان ولكنها تتطلب علماء عاملين بما يعلمون ومجاهدين بأموالهم وأنفسهم ومضحين بكل مرتخص وغال حتى يضمنوا لأنفسهم حياة سعيدة في جنات عدن {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ} الآية ...

إن الدين في حاجة إلى قول باللسان يصدقه القلب والوجدان، فيتفاعل القول مع العمل ويتبلور في رجل مؤمن ومسلم عامل، وهذا عند الله خير من جيش عرمرم من المسلمين بل من العلماء الذين يقولون ما لا يفعلون و {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} إن الجهل الذي يسود العالم والكفر الذي يعيش فيه أغلب دول العالم مرجعه إخلاد أهل الدين من المسلمين إلى الدعة والاكتفاء بتسميتهم مسلمين وعلماء.

ما أحوج العلماء إلى توزيع الوعاظ وخريجي الجامعات الإسلامية لكن على نمط تلك الأمريكية وهم كثيرون على دول العالم ليقضوا فيها بقية حياتهم يجدون ويجاهدون بالطرق السهلة التي ضربت لنا فيها المثل الكبير هذه الأمريكية التي خلد التاريخ صنيعها والتي لا يزال أهل تلك البلدة يذكرونها ويشكرون لها جهودها إني أدعو العلماء من جميع الأقطار إلى

تعليم دعاة يذهبون إلى كل دولة بحيث يتعلمون لغة هذه الدول التي يبعثون إليها ليعيشوا فيها ويموتوا بها بعد الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وبعد أداء رسالتهم فيحييهم الله في الدار الآخرة مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

إذا فعل كل غيور على دينه من هؤلاء العلماء الدعاء على نحو الطريقة التي سلكتها المرأة الأمريكية وحذوا حذوها فسيكون أثرهم في هداية الخلق خلال ثلث قرن من الزمان أضعاف ما قامت به تلك الأمريكية وخلال ثلثي قرن وذلك لسهولة تعاليم الإسلام السمح وقبول النفوس له (لأنه دين الفطرة) وإقبال العقلاء عليه واطمئنانهم إليه ونتيجة لذلك سنطوي ثلاثة عشر قرنا مضت ونصل حاضرا ومستقبلا السعيد بماضينا العتيق في صدر الإسلام في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم وأرضاهم ووفقنا للعمل بشريعة السماء ودين الله السمح الحنيف الذي نسخ ما قبله من الأديان وسنة خير الأنام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

هيا يا رجال الدين الحنيف.. هيا إلى الجهاد في سبيل الله.. هيا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.. هيا فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ولا ترضوا بالتي هي أدنى واسعوا إلى ذكر الله بالقول والعمل هيا فهاجروا في سبيل الله فالحياة جهاد والجهاد سبيل المؤمنين وطريقتهم إلى الجنة عرفها الله لهم.

إني لأرجو أن يحييني الله حتى أرى تطوير برامج التعليم الديني بما يتفق ورسالة الدين الحنيف وما يتفق مع روح الجهاد التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب لنا فيها المثل الأعلى في هجرته من مكة إلى

المدينة ثم عودته إليها منتصرا وفتحها وهو يردد قول الله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} .

لقد فتحت هذه الأمريكية أمام المسلمين آفاقا شتى وضربت لنا المثل الرفيع في الجهاد والجلد والهجرة في سبيل العقيدة والدين فاللهم ارزقنا الإخلاص لدينك ووفقنا للعمل بسنة رسولك صلى الله عليه وسلم واهدنا صراطك المستقيم ووفق ولاة أمورنا للأخذ بناصر دينك الحنيف ووفق بين حكامنا ورؤساء دولنا الإسلامية للإنفاق على ما فيه رفعة دينك وإنقاذ على ما فيه رفعة دينك وانقاذ البشرية من وهدة الجهل وضلال الكفر والعصيان إنك على ما تشاء قدير وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.(١)

وفاته :

توفي الشيخ أبو السمح في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٩٩ هـ ، في مدينة مكة المكرمة ودفن بها ، بعد حياة حافلة بالعطاء والعمل لله تعالى ، وذاع صيته بالعمل الحسن والسلوك القويم .

محمد رشاد سالم (١٤٠٧هـ) (١)

هو العالم والمحقق السلفي الدكتور (محقق تراث ابن تيمية) محمد رشاد بن محمد رفيق سالم، ولد بالقاهرة عام ١٣٧٤هـ، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس القاهرة، ثم التحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل على الماجستير من الكلية نفسها.

أقام في سوريا لمدة عام لدراسة مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق، واستطاع أن يصور عددًا كبيرًا من مخطوطات شيخ الإسلام وعلم الأعلام ابن تيمية.

حصل على الدكتوراه من جامعة كمبردج في إنجلترا عام ١٣٧٩هـ، وكان عنوان الرسالة (موافقة العقل للشرع عند ابن تيمية).

درّس في جامعة عين شمس بالقاهرة، وفي عام ١٣٩١هـ أُعير للتدريس في جامعة الملك سعود بالرياض، وقام بتأسيس قسم الثقافة الإسلامية بها، وكان أول رئيس له.

حصل على الجنسية السعودية عام ١٣٩٦هـ، وانتقل للعمل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ حيث عيّن أستاذًا بكلية أصول الدين، وقد أشرف على رسائل كثيرة للماجستير والدكتوراه، وألقى محاضرات عديدة.

(١) راجع كتاب من أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر (١/ ١٦٥) وتكملة معجم المؤلفين ص ٤٨١. مجلة الفيصل . العدد (٩٤) ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ . تنمة الأعلام ١٥٢/٢

حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الفلسفة الإسلامية من المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة في عام ١٣٩١هـ، ١٩٧١م، وحصل على وسام العلوم والآداب والفنون في السنة نفسها. وقد حصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٥هـ.

من مؤلفاته:

- المدخل إلى الثقافة الإسلامية.
- المقارنة بين الغزالي وابن تيمية.
- وصدر له في مجال التحقيق:
- تحقيق كتاب (منهاج السنة النبوية) لابن تيمية.
- تحقيق كتاب (الاستقامة) لابن تيمية.
- تحقيق المجموعة الأولى من كتاب (جامع الرسائل لابن تيمية) وهي ١٦ رسالة.
- تحقيق الجزء الأول من كتاب (الصفدية) لابن تيمية.
- تحقيق كتاب (درء تعارض العقل والنقل) لابن تيمية الذي نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تحقيق رسالة (مسألة فيما إذا كان في العبد محبة) لابن تيمية، وطبعت ضمن كتاب (دراسات عربية وإسلامية).
- وقد توفي الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله يوم ٩ / ٤ / ١٤٠٧هـ فرحمه الله عز وجل وأسكنه فسيح جناته.

محمد جميل غازي (١٤٠٩هـ) (١)

١٧ - العالم الفاضل اللغوي الأديب محمد جميل غازي الأزهرى هو العالم الفاضل الشيخ محمد جميل غازي الأزهرى ولد عام ١٩٣٦م بقرية كفر الجرايدة بمحافظة كفر الشيخ بمصر في أسرة موسرة، وكان أصغر إخوته سناً، وله أخ وأربع أخوات. وبدأت رحلة الشيخ في العلم من كُتّاب القرية، فأتم حفظ القرآن الكريم كاملاً في طفولته، ثم التحق بمعهد "طنطا الأزهرى"، وفي الصف الثاني ظهرت موهبته الشعرية واهتماماته الأدبية؛ حيث ألقى قصيدة شعرية في إحدى المناسبات لاقت استحسان الحاضرين. وقد حصل على الشهادة الابتدائية بتفوق في عام ١٩٥٤م من المعهد الأحمدي بطنطا.

ثم أكمل دراسته بنفس المعهد؛ حيث أكمل نشاطه العلمي والثقافي؛ محاضراً وشاعراً في العديد من الندوات التي أقيمت في "جمعية أنصار السنة المحمدية" و "جمعية الشبان المسلمين" بطنطا. ومنذ ذلك الوقت؛ عُرف باسم الطالب الأزهرى المثقف؛ الشاعر والعالم الديني: محمد جميل غازي، في الأوساط الدينية والأدبية والثقافية.

(١) علماء ومفكرون عرفتهم ٣/ ١٧٧ - ١٨٧ تنمة الأعلام ٢/ ١٤١، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١٠/ ١٥٧)

وفي هذه المرحلة أخرج الشيخ باكورة إنتاجه العلمي؛ فأعد كتاباً أطلق عليه " جولة مع المفكرين "، جمع فيه العديد من الموضوعات لرجال الفكر والثقافة.

كما أعد بحثاً علمياً عن " كارليل وكتابه " البطولة والأبطال " ألقاه في محاضرة بـ " جمعية الشبان المسلمين " نالت إعجاب الحاضرين.

وفي عام ١٩٥٩ م انتقل إلى القاهرة بعد نجاحه في الثانوية بتفوق، والتحق بكلية اللغة العربية، حيث ساعده انتشار الوعي الفكري والثقافي في القاهرة على العطاء والحركة بصورة أفضل؛ سواء أكان ذلك في الجامعة أو المسجد أو المدرسة أو مراكز الثقافة أو المؤسسات الدينية الأخرى.

وبعد حصوله على العالمية " ليسانس اللغة العربية " في عام ١٩٦٣ م، عمل الشيخ موظفاً بوزارة الثقافة بمحافظة المنصورة، ثم انتقل للعمل بالقاهرة، فامتد نشاطه وذاع سيطه.

حصل الشيخ على درجة الماجستير في الآداب، ثم الدكتوراه في عام ١٩٧٢ م.

زار الشيخ العديد من دول العالم؛ داعياً ومعلماً. ترأس الشيخ مجلس إدارة المركز الإسلامي لدعاة التوحيد والسنة بعد أن أسسه.

قام الشيخ بتفسير القرآن الكريم في خطب الجمعة، حتى وصل إلى سورة القارعة، ثم تابع في دروسه شرح كتاب " صحيح البخاري ".

وألّف الشيخ العديد من المؤلفات، والتي تُعدُّ فريدة من نوعها، ومن بينها:

٢ - أسماء القرآن الكريم.

٣ - الطلاق شريعة محكمة، لا أهواء متحكمة.

٤ - الصوفية؛ الوجه الآخر.

٥ - محنة الأحمدين.

هذا؛ وقد وصل الشيخ إلى درجة " كبير الباحثين " في المجلس الأعلى للفنون والآداب، كما تم اختياره - قبل وفاته - عضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

موقفه من المبتدعة:

له مقدمة على كتاب 'العواصم من القواصم' لابن العربي، قال فيها: وينبغي لنا، ويحمل بنا، أن نتوقف عند هذه النقطة من هذه المقدمة لنقول: إن ثراء الثقافة الإسلامية .. وإن باب الاجتهاد المفتوح على مصاريعه فيها .. وإن ترحيبها المستمر بكل الأمم والشعوب .. إن كل أولئك كان مدخلا تسللت منه رواسب ثقافات، وبقايا اعتقادات ومزيج من الخرافات التي لا تتفق مع الإسلام في الشكل أو في الموضوع. أرأيت إلى النهر العظيم، وهو يهدر في مجراه .. وينساب قويا عظيما ليروي الظماء من البشر والحيوان والطير والقفار .. أرأيت إلى هذا المنهل العذب وعطائه العظيم .. كذلك .. نهر الثقافة الإسلامية .. ثم .. أرأيت إلى ما يعلق بهذا النهر من غشاء .. ونباتات طفيلية .. وجنادل وصخور ناتئة من شطآنه .. أو ملقاة في سبيل مده الهادر. كذلك .. نهر الثقافة الإسلامية. وإذا كان كل نهر في حاجة إلى من يطهر مجراه .. ويعمقه .. ويزيل ما علق بمجراه، من كل ما يعوق تدفقه واندفاعه فكذلك الإسلام .. وهذا هو دور المجتدين الذين قال فيهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله

يبحث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»^(١) وكلمة (من) لا تعني مجددا واحدا .. بل تعني عشرات، ومئات، وألوف المجددين .. على طول الزمان .. وعرض المكان. والتجديد يكون لأمر الدين لا للدين نفسه. وأمر الدين كله يتسع ليشمل كل المعارف التي فجرها هذا الدين، سواء أكانت في أصول الدين، أم أصول الفقه، أم أصول الدنيا .. إن الأمم الكثيرة والأملاء التي لا تكاد تنتهي حصرا واستقصاء من الداخلين في هذا الدين ..

قد جروا معهم عن قصد أو عن غير قصد، بحسن نية أو بسوء نية .. مجموعة من الأفكار، والاتجاهات، والمأثورات الشعبية، والأساطير القومية والاتجاهات السياسية، والانتماءات الحزبية. وكل ذلك -وغيره كثير- شكل ركاما من الدخيل الذي ألصق بالثقافة الإسلامية إصاقا .. ومثل من نسميه بالخرافات والبدع والأقاصيص. ولقد كان المجال التاريخي -ولا زال، وسيظل- معبرا للتصورات الباهتة، والروايات الموضوعة، التي تؤيد حزبا ضد حزب، وتعين فريقا على فريق، إن "الرواية التاريخية" أصبحت على لسان المحاربين كالسيف الذي في أيديهم يقتلون بها .. ويشيرون القلائق في صفوف أعدائهم .. وإذا كانت "الحرب الباردة" تعتمد على "الإشاعة" و"الأكاذيب" .. فإن "الإشاعة" و"الأكاذيب" تحولت إلى روايات تاريخية .. بل إلى روايات حديثة .. يضعها الوضّاعون، ثم يرفعونها بلا خوف ولا خجل إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، أو يوقفونها بلا حياء ولا استخزاء عند صحابته رضوان الله عليهم .. وإن الله

(١) أبو داود (٤/ ٤٨٠ / ٤٢٩١) والحاكم (٤/ ٥٢٢) .

الذي تعهد بحفظ "ذكره" و"وحيه" قيض لهذه الثقافة من ينفي عنها
الخبث والعبث والضلال والتضليل والزيف والدخيل.^(١)
وقد تُوفي في الثاني عشر من شهر أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثمانية
وثمانين، عن عمر يناهز ٥٢ عامًا، ودفن بمقابر المركز بمدينة نصر
بالقاهرة.
فرحمه الله عز وجل وأسكنه فسيح جناته.

(١) العواصم من القواصم (٨ - ٩).

رشاد الشافعي (١٤١١هـ) (١)

هو العالم الفاضل الشيخ محمد عبدالمجيد الشافعي المعروف بـ " رشاد الشافعي " ولد سنة ١٣٣٨ هـ وهو المؤسس الثاني لجماعة أنصار السنة المحمدية وكان يشغل منصب الأمين العام للجماعة، والمشرف على الفروع قبل تجميد نشاطها، بجانب عمله مديراً عاما لمديرية التموين بمحافظة الجيزة، وبذل قصارى جهده في السعي لإعادة إشهار جماعة أنصار السنة المحمدية مرة أخرى، وقد تمّ له ذلك في عهد رئيس مصر السابق أنور السادات في عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٢م.

— وبعد ثلاث سنوات ١٣٩٣هـ من إعادة الإشهار أصدر العدد الأول من مجلة التوحيد لتكون بديلا عن مجلة المهدي النبوي، وتولى هو رئاسة تحريرها، ثم الشيخ عنتر حشاد، ومن بعده تولى الشيخ أحمد فهمي رئاسة تحريرها.

ومن ثم عاد نشاط جماعة أنصار السنة المحمدية إلى سابق عهده، وزاد عدد أتباعها وكثرت عدد الفروع المنتسبة إليها.

— في عام ١٩٧٥م وفي حياة المؤسس الثاني للجماعة الأستاذ محمد رشاد الشافعي تم انتخاب الشيخ محمد علي عبد الرحيم رئيساً للجماعة

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١ / ٨٦ ، موقع جماعة أنصار السنة على الشبكة العنكبوتية ، موسوعة ويكيبيديا ،

خلفاً له ومن ثم ترأس الشيخ رشاد الشافعي فرع الجماعة بمحافظة الجيزة
حتى وفاته عام ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

محمد علي عبد الرحيم (١٤١٢هـ) (١)

هو الشيخ العالم الفاضل شيخ الإسكندرية محمد علي عبد الرحيم السلفي، ولد رحمه الله في ١٦ من سبتمبر ١٩٠٤ بالمكس، ثم انتقلت الأسرة إلى وادي القمر حيث ابنتى والده منزلاً ومسجداً متصلاً به. حفظ القرآن الكريم وهو صغير ثم التحق بمدرسة المعلمين بالإسكندرية حيث تخرج منها عام ١٩٢٣.

عمل منذ تخرجه في حقل التعليم متنقلاً بين شتى القرى والمدن لسنوات عدة، وقد رقي في الوظائف التعليمية حتى صارت له رئاسة إحدى المدارس عام ١٩٣١م ثم موجهاً بعد ذلك، وقد أسس جمعية إخوان الحج بالإسكندرية عام ١٩٤٣م.

ثم تعرف على الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس أنصار السنة المحمدية عام ١٩٤٨م في إحدى رحلاته للحج.

كما كان من أعز أصدقائه فضيلة الشيخ محمد عبد السلام — رحمه الله — صاحب كتاب «السنن والمبتدعات» وكان لا يترك فرصة إلا زاره في بلدة الحوامدية — وكان من أصدقائه أيضاً حبر الصعيد الشيخ أبو الوفاء درويش صاحب كتاب «صيحة الحق» وغيره من الكتب، وقد

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ١٨٦، موقع جماعة انصار السنة على الشبكة العنكبوتية، موسوعة ويكيديا .

كان الشيخ محمد علي عبد الرحيم كثير الثناء عليه كما كان يزوره في
سوهاج كلما ذهب إليها.

ولقد جمعت الدعوة بينه وبين الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي
فكان هذا الجمع الإلهي بينهما مصدر خير حيث انتشرت دعوة التوحيد
بالإسكندرية على يديهما.

وقد وقع اختيار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي
السعودية حينذاك على الشيخ محمد علي عبد الرحيم في شوال عام
١٣٧٠هـ الموافق يونيو ١٩٥١م ليقوم بتأسيس وإنشاء مؤسسة دينية
 بالرياض يتخرج في كلياتها علماء يسدون حاجة المملكة من العلماء.
وتبدأ بالمعهد الديني وكلية الشريعة واللغة العربية، وقد زامله في تلك
الفترة كما يقول — رحمه الله — الشيخ عبد الرحمن الوكيل حتى عاد
الأخير إلى مصر.

كما وكل إليه أمر تأسيس مدارس البنات بوضع المناهج الخاصة بتعليم
البنات حيث شارك في وضع خطوطها الرئيسية ووضع المناهج ونظم
التعليم والتوجيه بها.

كذلك اختاره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للتدريس بالمسجد
الحرام هو والشيخ عبد الرزاق عفيفي خاصة في شهر رمضان وأشهر الحج
لسنوات طويلة، كما كان الشيخان رحمهما الله في مقدمة العلماء الذين
كانوا يحضرون مجلس العلم الذي كان يعقده جلالة الملك عبد العزيز آل
سعود بقصره بالمربع وذلك يوم الاثنين من كل أسبوع.

وفي عام ١٩٧٤ استقر الشيخ محمد علي عبد الرحيم بمصر بمدينة
الإسكندرية وبرغم المرض الشديد الذي كان يعانيه لم يتخلف لحظة

واحدة عن المشاركة في الدعوة، والانتقال بين الفروع، وفي عام ١٩٧٥ اختير الشيخ رئيساً لجماعة أنصار السنة المحمدية بعد أن تنازل له الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي — رحمه الله — فجمع الله به شمل الجماعة وجنبها شر الفرقة.

ويعتبر الشيخ محمد علي عبد الرحيم صاحب أطول مدة في رئاسة الجماعة بعد مؤسسها الأول إذ تولى رياستها عام ١٩٧٥م حتى توفي عام ١٩٩١م وبذلك تكون مدة رياسته خمسة عشر عاماً قام فيها بإدارة الجماعة بروح الأبوة الحانية لكل الدعاة، وقد لمست فيه — رحمه الله — ذلك بصفة شخصية في مواقف كثيرة، كما كان مضحياً في سبيل الدعوة بماله وبكل راحة له.

جهوده العلمية:

رغم مكابدة الشيخ للمرض إلا أنه كان يسهر الليل مع المقالات محرراً ومفتياً لما يوجه لجملة التوحيد من أسئلة سواء على صفحاتها أو يرد عليهم بصفة شخصية.

وقد كانت إسهاماته في الكتابة بمجلة التوحيد سبباً في أن عرفت طريقها إلى أنحاء متفرقة من العالم الإسلام. كما تضاعف عدد المطبوع منها من ٥ آلاف إلى ٣٦ ألفاً.

مكانته العلمية:

كان رحمة الله عليه لا يضارع في علم تقويم البلدان (الجغرافيا) حتى أنه بذّ في هذا العلم المتخصصين، وقد حضره عاهل السعودية الملك عبد العزيز آل سعود وهو يدرس مادة الجغرافيا لطلبة السنة النهائية في معهد

الرياض العلمي، فشد إليه وأعجب بمادته وطريقته ومكث يستمع إليه وقتاً طويلاً.

ولعلنا نذكر أن محطة القرآن الكريم قد سجلت معه حديثاً في أحد أشهر رمضان وكان عن اختلاف المطالع تكلم فيه عن علوم الجغرافيا كأحد أستاذتها الأفاضل.

رفاقه في الدعوة في مصر:

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة، والشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي، والشيخ أبو الوفاء درويش، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ عمر بن عبد السلام، والشيخ رشاد الشافعي، والشيخ محمد خليل هراس، والشيخ رشاد سليمان، والشيخ عكاشة عبده.

رفاقه في السعودية:

كانت فترة الثلاثة والعشرين عاماً التي قضاها بالسعودية فترة لقاء مع علماء أجلاء منهم: الشيخ عبد الله المحمود من الشارقة، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد العزيز بن باز، وكان من معارفه أيضاً الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي، أما صلته بالشيخ عبد الرزاق فقد سبق القول عنها.

في عام ١٩٨٤ انتقل — رحمه الله — إلى غرب الإسكندرية (الدخيلة) وابتنى بها مسجد التوحيد واتخذ لنفسه سكناً أعلى المسجد — وقد وقفه بعد موته ليكون مقراً لفرع الدخيلة.

ورغم مكابدة الشيخ للمرض إلا أنه كان يسهر الليل مع المقالات محرراً ومفتياً لما يوجه لمجلة التوحيد من أسئلة سواء على صفحاتها أو يرد عليهم بصفة شخصية.

وقد كانت إسهاماته في الكتابة بمجلة التوحيد سبباً في أن عرفت طريقها إلى أنحاء متفرقة من العالم الإسلام. كما تضاعف عدد المطبوع منها من ٥ آلاف إلى ٣٦ ألفاً.

ومن صفاته العلمية:

أنه كان رحمة الله عليه لا يضارع في علم تقويم البلدان (الجغرافيا) حتى أنه بذّ في هذا العلم المتخصصين، وقد حضره عاهل السعودية الملك عبد العزيز آل سعود وهو يدرس مادة الجغرافيا لطلبة السنة النهائية في معهد الرياض العلمي، فشد إليه وأعجب بمادته وطريقته ومكث يستمع إليه وقتاً طويلاً.

ولعلنا نذكر أن محطة القرآن الكريم قد سجلت معه حديثاً في أحد أشهر رمضان وكان عن اختلاف المطالع تكلم فيه عن علوم الجغرافيا كأحد أستاذتها الأفاضل.

تصانيفه العلمية والفقهية:

نظراً لانشغال الشيخ بالتدريس ، ثم بالكتابة في مجلة التوحيد كان قليل التأليف، وله كتاب يسمى «الأخلاق الحميدة» (جزءان)، وله رسالة طيبة تسمى «الوصية الشرعية».

ويكفي الشيخ فضلاً أن ما تركه من أثر في نفوس إخوانه وأحبابه وتلاميذه لا يحويه شيء ولا يعفى عليه الزمن.

فجزاه الله خير الجزاء.

وفاته:

في صباح السبت الثامن والعشرين من صفر الخير سنة ١٤١٢هـ الموافق الثامن من سبتمبر ١٩٩١م فاضت روحه إلى بارئها بعد حياة حافلة بالجهاد والدعوة في سبيل الله بغير كلل ولا ملل.

عبد الرزاق عفيفي (١٤١٥ هـ) (١)

اسمه ونسبه :

هو العالم الجليل والسلفي النبيل عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر بن شرف الدين النوبي ولد في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري وعلى وجه التحديد في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٢٣ هـ الموافق ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٥ م ، في قرية شنشور مركز أشمون التابع لمحافظة المنوفية وهي إحدى محافظات مصر .

نشأته وبيئته :

نشأ الشيخ عبد الرزاق في بيئة معطرة بأنفاس القرآن الكريم وسط أسرة محافظة وفي مجتمع ريفي بعيد عن فتن الحواضر ومفاسدها .
ففي قرية شنشور ، تلك القرية الهادئة المتواضعة التي تترابط أسرها وتمتزج في كيان واحد وتنسم عبير الإخاء والود : في هذه القرية نشأ الفتى عبد الرزاق عفيفي ، نشأة صالحة ، تغمرها العاطفة الدينية الجياشة

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣/ ٢٧٥ ، ذيل الأعلام لأحمد العلانة ص ١١٨ ، ٢٨٦/١
تتمة الأعلام، الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي ، لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله السديس ، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية العدد ٥٨ - من رجب إلى شوال سنة ١٤٢٠هـ . الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي حياته العلمية و جهوده الدعوية و آثاره الحميدة تأليف: محمد بن أحمد سيد أحمد ط المكتب الاسلامي. مجلة التوحيد (العدد الخامس جمادى الأولى ١٤١٥هـ/ص. ٢٤ - ٤٦). موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ١٠ / ٢٥٥ .

وتوثق عراها سلامة الفطرة وحسن الخلق والبعد عن الخرافات والخزعبلات وكان لهذه النشأة الطيبة أثرها البالغ في حياة المترجم له حيث بدأ حياته العلمية بحفظه لكتاب الله تعالى حفظاً متقناً مع تجويده على يد عدد من مشايخه آنذاك ومنهم الشيخ محمد بن حسن عافية والشيخ محمد بن عبود عافية هذا فضلاً عن والده الذي قام على تربيته وتنشئته أحسن ما ينشأ الفتيان الذين في مثل سنه .

أصوله وفروعه :

ينتمي الشيخ عبد الرزاق عفيفي إلى أسرة كريمة ، طيبة الأخلاق محمودة السيرة حسنة السمعة متمسكة بالأخلاق الإسلامية وأخلاق أهل القرية والريف التي لم تتلون بمظاهر الحضارة الكاذبة .

فوالده هو الشيخ عفيفي بن عطية النوبي ، من مشاهير قرية شنشور وصالحيتها ، كان حافظاً لكتاب الله تعالى ، وكان الشيخ عبد الرزاق كثيراً ما يتحدث عن والده للخاصة من طلابه وقد ذكر لي فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام — حفظه الله — أنه رأى والد الشيخ عبد الرزاق عند أول قدوم له إلى المملكة سنة (١٣٦٨هـ) وهي نفس السنة التي قدم فيها الشيخ عبد الرزاق إلى أرض الحرمين الشريفين وكان والد الشيخ عبد الرزاق يرتدي العمامة البيضاء المستديرة فوق رأسه وهي لباس أهل مصر آنذاك .

فروع الشيخ عبد الرزاق عفيفي :

إن من أعظم النعم وأكبر المنن أن يوفق الإنسان بعد تقوى الله عز وجل إلى زوجة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه ، تطيعه إذا أمر وتسره إذا نظر ، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله ، تتقن عملها وتعتني

بنفسها وبيتها وزوجها ، فهي زوجة صالحة ، وأم شفيقة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتهما ولا أدل على ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : " المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتهما " وقوله صلى الله عليه وسلم وقوله عليه الصلاة والسلام : " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " وقوله صلى الله عليه وسلم : " من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح والمركب الصالح "

ولقد كان من نعم الله وحسن بلائه على فضيلة الشيخ عبد الرزاق أن وفقه لزوجة صالحة وسيدة فاضلة من أسرة كريمة وعائلة فاضلة هي عائلة (سالم) بالإسكندرية ، وأصلها من إسنا بصعيد مصر وقد رزقه الله منها عدداً من البنين والبنات .
أما الأبناء فهم :

١- المهندس الزراعي أحمد عاصم بن عبد الرزاق عفيفي ولد سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٤م ، وتوفي في حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م بمصر

٢- الأستاذ محمد نبيل بن عبد الرزاق عفيفي - حفظه الله - ويعمل مراقباً مالياً بالخطوط السعودية بجدة ، وهو من أبر أبناء الشيخ وأرعاهم لحقوقه في حياته وبعد وفاته جزاه الله خيراً وهو من مواليد سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م

٣- الأستاذ محمود بن عبد الرزاق عفيفي - حفظه الله - عمل مدرساً بالرياض ثم ترك التدريس وتفرغ لخدمة والده في السنوات الأخيرة من حياته - رحمه الله - فجزاه الله خيراً وجعل أعماله الصالحة في موازين حسناته ، وهو من مواليد سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م .

٤- الأستاذ عبد الله بن عبد الرزاق عفيفي توفي في حياة والده سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - رحمه الله

٥- الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الرزاق عفيفي توفي في حياة والده إثر حادث وقع عليه سنة ١٤٠٨-١٩٨٨ وكان من طلبه العلم المبرزين ومن أكثر أبناء الشيخ اتصافاً به وكان يعمل بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض - رحمه الله .

وأما البنات فثلاث وقد أكرمها الله بأصهار صالحين بررة ولا نزكي علي الله أحداً نحسبهم كذلك وكان الشيخ عبد الرزاق - يرحمه الله - يهتم بتربية أولاده بل وحتى أحفاده وينشئهم تنشئة صالحة - فكانوا مثالا في الاستقامة والبر ورعاية وأداء الأمانات .

أوصافه الخلقية وصفاته الخلقية

أ - أوصافه الخلقية

كان رحمه الله قوي البنية جَسِيماً مَهِيئاً طويل القامة عظيم الهامة مستدير الوجه قمحي اللون له عينان سوداوان يعلوهما حاجبان غيران ومن دون ذلك فم واسع ولحية كثة غلب البياض فيها علي السواد وكان عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكفين والقدمين ينم مظهره عن القوة في غير شدة .

هيئته ولباسه :

كان الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - حسن الهيئة ، جميل المظهر في غير تكلف ، له سمت خاص في لباسه ، يرتدي ثوباً فضفاضاً أشبه ما يكون بلباس أهل مصر ، إلا أنه محاك على السنة . وكان يعجبه اللباس الخشن من الثياب في غالب الأوقات وهو سلفى المظهر والشارة .

ومجمل القول : أن الشيخ - رحمه الله - كان رجلاً متميزاً في هيئته ولباسه يرتدي ما يراه متفقاً مع مكانة العلم والعلماء وظل متمسكاً بهذه الهيئة المتميزة من اللباس إلى آخر حياته المليئة بالجد والكفاح والمثابرة .

هيئته :

كان الشيخ - رحمه الله - رجلاً مهيباً ، من رآه بديهة هابه ، فيه عزة العلماء ، لا يتزلف إلى أصحاب المناصب زائراً أو مزوراً ، يقول أحد تلاميذه : إن الشيخ كان يفرض احترامه على طلابه وكان الطلاب يهابون حياء ويقدرونه في أنفسهم وما سمعت منه كلمة مؤذية قط .
لقد كان الشيخ مهيباً حقاً ومع هذه الهيبة كان آية في التواضع وحسن المعاشرة وعلو الهمة ، بعيداً عن الصلف والتكلف المذموم ، أبياً عزيز النفس .

فصاحته :

اللغة العربية لغة جميلة فهي لغة القرآن والسنة ، أسلوباً ومنهجاً ومقصداً ومغزى فهي الطريق إلى فهمها والعمدة في إدراك أسرارها فهي بحق من مستلزمات الإسلام وضروراته .
والشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - يُعد وبجدارة من أرباب الفصاحة وأساطين اللغة في علم النحو خاصة وعلوم العربية كافة .
كان آية في التحدث بلغة الضاد (اللغة العربية الفصحى) كتابة ومحادثة وكان هذا بيان مشرق متدفق وأداء جميل ونبرات مؤثرة في غير تكلف وكان إذا تكلم أسمع وعقل عنه .
وكانت إحاطته بمفردات اللغة العربية تكاد تكون شاملة وهو إلى جانب ذلك سهل العبارة ، عذب الأسلوب ، تتسم عباراته بالإيجاز

والإحكام والبيان والجزالة وكان بعيداً عن التكلف والتمتمة والفأفة
والتنطع والتشدد .

فراسته :

الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - ولا أزكى على الله أحداً
كان صاحب بصيرة نافذة وفراصة حادة يعرف ذلك عنه من خالطه وأخذ
العلم على يديه ومما يدل ويؤكد على فراسة الشيخ أنه كان يتأمل وجوه
تلاميذه ويتفرس فيهم فيعرف المجد من الخامل والتأبه من الجاهل فيخلص
هؤلاء بعلم قد لا يخص به أولئك . وثم دليل آخر على فراسة الشيخ أنه
كان - رحمه الله - يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات ويتأمل
وجوه أصحابها فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة وقلمه ينطلي
عليه مكر أو احتيال . ومما يدل كذلك على صدق فراسة الشيخ ومعرفته
بالرجال ما ذكره فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد عبد المنعم قائلاً :
حدثني - رحمه الله - في مجلس الفتوى في (منى) فقال : إذا سأل
البدوي عن مسألة وكان الجواب موافقاً لما يهوى فإنه يسأل سؤالاً آخر
قريباً من الأول أو بعيداً أما إذا كان الجواب بخلاف ما يهوى فإنه يسأل
سؤالاً آخر قريباً من الأول أو بعيداً أما إذا كان الجواب بخلاف ما يهوى
فإنه يسكت وينصرف .

وهكذا أكسبه طول التعامل مع المستفتين معرفة لنفسياتهم فكانت
إجاباته بإيضاح الحكم فيما يسأل عنه من التوسع أو من الإيجاز ،
ملحوظاً فيها ما ينقدح في ذهنه من مقصد السائل عند إلقاء السؤال من
رغبة في معرفة الحكم الشرعي في المسألة أو في خلاف ذلك .

كان رحمه الله قوي الحافظة ، سريع البديهة ، مستحضر الفهم ، شديد الذكاء وافر العلم غزير المادة ، صاحب ألمعية نادرة ونجابة ظاهرة .
إن نعمة الحفظ وقوة الذاكرة من أقوى الأسباب - بعد توفيق الله عز وجل - على طلب العلم ولقد كان لهذه الحافظة القوية والذاكرة الجبارة أثرها البالغ في تحصيل ثروته العلمية والتي بنيت على محفوظاته التي علقت بذاكرته في مرحلة التعلم والتعليم وقد رزقه الله من الذكاء وقوة الحفظ ما مكّنه من إدراك محفوظاته العلمية عن فهم وبصيرة فكان الشيخ يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات فيكشف ما وراءها من الدوافع بتوفيق الله ثم بذكائه الحاد وبصيرته النافذة ولم يكن ينطلي عليه خداع أو احتيال .

ومما يؤكد ويبرهن على قوة حافظة الشيخ وسيلان ذهنه أن أحد الموظفين بإدارات البحوث العلمية والإفتاء سأل الشيخ عن مرجع لمسألة يريد أن يرجع إليها فدلّه الشيخ على كتاب المغنى لابن قدامه وذكر له الجزء والصفحة والمكان وهذا إن دلّ فإنما يدل على شدة ملاحظته وتوقد ذهنه - رحمه الله .

وثم دليل آخر يؤكد على قوة ذاكرة الشيخ وهو أنه رحمه الله كان يقص قصصاً ويذكر أحداثاً ووقائع من أعماق التاريخ ترجع إلى أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، يذكرها وكأنها ماثلة أمام عينه .

وثم دليل ثالث على عمق حافظة الشيخ وحضور بديهته ، ما ذكره أحد تلامذته من أن الشيخ أملى عليهم من حفظه في مادة التفسير أكثر من مائة صفحة .

ويؤكد هذا كله فضيلة الشيخ محمد بن سعد السعيد قائلا : " لقد حباه الله قوة الحافظة والدقة في الفهم وسرعة البديهة وحصافة الرأي مع اتسامه بالورع والزهد والتواضع .

وفور عقله وبعد نظره :

كان مثالا للداعية المسلم الحق الذي يدعو إلى الله على بصيرة وإلى جانب تعقل الشيخ وبعد نظره فقد تميز - رحمه الله - بسعة علمه ومقدرته على الفهم الدقيق والاستنباط الواعي والتمييز المستبصر .
إن كل من رأى الشيخ وبعد نظره فقد تميز - رحمه الله - بسعة علمه ومقدرته على الفهم الدقيق والاستنباط الواعي والتمييز المستبصر .
إن كل من رأى الشيخ وجلس إليه يشهد له بحنكة باهرة وحكمة ظاهرة واطلاع واسع وعدم خوضه فيما لا يعنيه وإعراضه عن التحدث في الموضوعات ذات الحساسية وهو مع ذلك فقيه بواقع أمته ومُطَّلَع على ظروف عصره ، يعيش آمال الأمة وآلامها ساعة بساعة ولحظة بلحظة .
ولقد أكسبته هذه الخصال الحميدة والسجايا الحسنة احترام الناس له وتقديرهم لعلمه وفضله حتى أصبح موضع تقدير الجميع علماء وعامة .
يقول فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان : كان الشيخ - رحمه الله - كثير الصمت يفرض احترامه على جالسيه كثير التأمل شديد الملاحظة ، وافر العقل ، نافذ الفراسة .

وقال فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي : ما رأيت رجلا من المصريين أعقل من الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - جمع بين العلم والعقل فيا سعادة من جمع العلم والعقل إذ لا يستغنى أحدهما عن الآخر .

لقد كان الشيخ - رحمه الله - صافي الذهن ، بعيد النظر ، ينظر إلى عواقب الأمور ويوازن بين المصالح والمفاسد ويبين لجالسيه وطلابه أن التعجل والتهور وعدم النظر في العواقب ، يجلب على الأمة ويلات كثيرة فله دُرّه من عالم فحل وعادل متأدب وداعية محنك لم يهزه طيش ولم يستفزه خرق .

مواهبه وسجاياه :

لقد كان الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - يتمتع بمواهب وسجايا وخِصال قلّ أن تجتمع في غيره فقد كان - رحمه الله - يتحلى بسعة العلم والأناة والحلم والهدوء في المحاوراة والمناقشة والقدرة على الإقناع وتقريب الأمور إلى الأذهان .

يقول أحد طلابه : لقد حبّاه الله قوة الحافظة ودقة الملاحظة وسرعة الفهم وسيلان الذهن وحصافة الرأي مع اتسامه بالورع والزهد والتواضع ولين الجانب وكان كثير الصمت قليل الكلام إلا فيما ترجحت فائدته ومصلحته . أهـ .

وبالجملة فقد كان الشيخ - رحمه الله - يتمتع بصفات حسنة وسجايا كريمة . لقد كان مثالا يحتذى في أدبه وعلمه وأخلاقه وقدوة في تصرفاته . لقد كان موهوبا .

صفاته الخلقية :

إن من عاصر الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - وخالطه وعاشره يتفق معي أنه كان رجلا قوي الشخصية متميز التفكير مستقل الرأي نافذ البصيرة ، سليم المعتقد حسن الاتباع ، جم الفضائل ، كثير المحاسن ، مثال العلماء العاملين والدعاة المصلحين فيه عزة العلماء وإباء الأتقياء ،

غاية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع حكمة ولطف وُبعد نظر لا يجابه أحدًا بما يكره ولا ينتصر لنفسه .

كان زاهدًا عابدًا أمينًا صادقًا كثير التضرع إلى الله قريب الدمعة زكي الفؤاد ، سخي اليد ، طيب المعشر ، صاحب سنة وعبادة ، كثير الصمت ، شديد الملاحظة ، نافذ الفراسة ، دقيق الفهم راجح العقل ، شديد التواضع ، عف اللسان .

زهده وعفته :

لقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - رمزًا ومثالًا يُحتذى وقدوة تُؤتسى في الزهد والورع وإنكار الذات .
كان زاهدًا في الدنيا متقللاً منها مُعرضًا عنها ، مُتحليًا بالطاعة ، مستشعر العفاف والكفاف ، مُقتصرًا من نفقته وملبسه على ما تدعو إليه الحاجة والضرورة .

لقد كان - رحمه الله - متواضعًا في مسكنه ومأكله ومشربه وسائر أموره وما عرفت الدنيا طريقًا إلى قلبه ولم يكن يهتم بها ومع أن غيره ممن هو دونه كان ينقلب في النعيم وينام على الوثير من الفراش ، كان الشيخ - رحمه الله - متواضعًا في مسكنه ومشربه وسائر أموره وما عرفت الدنيا طريقًا إلى قلبه ولم يكن يهتم بها ومع أن غيره ممن هو دونه كان يتقلب في النعيم وينام على الوثير من الفراش يؤثر خشونة العيش وعدم التوسع في الملذات على الرغم من أنه مد بأسبابها .

والبرهان على أنه ليس طالب مجد دنيوي أنه ما سلك سبيلا لازدياد كسب مادي وما أكثر سبل الكسب المادي لو أرادها ومما يؤكد ذلك ويدعمه أنه كان - رحمه الله - محبًا للتستر بعيدًا عن المظاهر والتصدر

يكره الشهرة ويأبى أن تُسلط عليه الأضواء ويتعد عن وسائل الإعلام بُعداً لا هوادة فيه .

يقول أحد طلابه : لقد جاء الشيخ إلى السعودية على علمه وسجيته لم يجتذبه طمع في مال أو جاه أو منصب وقد علم الله صلاح نيته فانقادت له كل أسباب العز الديني وهو لم يطلبها فكان في هذه المملكة أستاذ جيل بحق .

قلت : ومما لا يُنكر من أخلاقه الظاهرة وزهده وورعه ، كراهيته الشديدة للمدح والثناء عليه وتقبيل رأسه ويديه فما كان يرضى من أحد أن يثنى عليه أو يبالغ في مدحه .

وأما عفة الشيخ وتعففه فهو بحر لا ساحل له وقد تكفي الإشارة إن لم تسعف العبارة وصفوة القول أن الشيخ - رحمه الله - كان شديد التعفف ، غاية في الزهد ، نموذجاً للأسوة الحسنة والقُدوة الصالحة .

كما كان رحمه الله عَفَّ اللسان عفيف النفس طاهر الذيل ، بعيداً عن المحارم ، مجانباً للمآثم .

تواضعه:

لقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي لين الجانب ، سهل الخلق ، شديد الزهد في أعراض الدنيا ، يلبس الخشن من الثياب ويرتاح لذلك ويعلله بأنه يناسب بدنه صحياً ولم يكن له ترتيب خاص به في حياته كما هي عادة الأثرياء والوجهاء ، كما أنه ليس له ترتيب خاص به في مجلسه وطعامه ولقائه بالعلماء والعامة وطلبة العلم وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس وكان كثير التأمل ، شديد الملاحظة ، يؤثر الصمت ولا يتكلم إلا عند الحاجة ولا يزيد عن المطلوب منه وكان لا يتشدد في الكلام ولا

يتكلف ما ليس عنده ولا يزهو على أحد بعلمه ولا يترفع على جلسائه بل يباسطهم ويمتزج بهم ومع هذا فهو بتواضعه متميز بخفض جناحه لطلابه وجلسائه ، متعزّر قد زاده التواضع رفعة وخفض الجناح شرفاً .
يقول الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي : كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - محل القدوة والأسوة ، شديد التواضع تغلب عليه البساطة في مجلسه ، إذا ارتاح لمحدثه استرسل في ذكر الأحداث والمواقف ونزل معه على قدره صغيراً كان أو كبيراً .

وقال الدكتور محمد بن لطفي الصباغ : كان الشيخ عبد الرزاق متواضعاً يكرم الصبيان والفتيان ولا يدعوهم إلا بألقاب التكريم ، وقد رأيته يوم أن جاء الشيخ حسن حبنكة أحد كبار علماء بلاد الشام لزيارة مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - رأيته في قمة التواضع إذ كان يؤثر الكثيرين في الجلوس في المقاعد المتقدمة مع أنه أحق منهم بهذا التقديم .

صدقه وأمانته :

إن من أعظم مكارم الأخلاق التي أمر الله بها وأمر بها رسوله صلى الله عليه وسلم الصدق . قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة : ١١٩] وقال صلى الله عليه وسلم " إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة "

لقد بلغ الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - من الصدق والأمانة مبلغاً وغاية جعلته موضع التقدير والاحترام والتوقير من طلابه ومحبيه كان لا يتكلم إلا بما يعتقد أنه الحق وكان يؤثر الصمت في بعض الأوقات ولكنه إذا تكلم في أمر من الأمور أقنع محدثه لقوة حجته وصدق لهجته

وبعده عن الكلام المبذل والتلون في الحديث ، وهذه الصفات الحسنة والخلال الحميدة جعلت الشيخ يحتل مكان الصدارة بين أساتذة الكليات والمعاهد العلمية والمؤسسات الدعوية بالمملكة .

ويؤكد هذا أحد طلابه قائلاً : عرفت الشيخ عبد الرزاق أستاذاً ماهراً وبحراً زاخراً . بمختلف علوم التفسير والعقيدة والفقه والأصول وغيرها من جوانب العلوم الشرعية واللغة العربية وعرفته كذلك محدثاً واعظاً ومرشداً أميناً جم المعرفة غزير العلم متواضعاً كثير الزهد والتقشف مقبلاً على الله في جميع أقواله وأعماله .

قلت : ومن قرأ فتاوي الشيخ واستمع إلى ردوده على المستفتين يدرك أنه كان - رحمه الله - صادقاً في قوله أميناً في نقله لكلام أهل العلم ومذاهبهم وأنه - رحمه الله - كان يلتمس الحق من وجهته ، ويتبعه من مظانه .

حلمه وسعة صدره :

لقد منَّ الله تعالى على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي فجمع له بين أكرم خصلتين وأعظم خلتين : هما العلم والحلم والعالم العظيم حقاً كلما خلق في آفاق الكمال اتسع صدره وامتد حلمه وعذر الناس من أنفسهم والتمس الأعذار لأغلاطهم .

يقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ : من الصفات التي تميز بها الشيخ عبد الرزاق سعة صدره ، وبعد نظره وزهده في الدنيا ومتاعها . كان رحمه الله من سعة صدره يتحمل مسيرة جميع أصناف البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعوائدهم وأخلاقهم وتباين آرائهم لا يعل حديثهم ولا يسام من سماع مشكلاتهم ولا يغضب من كثرة أسئلتهم

وفتاواهم ويؤكد هذا فضيلة الشيخ يوسف المطلق فيقول : كان الشيخ عبد الرزاق يشجع على العلم والدعوة وكان يخصص وقته بين إجابة السائل شخصياً أو تحريرياً وما كان يسأم من السائلين بل كان يبذل جهده حتى يفهم سائله .

وبالجملة فقد كان رحمه الله رحب الصدر عميق الفكر واسع المدارك حليماً رفيقاً لا يواجه أحداً بما يكرهه وذلك لسعة صدره وغزارة علمه وحيائه رحمه الله .

كرمه ومروءته :

الكرم في اصطلاح العلماء هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل وإكرام السائل مع بذل النائل .

والشيخ عبد الرزاق رحمه الله كان كريماً كريماً أصيلاً لا يتكلف لأحد وكان يكره المباهاة والمفاخرة يقدم ما تيسر من الطعام ومما كان يعده لنفسه وكان بذلك قادراً على أن يقيم في كل يوم وليمة وكان إذا علم بمجيئ عالم أو صديق يعرفه دعاه إلى الطعام وكان طعامه طيب النكهة شهي المذاق كان يفد إلى بيته طلبة العلم والعلماء والدعاة والذين ييغون الشفاعة في أمر من أمورهم فكان بيته ملتقى الضيوف وذوي الحاجات ومنتدى العلماء وطلبة العلم كان جواداً بالخير جالساً على محجة باررة للضيوف .

وهذه الصورة المشرقة عن كرم الشيخ ومروءته تعتبر بمثابة دعوة مفتوحة إلى التنافس في الخير والتسابق في ميادين الفضيلة والبعد عن الشح والحرص ذلك أن الإسلام دين يقوم على التعاون والبذل والإنفاق ويحذر من الأنانية والإمساك ولذلك رغب صلى الله عليه وسلم في أن تكون

النفوس بالعطاء سخية والأكف بالخير ندية ووصى أمته بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر وبذل المعروف وإلى كل خلق نبيل .
وأما مروءته فهي بحر زخار ونهر غمر ولا شك أن المروءة من شواهد الفضل ودلائل الكرم وهي حلية النفوس وزينة الهمم .
إن المروءة كلمة يراد بها الشهامة والرجولة ونصرة المظلوم وكف يد الظالم وبذل الإحسان وقرى الضيف وكل هذه المعاني الحسنة والخلال الطيبة كانت من أبرز سمات الشيخ عبد الرزاق بل كانت أسس حياته ومفتاح شخصيته .

احترامه لنفسه وحسن معاشرته لغيره :

إن الخلق الحسن والأدب الجم هما المعيار لسلامة النفس من الآفات الظاهرة والباطنة ، ولقد جمع الشيخ عبد الرزاق ولا أزكى على الله أحداً أخلاقاً عالية وآداباً سامية ، إلى جانب كرمه وعفته وزهده ومروءته لا يعرف ذلك عنه إلا من خالطه عن قرب ونهل من علمه واستفاد من تجاربه وفضلاً عن ذلك فإن الشيخ رحمه الله كان ذا هيبة ووقار بريئاً من الكذب بعيداً عن التصنع مستقل الرأي لا يدعي ما ليس فيه ولم يكن متكبراً ولا ذليلاً وكان يعرف لنفسه قدرها ولم يكن من شأنه التلاعب بالأقوال والقضايا الجدلية المؤدية إلى العبث بالحقائق بل كان جاداً يكره أن يحوط نفسه بمظاهر العظمة الكاذبة .

ولا شك أن هذه الصفات الحسنة والخلال الكريمة جعلت الشيخ موضع تقدير واحترام وإكبار من أقرانه من العلماء ومن طلابه ومحبيه وعارفي فضله والفضل فضله والفضل يعرفه ذووه .

وفضلاً عن ذلك كله فإن الشيخ - رحمه الله - كان غاية في حسن المعاشرة وقدوة في روعة المؤانسة لا يحسد ولا يحقد مجلسه مجلس خير وعلم ومحله محل حياء وحلم يجيب دعوة من دعاه ويعود المرضى ويتجاوز عمن أساء إليه ويدفع بالتي هي أحسن ويدعو أصدقائه وطلابه بكناهم وأحب أسمائهم إليهم ويميل إلى محادثتهم والتلطف معهم وهو مع ذلك عزيز النفس موفر الكرامة قوى الإرادة زاهداً فيما عند الناس .

ثباته على مبدئه :

إن السابر لأغوار الشيخ عبد الرزاق والواقف على سيرته والمتتبع لمراحل حياته يدرك تمام الإدراك أن الشيخ تميز بصفة الثبات على المبدأ فما عرف منه التذبذب في الرأي والتعددية في القول وما عرفت المداهنة والجمالة طريقاً إليه بل كان يقول الحق ويقصده ويتحرى الصدق ويؤثره وأدل دليل على ذلك إن الشيخ رحمه الله كانت له آراء خاصة في بعض المسائل العلمية لا يذكرها إلا للخاصة من أصحابه ولا يسوئه أن يكون هناك من يخالف فيها وإذا ذكرت أمامه الآراء التي تخالفه لا يفعل ولا يتشنج لأنها تخالفه بل يقول : لكل رأيه وكثيراً ما كنت أسمعه يقول لمن يستفتونه ويسألونه في أمور دينهم بعد أن يبين لهم الحكم الشرعي فيما سألوه فيه " ما أعرفه قلته اسألوا غيري ؟ وهذا إن دل فإنما يدل على ثقته بنفسه واعتزازه بدينه وخوفه من ربه لا يخشي في ذات الله لومة لائم وفضلاً عن ذلك فقد كان رحمه الله قوياً صلباً لنا سهلاً في الرجوع إلى الصواب وإلى ما يظهر له أنه خلاف الحق الذي ثبت بالأدلة الصحيحة الصريحة .

ابتلاؤه وصبره :

لقد ابتلى الشيخ عبد الرزاق رحمه الله بابتلاءات عظيمة في هذه الدنيا ونزلت به كوارث شديدة فلم تضعفه هذه الابتلاءات وتلك الكوارث بل كان صابراً محتسباً ومن هذه الابتلاءات التي ابتلى بها الشيخ في حياته أنه أصيب بشلل نصفي وعافاه الله منه وأصيب بعدد من الأمراض فكان نعم العبد الصابر وقتل ولده الأكبر أحمد عاصم فتلقى الخير صابراً محتسباً ثم توفى أصغر أبنائه عبد الرحمن فكان كذلك غاية في الصبر والرضي بقضاء الله وقدره ثم توفى ابنه عبد الله فجأة فكان أيضاً مثلاً في الصبر والاحتساب .

ومما يدل على صبر الشيخ وتجلده أنه لما جاءه خبر وفاة ابنه أحمد وهو مدير ومحاضر في المعهد العالي للقضاء لم يتوقف عن برنامجهِ اليومي بل جاء إلى طلابه وألقى المحاضرة عليهم دون تأثر أو تلثم .

نظرته إلى المجتمع ونظرة المجتمع إليه :

أما نظرته إلى المجتمع الإسلامي فقد كان الشيخ رحمه الله يعيش عصره ويدرك بعمق شراسة الغزو الفكري الاستعماري للمسلمين ويعرف التيارات الفكرية والسياسية التي تسود العالم وتغزو بلاد المسلمين يعرفها تمام المعرفة ويدرك واقع الأمة الإسلامية تمام الإدراك ويعي قضاياها ويعيش أحداثها ساعة بساعة ولحظة بلحظة وكانت معرفته بالرجال المعاصرين من الأعلام وغيرهم معرفة دقيقة وكان حكمه عليهم حكماً سديداً ، يعرف أوضاعهم الاجتماعية وعادات بيئاتهم ومدى تأثيرهم بذلك كله .

كان قوي العزم في معالي الأمور ، لا يعتريه فتور ولا خور في نصر العقيدة الصافية والمبادئ الإسلامية ولا يقعه عن البلاغ رغبة ولا رهبة ولا خوف من ذي سلطان لأن القلب الذي أُشرب حلاوته الإيمان يكتسب قوة روحية وحصانة دينية ونوراً ربانياً فلا يجد أحد لإغوائه سبيلاً .

أما نظرة المجتمع إليه فقد كانت نظرة تقدير واحترام وإكبار ، ذلك أن الشيخ - رحمه الله - كان محبوباً من المجتمع ومن كل من عرفه وخالطه وتلمذ على يديه كما كان محل التقدير والإجلال من كل الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم .

كان يتميز - رحمه الله - بطيب المعشر والزهد في الدنيا والبعد عن مباحجها وكان يصدق قوله وفعله وكان غاية في التواضع يقدر الناس ويكرمهم مهما كانت منازلهم وقد حبه ذلك لكل من عرفه أو جالسه أو درس على يديه ونهل من مناهل علمه الغزير .

لقد كان العلماء والعامة وطلبة العلم يقبلون على مجلس الشيخ ويستمعون إلى نصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة وآرائه النيرة مع توقيرهم لشخصه وتقديرهم لعلمه ، مع محبة صادقة خالصة يرجى بها وجه الله لعالم بذل علمه ووقته وماله دفاعاً عن دينه وذبا عن عقيدته وغيره على مجتمعه وأمته .

لقد كان - رحمه الله - حريصاً على صيانة المجتمع الإسلامي من الانحرافات العقدية وصيانتته من الاعتقادات الشركية ، كان مجاهداً في سبيل الله ونشر دعوة التوحيد بقلمه ولسانه .

ومما يؤكد هذا ويدعمه ما كتبه فضيلة الدكتور صالح بن سعود آل على قائلًا : لقد خبرت فضيلة الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - عن قرب ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجم والفقه في الدين والتحلي بمبادئ هذا الدين ، من تواضع وتقى وزهد وورع وصبر وحب لهذه الأمة وحرص على أن تظل كما هو مؤمل منها ، منارة هدى ومصدر إشعاع وموئل عز للإسلام والمسلمين .

بداية تلقيه للعلم :

تعتبر البداية الحقيقية لطلب الشيخ للعلم عندما وجهه والده إلى كتاب القرية لحفظ كتاب الله تعالى ذلك أن الناشئ من العلماء ينشأ مرتبطًا بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وقد أكبَّ الشيخ - رحمه الله - على حفظ كتاب الله فأحسن تلاوته وحفظ كثيرًا منه وقد أوتي سرعة في الحفظ وقوة في الفهم وجودة في الخط كثيرًا منه وكل هذا وغيره مكنه من حفظ كتاب الله تعالى والإقبال عليه بكلية على الرغم من صغر سنه وحق للقرآن أن تفتنى فيه الأعمار وأن تعمر به الأزمان لقد كان حفظ الشيخ لكتاب الله في سن مبكرة هي الخطوة الأولى للدخول في طلب العلم الشرعي بصورة جادة ومنظمة ثم واصل الشيخ بعد ذلك دراسته في همة لا تعرف الكلل ونفس طلعة لا تعرف الملل .

وقد أكد هذا الكلام فضيلة الشيخ عبد الحميد بن عبد المطلب الهلالي من أعيان قرية (شنشور) في كلمته التي تناول فيها نشأة الشيخ ووضح فيها بداية تلقيه للعلم قائلًا : لقد نشأ فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي نشأة طيبة وسط أسرة طيبة الأعراق حسنة السمعة ، درس القرآن الكريم

منذ نعومة أظافره على يد كل من والده الشيخ عفيفي عطية النوبي ثم في كتاب القرية حيث كان نابغاً في حفظ كتاب الله تعالى وقد أعفى من الجندية (الخدمة العسكرية) حسب النظام المعمول به وقتئذ لحفظه القرآن الكريم كاملاً .

نبوغه المبكر وتقدمه على أقرانه

لقد عرف الشيخ عبد الرزاق عفيفي منذ صغره بالألمعية النادرة والنجابة الظاهرة والذكاء المفرط والنبوغ المبكر حتى بزَّ أقرانه وفاق أترابه وعلى الرغم من حداثة سنه فقد كان صاحب همّة عالية ونفس أبية جعلته موضع تقدير ومحل تبجيل من كل من عرف الشيخ وخالطه وزامله

شيوخه ومؤهلاته

من العلماء الذين تتلمذ الشيخ لهم ونهل من علمهم واستفاد من دروسهم .

الشيخ محمد بن حسن عافية والشيخ محمد بن عبود عافية وهما من علماء قريته (شنشور) وأما أشهر شيوخه وأكثرهم تأثيراً فيه فمنهم الشيخ أحمد نصر شيخ السادة المالكية والشيخ دسوقي العربي والشيخ عبد المعطي الشربيني والشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمد العتريس والشيخ إبراهيم الجبالي والشيخ مصطفى المراغي وغيرهم .

وأما أقران الشيخ ومعاصروه فهم أمم لا يحصون ومنهم على سبيل المثال لا الحصر :

الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر والشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر آنذاك والعلامة الشيخ أحمد محمد شاكر والشيخ العلامة محمد

الخضر حسين والشيخ الإمام حسن مأمون مفتي مصر في زمنه والشيخ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر سابقاً والشيخ الإمام جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر سابقاً رحمهم الله جميعاً .

ومن أقرانه أيضاً : فضيلة الدكتور محمد حسن فايد - رحمه الله - والدكتور عبد المنعم النمر والدكتور محمد الطيب النجار وكذلك فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً وفضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح مدير دار الحديث ومؤسسها بمكة المكرمة وإمام وخطيب المسجد الحرام وفضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ محمد علي عبد الرحيم والشيخ محمد عبد الوهاب بحيري والشيخ محمد خليل هراس والشيخ عبد الله بن يابس والشيخ عبد العزيز بن راشد وفضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمهم الله جميعاً .

ومن أبرز أقرانه وأشهر معاصريه :

- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي السابق للمملكة العربية السعودية ورئيس الكليات والمعاهد العلمية - رحمه الله .
- وسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء رحمه الله.
- ومنهم سماحة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله .
- وسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله .
- ومنهم فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله .
- ومنهم فضيلة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي رحمه الله .
- ومنهم فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

- ومنهم فضيلة الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله.
 - ومنهم فضيلة الشيخ محمد بهجت البيطار رحمه الله .
 - ومنهم فضيلة الشيخ سعدي ياسين رحمه الله .
 - ومنهم فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري - رحمه الله .
- وأمام يصعب حصرهم واستقصاؤهم .

مؤهلاته العلمية :

وأما مؤهلات الشيخ العلمية فهي على النحو التالي :

لقد تحصل الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - على عدد وافر من الشهادات والإجازات العلمية وأعلى هذه الشهادات والمؤهلات التي نالها الشيخ حفظه المتقن والمجود لكتاب الله والذي أتاح له فرصة الالتحاق بالأزهر في عصره الذهبي حيث التقى الشيخ في ساحته وبين أروقته وباحته بجال العلم وشيوخ المعرفة وأفذاذ الطلبة وجهابذة المحدثين .

وقد تخرج الشيخ في الأزهر من أعلى مستوياته فقد تحصل على الشهادتين الابتدائية والثانوية ثم تحصل على شهادة العالمية في الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥١ هـ الموافق السادس عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٢٣ م .

وفي الرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٥ هـ الموافق الثامن والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦ م منح شهادة التخصّص في الفقه وأصوله وهي التي تعرف اليوم بشهادة (الدكتوراه) .

ثم واصل الشيخ تحصيله العلمي حتى أضحى من العلماء الفحول والحفظة العدول .

ومما تجدر الإشارة إليه : أن الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - لم يكن يعبأ بهذه الشهادات ولم يفاخر بها وما سُمع قط يتحدث عنها ذاكراً أو آثراً .

ويؤكد هذا فضيلة الدكتور محمد بن سعد الشويعر قائلاً : كان الشيخ عبد الرزاق رحمه الله ممن يزهد في الشهادات الدراسية والتشدد بذكرها وإنما يراها وسيلة لحمل العلم وثقل الأمانة التي يجب أن تؤدي ولم نسمعه يوماً يتحدث عن المؤهل الذي تحصل عليه .

فرحم الله هذا العالم المحقق والحافظ المدقق والمحدث الجهد والعالم الجليل والفقيه النبيل .

تلاميذه :

من الصعب جداً حصر الطلاب الذين تلقوا العلم على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - وقعدوا منه مقعد الدرس والتحصيل ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .

لقد تخرج به أعداد كبيرة من العلماء والدعاة والمحصلين تسلموا مناصب علمية وعملية مرموقة في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها زمن هؤلاء العلماء الذين تخرجوا به - رحمه الله - وأصبحوا أنجماً متألقة في سماء العلم والمعرفة :

- صاحب الفضيلة الشيخ : صالح بن محمد الحيدان
- صاحب الفضيلة الشيخ : ناصر بن حمد الراشد
- صاحب الفضيلة الدكتور : عبد الله عبد المحسن التركي ، وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد سابقاً .
- صاحب الفضيلة الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن البسام

- صاحب الفضيلة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي المملكة .

- صاحب الفضيلة الشيخ : ناصر بن عبد العزيز بن محمد الشثري
- صاحب الفضيلة الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان
- صاحب الفضيلة الشيخ : صالح الفوزان آل فوزان
- صاحب الفضيلة الشيخ : محمد بن عبد الله السبيل
- صاحب الفضيلة الشيخ : محمد بن خليل القطان
- صاحب الفضيلة الشيخ : محمد بن عبد الله العجلان
- صاحب الفضيلة الدكتور : محمد بن لطفي الصباغ
- صاحب الفضيلة الشيخ : عبد الله بن سليمان بن منيع
- صاحب الفضيلة الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين
- صاحب الفضيلة الشيخ : عبد الله بن حسن بن قعود
- صاحب الفضيلة الدكتور : عبد العزيز كامل وزير الأوقاف المصري سابقاً .

- صاحب الفضيلة الشيخ : راشد بن خنين

- صاحب الفضيلة الدكتور : صالح الأطرم

مؤلفاته ورأيه في التأليف :

كان الشيخ عبد الرزاق - يرحمه الله - لا يرى التأليف ولا يرغب فيه مع غزارة علمه وسعة إدراكه ووفرة مادته وكان يعلل ذلك بأن الناس عامة وطلبة العلم خاصة بحاجة ماسة إلى القراءة والاطلاع أكثر من حاجتهم للتأليف والتصنيف .

ولعل السبب الحقيقي الذي حمل الشيخ على ترك التأليف مع التمكن من أدواته ، زهده في الشهرة والسمعة والمناصب وتفرغه لتربية الأجيال وبناء النفوس وإعداد العلماء وتهيئتهم بالعلم والعمل وحمل أمانة التبليغ . وبينما يرى الشيخ أنه لا حاجة للناس في التأليف وأن هذه الكتب والمؤلفات الحديثة لا فائدة فيها وأنه يكتفي بما كتبه وجمعه العلماء السابقون ، حيث أنهم تطرقوا إلى كل فن وأوضحوا ما يحتاج إلى توضيح وأن من جاء بعدهم عيال عليهم .

جهوده الدعوية في مصر :

قضى الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - حياته في خدمة العلم والدين ، مجاهداً في سبيل الدعوة إلى الله وطلب العلم وتعليمه . لقد أمضى الشطر الأول من حياته في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكان داعية من أبرز دعاة جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر والإسكندرية ومن المؤسسين لها . كان داعية متميزاً في علمه ودعوته وكان لسعة اطلاعه وقوة حجته وثباته على الحق أبلغ الأثر في نجاح دعوته .

يتحدث عنه أحد زملائه بالأزهر وأحد رفقاء دربه (يوسف الضبع) فيقول : " وفي الإسكندرية وضواحيها المترامية بسط نطاق دراسته الدينية (فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) .

فكان الشيخ يلقي فيها عِظَات ودروساً دينية حسنة لله وابتغاء وجهه وكانت هذه العِظَات وتلك الدروس إلى جانب جدولته الدراسي في المعهد الديني بالإسكندرية وقد تتلمذ له وآوى إلى حلقاته كثير من شيوخ الإسكندرية وشبابها وأشهد أنه بلغ من الورع والتقوى والكرم والشجاعة

وأصالة الرأي ورسوخ القدم ما جعله أشبه بعلماء السلف الصالح ، لقد كانت دروسه اليومية في الإسكندرية وضواحيها بمثابة مدرسة كبرى يجتمع فيها الجرم الغفير من الناس على اختلاف مستوياتهم للاستماع والنقاش والجزار مع عالم مبرز وفقه ثقة ، إذا جادل أقنع ولم تقتصر دروسه ومواعظه على مكان بعينه في الإسكندرية ، بل كان يغشى معظم معظم مساجد هذه المدينة الكبيرة وغيرها من المدن من وقت لآخر لإلقاء دروس في التوحيد والعقيدة الإسلامية التي كان حريصا أشد الحرص على تنقيتها وتصفيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي والخرافات والخزعبلات وما أكثرها في مجتمعه " .

لقد عرف الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - من خلال دروسه بسعة علمه وعمق فهمه وصحة معتقده فكان زملاؤه المدرسون يعتبرونه مرجعا أميننا لهم .

وفي رحلته العلمية وجهوده الدعوية ، كانت له عناية خاصة بتربية تلاميذه على العقيدة السلفية ونبذ البدع والضلالات والأخذ بأيديهم إلى هدي الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة فاحتضن نخبة متميزة من هؤلاء التلاميذ وتعهدها منذ الطفولة واصطحبها معه حتى نمت وشبت عن الطوق ونهجت نهجه . وغدا هو وهم يجوبون القرى والنجوع ويتجولون في الضواحي والأحياء المتعددة لأداء رسالة هي من أعظم الرسالات ألا وهي رسالة الدعوة إلى الله وهداية الناس .

وحيث كانت معظم المساجد لا تخلو من البدع ويجهل عامة الناس مسائل العقيدة الصحيحة فقد ركز - غفر الله له - على الجوانب العقدية والعودة إلى منابع أصولها الصافية والتمسك بالسنة الصحيحة وما كان

عليه أمر المسلمين في القرون المشهود لهم فيها بالخير وكان إذا تعذر عليه تغيير المنكر سعى في إقامة مسجد خاص يقوم عليه من هداهم الله لدعوته ويتخذون منه منطلقاً للدعوة .

ويتحدث فضيلة الشيخ مناع بن خليل قطان منوهاً بجهود الشيخ الدعوية في محافظة شبين الكوم بمصر قائلاً :

١- عين شيخنا مدرساً بالمعهد الديني بشبين الكوم التابع للأزهر سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٧٣ م .

٢- استأجر بيتاً لسكنه (وهو عزب) فأسكن معه طلاب (شنشور - منوفية) .

٣- ثم تزوج وسكن في بيت مستقل ولكنه كان يدعو طلابه بالجامعة ويرعاهم كما يرعى الأب أبناءه .

٤- قام بتدريس مادة الحديث المقررة في المرحلة الثانوية " صفوة صحيح البخاري " فكان أستاذاً متميزاً بترتيب الموضوع وجودة العرض وحسن التعليق ورجاحة العقل ويسجل الناهيون من طلابه إضافاته العلمية على هامش الكتاب المقرر .

٥- يهاب الطلاب شخصيته وينصتون لسماع درسه ويحرصون على الاستفادة منه .

٦- اتفقت معه الجمعية الشرعية بشبين الكوم برئاسة الشيخ أحمد الزيات على أن يلقي درساً أسبوعياً منتظماً في مسجدها ، فكان هذا الدرس مدرسة يجتمع فيه الجلم الغفير للاستماع والنقاش والحوار .

٧- كان يغشي المساجد الأخرى من وقت لآخر لإلقاء دروس فيها

٨- كان منهجه السلفي سمة بارزة فيه بأسلوب شائق جذاب يدعمه الدليل والحجة ولا يمس أحداً بتجريح مما جعل استجابة الناس عن حب وقناعة .

٩- توثقت علاقته بمدير المعهد آنذاك (الشيخ عبد الجليل عيسى) فكان موضع شوره .

١٠- كان يزن طلابه بميزان دقيق في الجوانب المتعددة ولا يخفي حبه لمن يتوسم فيهم الخير فيعاملهم - وهم بمنزلة أبنائه - معاملة الأخ الأكبر لأخوته الصغار .

١١- عرف بسعة علمه وعمق فهمه فكان زملاؤه المدرسون يعتبرونه مرجعاً لهم .

١٢- أضفى عليه تواضعه حلة من زيادة التقدير والاحترام لدى كل من عرفه .

وفضلاً عن ذلك كله فقد كان له القدح المعلى في تخليص قريته (شنشور) من العادات الجاهلية التي هدمها الإسلام كالنياحة وإقامة السرادات . . . إلخ

لقد كانت جهوده في هذا الميدان لها أبلغ الأثر في نفوس العامة فضلاً عن المتعلمين لما يعلمونه عن الشيخ من علم واسع ورفق في الدعوة وحرص على هداية الناس وقد تحقق ما أراد بإذن الله وتوفيقه ، فهدى الله على يده آلاف من الناس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

إن حياة الشيخ عبد الرزاق وجهوده الدعوية المباركة جديرة بالتأمل فقد أوقف حياته على نشر العلم والدعوة إلى هذا الدين وإظهار محاسنه والدفاع عن ساحته وترسيخ مبادئه وتعميق التوعية بمعانيه .

والواقع الذي لا يماري فيه أحد من دعاة هذا الدين وإظهار محاسنه وحملته في مصر وغيرها هو إجماعهم على أن فضيلة الشيخ عبد الرزاق قد بلغ من العلم والفضل والفقہ في الدين منزلة عظيمة لا يجحدها إلا حاسد أو حاقد.

جهوده الدعوية في المملكة العربية السعودية :

وأما جهوده الدعوية في المملكة العربية السعودية فهي بحر لا ساحل له وهي جديرة بأن يفرد لها دراسات ومؤلفات خاصة به .

قدم العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - غفر الله له ورحمه - إلى المملكة العربية السعودية - بلاد الحرمين الشريفين - سنة ١٣٦٨ هـ بعد أن قضى شطر عمره في ميادين العلم والدعوة والتربية في مصر .

لقد جاء إلى المملكة العربية السعودية على سجيته ، لم يجتذبه طمع في مال أو جاه أو منصب ، لم يأت إلى المملكة ليكون سلفياً بل كان سلفياً قبل مجيئه إليها وأدل دليل على هذا أن نشر الكتب السلفية التي تعني بأمر المعتقد كان شاغله الشاغل وعمله الدؤوب ومن أوائل هذه الكتب التي قام على تحقيقها ونشرها في مصر : كتاب " العلو " للذهبي .

والشيخ عبد الرزاق عفيفي يعتبر من أوائل من جاؤوا للتدريس في هذه المملكة المباركة قبله العلماء العاملين وملاذ الأئمة المصلحين والدعاة المخلصين جاء الشيخ إلى بلاد استجابة لرغبة كريمة من مؤسس هذه الدولة الغراء الملك عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله - فقد وجه أمره الكريم إلى صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ، معتمد المعارف السعودية آنذاك وأحد أبرز رجال التعليم في المملكة العربية السعودية بأن يذهب إلى مصر لترشيح واختيار نخبة ممتازة من العلماء

الذين عرفوا بصحة المعتقد وسلامة المنهج وهدفه من ذلك تنفيذ سياسته الصارمة في محاربة الجهل واقتلاع جذوره بعد أن خيم ردها من الزمن على أجزاء من هذه الجزيرة وفي مصر وقع الاختيار على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ليكون في طليعة من يذهبون إلى المملكة العربية السعودية للمشاركة في النهضة العلمية بها وإزاء تلك الثقة الغالية من الملك عبد العزيز - رحمه الله - والأمراء من أبنائه أثر الشيخ عبد الرزاق الاستقالة من الأزهر وقدم إلى هذه البلاد مع كوكبة من علماء الأزهر منهم فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم وفضيلة الشيخ محمد خليل هراس وفضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب بحيري وفضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف وفضيلة الشيخ محمد حسين الذهبي وفضيلة الشيخ عبد المنعم النمر وفضيلة الشيخ يوسف الضبع والشيخ احمد القط والشيخ محمد عبد الدائم وغيرهم وقد امتاز - رحمه الله - عن غالب زملائه وأقرانه الذين درسوا في الأزهر وفي غيره من المؤسسات العلمية بشدة متابعته لكتاب الله وسنة رسوله .

ويشيد معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد سابقاً بجهود فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - فيقول :

لقد استمر عطاؤه في الكليات والمعاهد العلمية بعد وفاة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - عليه رحمة الله - ثم في مجال الإفتاء والدعوة في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . وقد أفنى عمره في نشر العلم والدعوة إلى الله والدفاع عن دينه .

لقد أدى الشيخ عبد الرزاق عفيفي - غفر الله له ورحمه - على مدار تسعة وأربعين عاماً دوراً مهماً وفعالاً في الحياة العلمية والاجتماعية يمكن إجماله فيما يلي :

(١) - جهوده التعليمية والتربوية والدعوية في دار التوحيد بالطائف (١٣٦٨ - ١٣٧٠ هـ) .

(٢) - محاضراته القيمة ودروسه العلمية في معهدي عزيزة العلمي والرياض (١٣٧٠ - ١٣٧١ هـ) .

(٣) - تأسيسه وتدريسه في كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض .

(٤) - معاصرته لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض منذ نواتها الأولى واستمرار عطائه لها إلى أن توفاه الله .

(٥) - جهوده المخلصة وعمله الدؤوب إبان إدارته للمعهد العالي للقضاء (١٣٨٥ - ١٣٩٠) وتخرج أفواج من طلبة العلم والدعاة على يديه .

(٦) - مشاركته في اللجان العلمية التي كان من ثمرتها إنشاء الكليات والمعاهد العلمية بالمملكة .

(٧) - عضويته الفاعلة وجهوده المتواصلة في وضع مناهج ومقررات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .

(٨) - تحريره وصياغته لآلاف الفتاوي والبحوث التي تتسم بالعمق والأصال والدقة وذلك خلال عمله نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

(٩) - دروسه العلمية ومحاضراته وندواته المفيدة في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم وفي منزله وفي بعض المعاهد التربوية ودور العلم .

يقول أحد تلامذته : كان الشيخ - رحمه الله - ذا باع طويل في علوم الشريعة وقلَّ أن يوجد له نظير في التوحيد وعلوم العقائد أما في علم أصول الفقه فإليه فيه المنتهى وقد شرفت بأن أكون أحد تلاميذه في كلية الشريعة ثم في المعهد العالي للقضاء وخبرته عن قرب ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجَم والفقه في الدين والتحلي بمبادئ هذا الدين من تواضع وتقى وزهد وورع وصبر وحب لهذه الأمة وحرص على أن تظل كما هو مؤمل منها منارة هدى ومصدر إشعاع وموئل عز للإسلام والمسلمين .

ويقول آخر : كان الشيخ عبد الرزاق - يرحمه الله - مسار إعجاب طلبة العلم وكان الطلاب ينقلون أخباره لأهاليهم وذويهم موضحين مواقفه وجهوده في التعليم والتربية وتفوقه في علم الشريعة ودقة فهمه لأحكامها وحسن تنزيله للأحكام على الوقائع في التدريس والفتوى وقوة شخصيته وسداد توجيهه وحسن تربيته وعرفته الساحة في المملكة في كل مجال من مجالاتها في التعليم والتربية والتوجيه والوعظ والإرشاد وفي الفتوى والمجالس العلمية ، ذا علم غزير ورأي متميز وأدب جم ، جمع الله له بين العلم النافع والعمل الصالح والقبول عند الناس والاحترام في المجتمع (١٠) - إشرافه على عشرات الرسائل العلمية (دكتوراه وماجستير) ومناقشته للمئات منها فضلا عن مئات البحوث والدراسات المتخصصة التي قومها وأبدى رأيه الصائب فيها ومن هذه الرسائل العلمية التي أشرف عليها :

• رسالة الدكتوراه للشيخ عبد القادر بن حبيب الله السندي وموضوعها (ابن قدامة وتخريج أحاديث كتاب " الكافي ") .

• رسالة الدكتوراه للشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان وموضوعها
(تحقيق ودراسة كتاب التوحيد وإثبات صفات الله عز وجل لابن خزيمة
(.

• رسالة الدكتوراه للشيخ صالح الفوزان وموضوعها (الأطعمة ما
يجل منها وما يحرم) .

• رسالة الدكتوراه للشيخ سعود بن عبد الله الفنسيان وموضوعها (
اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره) .

• رسالة الدكتوراه للشيخ محمد بن سعيد القحطاني وموضوعها (
اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً) .

وأما رسائل الماجستير والبحوث الشرعية الأخرى فهي لا تحصى كثرة
(١١) - تقويمه للأعمال العلمية والأبحاث التي تتسم بالأصالة والابتكار
لكثير من الأساتذة طلباً للترقية إلى درجة العلمية التي يستحقونها .

(١٢) - إلقاءه للعديد من المحاضرات والندوات والكلمات وعقد مئات
المجالس العلمية في المساجد وفي بيته .

دروسه العلمية :

لقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله وغفر له - من أعلام
العلماء علماً وتقياً وزهداً وفصاحة ، مواعظة تصل إلى القلوب وألفاظه
ترسخ في الأذهان ، كان منظره وفق مخبره وعلايته وزن سريره ، يجمع
مجلسه ضروب الناس وأصناف اللباس لما يوسعهم من بيانه ، هذا يأخذ
عنه الحديث وهذا يلقي منه التفسير وآخر يتعلم منه اللغة وهو في كل هذا
كالبحر العجاج تدفقاً وكالسراج تألقاً

كان في دروسه عف اللسان ، لا يعترض لأحد بأذى ولا يسمح لأحد أن يغتاب أحداً في مجلسه وسواء أكان ذلك في دروسه الخاصة أو العامة وفي حلقة الدرس يقرر العلم ويحقق المسائل ويوضح الغامض ويحل المشاكل ويقدم البراهين والأدلة على صحة قوله ولا ينتصر لرأيه وكان ذا هيبة ووقار يفرض احترامه على جالسيه ، كان كثير من طلبة العلم ومحبي المعرفة يحرصون أشد الحرص على مجالسته وحضور دروسه .

وكان في مجلسه صاحب روح خفيفة ، قلما يخلو مجلسه من إلقاء نكتة مهذبة تنشط السامع وتسره وتؤدي في نفس الوقت غرضاً توجيهياً وكان بعيد النظر ، عميق الفكر ، له جولات نقدية موجزة ، يدركها الماعي من جلسائه . كما كان بعيداً عن التكلف والتشدد فتم له إحكام الضبط وإتقان الأداء فجاء لفظه مشبعاً ولسانه ذرباً ومنطقه عذبا

يقول أحد تلامذته : كان الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - في أخلاقه محل القدوة والأسوة ، شديد التواضع ، تغلب عليه البساطة في مجلسه ودروسه . صحبته ما يزيد على اثنين وثلاثين عاماً وما تركت مجلسه في أسبوع إلا أن يكون أحداً مسافراً ولقد تعلمت في هذه الصحبة أموراً كثيرة منها ما يتعلق بالناحية السلوكية ومنها ما يتعلق بالناحية الشخصية ولقد أكرمه الله بالعقل المسدد والعلم الواسع والرأي الحكيم .

وكانت له دروس منتظمة في مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في " دخنه " بالرياض وكان يحرص على حضور هذه الدروس أكابر طلبة العلم والعلماء وعندما انتقل الشيخ إلى (حي الوشام) كانت له عدة دروس بين المغرب والعشاء بالمسجد المجاور لداره وكان يعرف

بمسجد العفيفي ، هذا فضلا عن إمامته للمصلين في هذا المسجد مدة خمسة عشر عامًا .

كما كان له رحمه الله درس أيام الملك العالم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - تغمده الله بواسع رحمته - كل يوم أربعاء وكان الملك يحضره معجبًا بعلم الشيخ يعقد دروسًا مكثفة في بيته يخصص بعضها لطلبة العلم المتميزين في فهمهم وإدراكهم ومن الكتب التي قام بشرحها وتدريسها كتاب " إيضاح المبهم من معاني متن السلم " تأليف أحمد الدمنهوري وهو في المنطق .

وكتاب " روضة الناظر " و " العقيدة الحموية " و " الواسطية " و " الرسالة التدمرية " لابن تيمية و " إحكام الأحكام " للآمدي وغيرها . وقد كان في موسم الحج مقصد الناس من كل مكان يجيب على أسئلتهم ويحل مشكلاتهم . وصفوة القول أن الشيخ - رحمه الله - جمع علما وفضلا وانتفع بعلمه أمم لا يحصون كثرة واجتمع في دروسه ما لم يحدث عند غيره .

ويصف ولد الشيخ عبد الرزاق - وهو الأستاذ محمود - مجلس أبيه فيقول :

كان مجلس الشيخ مهيبًا ، لا مجال فيه للهو الحديث ولا الخوض في الأعراض وانتهاك الحرمات وكثرة القيل والقال وانتقاض الناس . مجلس يغلب فيه التوجيه والإرشاد والنصيحة وحسن المشورة والبحث العلمي فيما يعرض من مسائل والإجابة عما يقدم من استفتاءات فإذا ما أخذوا في الحديث عن الدنيا كان الحديث بريئا كالحديث عن الأمطار

والزروع والثمار وأمثال هذه الأمور من الكونيات التي يثير البحث فيها العبرة ويعرف الإنسان نعم ربه عليه .

وقد طبع الشيخ على الخلال الحميدة والأخلاق والصفات الكريمة فكان - رحمه الله - صادق اللهجة عف اللسان حليما واسع الصدر كثير الصمت أميناً على السر ، متمهلاً في حديثه ، متأنياً في البحث وإبداء الرأي مع بعد نظر ، يجب أن يسمع أكثر مما يقول ، يرى أن ما يفوت بالتأني أخف خطراً وأقل ضرراً مما ينجم في الغالب من سوء عاقبة العجلة ووخيم مغبتها .

يسعى في الخير للفرد والجماعة ويجتهد في تحصيل ما يراه محققاً للمنفعة دون أن يعلن عن عمله أو يتحدث عن نفسه حديث فخر وإعجاب بما له من محامد ومآثر .

موقفه من المبتدعة:

بعد أن تحدث رحمه الله عن أعداء الإسلام والأساليب التي يستعملونها لبث أفكارهم وشبههم - وذكّر بعضها - .

قال: وغيرها من الشبه التي زانوها واستولوا بها على عقول البسطاء، وأحيانا ينتحلون أحاديث ينسبونها زورا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويلقونها على مسامع الأغرار وأهل الغفلة والجهل بفن الحديث من الذين لا يستطيعون التمييز بين صحيحه ومكذوبه، بل يصغون لكل ما نسب إليه - صلى الله عليه وسلم -؛ لحسن ظنهم بالرواة، وظنهم أنه لا يجرؤ أحد على الكذب على المشرع، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن ينصر دينه وينجز وعده، {إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩) [الحجر ٩:]، ويأبى الحق إلا أن يصرع الباطل على يد النقاد من رجال الحديث

وعلماء الرواية؛ بكلاءة هذا الفن وحفظه بتدوينه وتمييز الأصيل من الدخيل، والكشف عن أحوال الرجال جرحاً وتعديلاً يقظة وغفلة؛ إلا أن بعض رجال العلم من بعد أهملوا هذا الميراث الثمين، ولم يسلكوا سبل سلفهم في رد الفروع إلى الأصول، ولم يسيروا على ضوء مباحث الأولين في رد الشبه والأحاديث المفتراة؛ فغمرهم ظلام الإفك، وطغى عليهم التلبيس فتخبطوا في كثير من مباحثهم، وأكثروا من الاحتمالات التي لا داعي لها ولا حاجة إليها، فضعفت كلمتهم أمام المحرفين والمشبهين الملحدّين. وإن ما ترزح تحته الأمم الإسلامية اليوم؛ من تفرق في الكلمة، وانحراف في الرأي، وضعف في الدفاع، وتأخر إلى الوراء حين يتقدم غيرهم؛ ليس كل ذلك إلا نتيجة غفلتهم عن تراث السلف الصالح وسلوكهم لغير خطّتهم علماً وعملاً.

ولقد راجت شبه الملحدّين من جديد رواجاً مخيفاً جمد إزاءه المسلمون، ولو أنهم رجعوا إلى أقوال سلفهم الصالح وسلکوا طريقهم، لردوا كيد الكائدين إلى نحورهم؛ فإنه ما من شبهة تذاغ اليوم إلا وقد سبق إليها شياطين الملحدّين السابقين في العصور الأولى، ووقفها وردّها وأبطلها أجلة علماء السلف ببراعة فائقة؛ فلا سبيل أرشد من سبيلهم، ولا هدي أقوم مما كانوا عليه؛ فالخير كل الخير في العودة إلى كتاب الله تعالى تلاوة له وتفقهها فيه، وإلى أحاديث المصطفى صاحب جوامع الكلم - صلى الله عليه وسلم - دراية ورواية، والفتيا بهذين الأصلين وعرض أعمال الناس عليهما؛ فهذا هو الفلاح والرشاد الذي ليس بعده رشاد.^(١)

(١) إتحاف النبلاء (٢/ ١٩٨ - ١٩٩).

ومن مقالاته رحمه الله:

من أسباب الانحراف والصدود عن الحق:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فللصدود عن الحق أسباب عديدة وموانع كثيرة؛ منها: الغرور الفكري والتقليد عن غير بينة وبصيرة، وتحكم العادات السيئة في النفوس، والأنفة والاستكبار، والحسد الممقوت، وطاغوت الافتتان بالمركز والجاه وكثرة المال، وما إلى ذلك، وكلها أمراض أخلاقية وبيلة، وأدواء مستعصية فتاكة، والحديث عنها يطول؛ فليكن حديثي في هذه الحلقة عن الغرور الفكري. الغرور الفكري هو إعجاب الإنسان بعقله، وافتتانه برأيه، وإنزاله فوق منزلته، وإعطاؤه من القداسة ما ليس بأهل له حتى يتدخل فيما لا يعنيه، وما ليس في وسعه وحدود طاقته؛ فيعارض العبد ربه في خلقه وتشريعه، فضلا عن معارضته لنظرائه ومن هو أوسع منه فكرا وأكثر تجربة من العلماء. لقد وجد الشيطان منفذا لوسوسته في اغترار قوم بعقولهم وعلومهم؛ فاستهواهم، وزين لهم أن يخوضوا فيما ليس من شأنهم، وأن يهجموا على بحث ما ليس في وسعهم بحثه.^(١)

- وقال رحمه الله: الحكم فيمن رد السنة جملة -أي كلها- فهو كافر، فمن لم يقبل منها إلا ما كان في القرآن فهو كافر، لأنه معارض للقرآن، مناقض لآيات القرآن: والله تعالى يقول: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} [آل عمران: ٣٢]، ويقول تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

(١) إتحاف النبلاء (٢/ ١٨٧ - ١٨٨).

فَانتَهُوا} [الحشر: ٧] ويقول تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)}
[المائدة: ٩٢]. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)}
[النساء: ٥٩] ويقول تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
اللَّهُ} [آل عمران: ٣١]، فقوله: {فاتبعوني} هذا عام، فحد المفعول طريق
من طرق إفادة العموم، {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}، وما من صيغ
العموم، وقوله: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ
تَنَازَعْتُمْ} أي: تنازع الرعية، وأولو الأمر من العلماء والحكام {ففي شيء}
فردوه إلى الله والرسول، فلم يجعله إلى الله وحده، بل جعله إلى الله وإلى
الرسول، وردّه إلى الله رده إلى كتاب الله، وردّه إلى الرسول بعد وفاته
رده إلى سنته عليه الصلاة والسلام، فدعواه أنه يعمل بالقرآن عقيدة
وعملا ويرد السنة جملة -هذه الطائفة التي تسمي نفسها (القرآنية) -
دعوة باطلة، وهو مناقض لنفسه لأنه كذب آيات القرآن التي فيها الأمر
باتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وأخذ ما جاء به، وطاعته فيما
جاء به من عند الله عموما دون أن يخص آيات القرآن، ثم هو في الوقت
نفسه كيف يصلي؟ وكيف يحدد أوقات الصلوات؟ وكيف يصوم؟ وعن
أي شيء يصوم؟ وتفاصيل الصيام كيف يعرفها؟ وكيف يحج بيت الله
الحرام؟ فليس هناك إلا أركان محدودة من الحج في سورة البقرة، وكذلك
أين أنصبه الزكاة؟ وكيف يزكي؟ كل هذه التفاصيل موجودة في السنة
وليست في القرآن. فمن يدعي أنه يأخذ بالقرآن ولا يأخذ بالسنة فإنه

مغالط ومناقض لنفسه، ومناقض للقرآن، لأنه رد آياته الكثيرة التي ورد فيها الأمر بطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام والأخذ بما جاء به، ومناقض لإجماع المسلمين وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم جميعاً لم يشذ واحد منهم عن الأخذ بالسنة، فإذا هو كافر بالقرآن وإن ادعى أنه مؤمن به، والكافر بآية منه كالكافر بكل آياته، كافر بالإجماع منكر له أي إجماع الصحابة رضوان الله عليهم، فما فيهم واحد شذ عن السنة وأنكرها جملة، وإذا أنكر أحدهم شيئاً فإنما ينكر حديثاً من جهة الراوي لا من جهة أنه كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، أي: السنة.

وهذا أيضاً لا يقوى على أن يقوم بالصلوات الخمس على وجهها المعلوم من الدين بالضرورة، فصلاة العصر أربع ركعات، وصلاة الصبح ركعتان لا يجد هذا في كتاب الله فمن أين جاء هذا؟ ما جاء إلا من تعليم جبريل للرسول عليه الصلاة والسلام، وتعليم الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه، فمن أين يأتي بهذا؟ فهذا يحمل الرد عليه، وإثبات أنه كافر بالقرآن، كافر بالإجماع اليقيني، كافر بالمعلوم من الدين بالضرورة، من مثل أن ركعات الظهر أربع، والعصر أربع، والعشاء أربع، والمغرب ثلاث، والصبح ركعتان، وكافر أيضاً بتفاصيل الصيام لأنها ليست في القرآن، وهي معلومة من الدين بالضرورة، فلذلك كان كافراً^(١).

- وقال رحمه الله في جماعة التبليغ: الواقع أنهم مبتدعة ومحرفون وأصحاب طرق قادرية وغيرهم، وخروجهم ليس في سبيل الله، ولكنه في سبيل إلياس، هم لا يدعون إلى الكتاب والسنة، ولكن يدعون إلى إلياس

(١) فتاوى ورسائل (٣٠٣ - ٣٠٥).

شيخهم في بنجلادش، أما الخروج بقصد الدعوة إلى الإسلام فهو جهاد في سبيل الله، وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ، وأنا أعرف جماعة التبليغ من زمان قديم، وهم المبتدعة في أي مكان كانوا. هم في مصر، وإسرائيل، وأمريكا، والسعودية، كلهم مرتبطون بشيخهم إلياس.^(١)

موقفه من المشركين:

- قال رحمه الله: وتطرف البراهمة، فأحالوا أن يصطفي الله نبيا ويبعث من عباده رسولا، وزعموا أن إرسالهم عبث، إما لعدم الحاجة إليهم اعتمادا على العقل في التمييز بين المصالح والمفاسد، واكتفاء بما يدركه مما يحتاج إليه العباد في المعاش والمعاد، وإما لاستغناء الله عن عباده، وعدم حاجته إلى أعمالهم، خيرا كانت أو شرا، إذ هو سبحانه لا ينتفع بطاعتهم، ولا يتضرر بمعصيتهم.

وقد سبق بيان عدم كفاية العقل في إدراك المصالح والمفاسد، وحاجة العالم إلى رسالة تحقيقا لمصالحهم، مع غنى الله عن الخلق وأعمالهم، فليس إرسالهم عبثا، بل هو مقتضى الحكمة والعدالة.^(٢)

موقفه من الرافضة:

- قال رحمه الله: يرى أهل السنة أن حب الصحابة دين وإيمان وإحسان لكونه امتثالا للنصوص الواردة في فضلهم، وأن بغضهم نفاق وضلال لكونه معارضا لذلك، ومع ذلك فهم لا يتجاوزون الحد في حبهم أو في حب أحد منهم لقوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي

(١) فتاوى ورسائل (٣٧٢ - ٣٧٣)

(٢) فتاوى ورسائل (١٨٠).

دِينَكُمْ} [المائدة: ٧٧] ولا يخطئون أحدا منهم، ولا يتبرؤون منه، ولهذا ورد عن جماعة من السلف كأبي سعيد الخدري والحسن البصري وإبراهيم النخعي، أنهم قالوا: الشهادة بدعة، والبراءة بدعة، ومعنى ذلك أن الشهادة على مسلم معين أنه كافر أو من أهل النار، بدون دليل يرشد إلى الحكم عليه بذلك بدعة، وأن البراءة من بعض الصحابة بدعة.^(١)

- وقال رحمه الله: والمراد بالشيعة هنا: كل من شايع علي بن أبي طالب خاصة، وقال بالنص على إمامته، وقصر الإمامة على آل البيت. وقال بعصمة الأئمة من الكبائر، والصغائر، والخطأ، وقال: لا ولاء لعلي إلا بالبراء من غيره من الخلفاء الذين في عصره قولاً وفعلاً، وعقيدة، إلا في حال التقية. وقد يثبت بعض الزيدية الولاء دون البراء.

فهذه أصول الشيعة التي يشترك فيها جميع فرقهم، وإن اختلفت كل فرقة عن الأخرى في بعض المسائل، فمن قال ممن ينتسب إلى الإسلام بهذه الأصول فهو شيعي. وإن خالفهم فيما سواها ومن قال بشيء منها، ففيه من التشيع بحسبه.^(٢)

موقفه من الجهمية:

- قال رحمه الله: إرسال الله للرسول مما يدخل في عموم قدرته، وتقتضيه حكمته فضلاً من الله ورحمة، والله عليم حكيم، وهذا هو القول الوسط والمذهب الحق.

(١) فتاوى ورسائل عبد الرزاق عفيفي (٣٢١ - ٣٢٢).

(٢) فتاوى ورسائل عبد الرزاق عفيفي (٣٣٧).

وقد أفرط المعتزلة فقالوا: إن بعثة الرسل واجبة على الله إبانة للحق، وإقامة للعدل ورعاية للأصلح، وهذا مبني على ما ذهبوا إليه من القول بالتحسين والتقبيح العقليين وبناء الأحكام عليهما -ولو لم يرد شرع- وهو أصل فاسد^(١).

- وقال رحمه الله: ولا يغترن إنسان بما آتاه الله من قوة في العقل وسعة في التفكير، وبسطة في العلم، فيجعل عقله أصلا، ونصوص الكتاب والسنة الثابتة فرعا، فما وافق منهما عقله قبله واتخذ دينه، وما خالفه منهما لوى به لسانه وحرفه عن موضعه، وأوله على غير تأويله إن لم يسعه إنكاره، وإلا رده ما وجد في ظنه إلى ذلك سبيلا -ثقة بعقله- واطمئنا إلى القواعد التي أصلها بتفكيره، واتهاما لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أو تحديدا لمهمة رسالته وتضييقا لدائرة ما يجب اتباعه فيه، واتهاما لثقة الأمة وعدولها، وأئمة العلم، وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة، ووصلت إلينا عن طريقهم قولاً وعملاً.

فإن في ذلك قلبا للحقائق، وإهدارا للإنصاف مع كونه ذريعة إلى تقويض دعائم الشريعة والقضاء على أصولها إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكري متفاوت وعقولهم متباينة، وقد تتسلط عليهم الأهواء، ويشوب تفكيرهم الأغراض، فلا يكادون يتفقون على شيء، اللهم إلا ما كان من الحسيات أو الضروريات، فأبي عقل يجعل أصلا يحكم في نصوص الشريعة فتد أو تنزل على مقتضاه فهمها وتأويلها.

(١) فتاوى ورسائل (ص. ١٨٠).

أعقل الخوارج في الخروج على الولاة، وإشاعة الفوضى وإباحة الدماء؟ أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الاستواء والصفات وتحريفها عن موضعها وفي القبول بالجبر؟

أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص أسماء الله وصفاته ونصوص القضاء والقدر وإنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة؟ أم عقل الغلاة في إثبات الأسماء والصفات، والغلاة في سلب المكلفين المشيئة والقدرة على الأعمال؟

أم عقل من قالوا بوحدة الوجود ... إلخ.^(١)

موقفه من الخوارج:

- قال رحمه الله: خرج جماعة من المسلمين على الخليفة الثالث عثمان ابن عفان لأمر نقموها منه، وأحداث أنكروها عليه، ومازال بهم اللجاج في الخصومة معه حتى قتلوه. ولما انتهت الخلافة إلى علي بن أبي طالب كان ممن اختلف عليه وقاتله طلحة بن عبيد الله القرشي، والزبير بن العوام، فأما الزبير فقتله ابن جرموز، وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم فقتله، وكانت معهما عائشة -رضي الله عنها- على جمل لها، ولكنها رجعت سالمة مكربة لم يعترض عليها أحد، وتسمى هذه الموقعة بـ "موقعة الجمل". واختلف على علي -أيضا- معاوية ومن تبعه -رضي الله عنهم- ودارت الحرب بين الفريقين حتى كان التحكيم الذي زاد الفتنة اشتعالا ودب الخلاف في جيش علي، وخرج عليه ممن كان من أنصاره فرقة تعرف بالحرورية وبالشرارة. واشتهرت باسم الخوارج.

(١) فتاوى ورسائل (ص. ٣١٣).

وحديث العلماء في الفرق الإسلامية عن الخوارج إنما هو عن هؤلاء الذين خرجوا على علي -رضي الله عنه- من أجل التحكيم. أما طلحة والزبير، ومعاوية، ومن تبعهم، فلم يعرفوا عند علماء المسلمين بهذا الاسم. ثم صارت كلمة الخوارج تطلق على كل من خرج على إمام من أئمة المسلمين اتفقت الجماعة على إمامته في أي عصر من العصور دون أن يأتي ذلك الإمام بكفر ظاهر ليس له عليه حجة وإذن، فأول من أحدث هذه البدعة في هذه الأمة الجماعة التي خرجت على علي بن أبي طالب سنة ٣٩هـ، وأشدهم في التمرد، والخروج عليه، الأشعث بن قيس، ومسعود بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي، والذي دعاهم إلى ذلك مسألة التحكيم المشهورة في التاريخ، ورضا الملوثة به مع أنهم الذين أمروه به، واضطروه إليه، ثم أنكروه عليه فقالوا: لم حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله.

ورؤوسهم ستة: الأزارقة، والنجدات، والصفريّة، والعجاردة، والإباضية، والثعلبية، وعنها تتفرع فرقهم.

ومن أصولهم التي اشتركت فيها فرقهم، البراءة من علي، وعثمان وطلحة والزبير، وعائشة، وابن عباس -رضي الله عنهم- وتكفيرهم. والقول بأن الخلافة ليست في بني هاشم فقط، كما تقول الشيعة، لا في قريش فقط، كما يقول أهل السنة، بل في الأمة عربها وعجمها، فمن كان أهلاً لها علماً واستقامة في نفسه، وعدالة في الأمة جاز أن يختار إماماً للمسلمين.

ومن أصولهم: الخروج على أئمة الجور، وكل من ارتكب منهم كبيرة. ولذلك سمو بالخوارج. والإيمان عندهم: عقيدة، وقول، وعمل.

وقد وافقوا في هذا أهل السنة في الجملة، وخالفوا غيرهم من الطوائف. ومن أصولهم -أيضا-: التكفير بالكبائر، فمن ارتكب كبيرة فهو كافر، وتخليد من ارتكب كبيرة في النار إلا النجداث في الأخيرين. ولذا سموا وعيدية.

ومن أصولهم -أيضا-: القول بخلق القرآن وإنكار أن يكون الله قادرا على أن يظلم. وتوقف التشريع والتكليف على إرسال الرسل، وتقديم السمع على العقل على تقدير التعارض، فمن وافقهم في هذه الأصول فهو منهم وإن خالفهم في غيرها، ومن وافقهم في بعضها، ففيه منهم بقدر ذلك. وقد اجتمعوا بحروراء برئاسة عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعروة بن حدير، ويزيد بن عاصم المحاربي، وحرقوق بن زهير المعروف بذي الثدية. وكانوا في اثني عشر ألف رجل، فقاتلهم علي يوم النهروان، فما نجا منهم إلا أقل من عشرة، فر منهم اثنان إلى عمان، واثنان إلى كرمان، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى موزان، فظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع. وأول من بويع منهم بالخلافة عبد الله بن وهب الراسبي، فتمراً من الحكمين، وممن رضي بهما، وكفر هو ومن بايعه عليا لتحكيمه الرجال ورضاه بذلك.^(١)

موقفه من المرجئة:

سئل الشيخ: الإيمان الركن هل يزيد وينقص كالإيمان الواجب والمستحب؟

(١) فتاوى ورسائل (٣٣١ - ٣٣٣).

فقال الشيخ رحمه الله: نعم بدليل عموم قوله تعالى: {فَزَادْنَاهُمْ إِيْمَانًا} [التوبة: ١٢٤] وقوله: {لِيَزِدَادُوا إِيْمَانًا} [الفتح: ٤] وهذا يعم جميع أقسام الإيمان.^(١)

توفي رحمه الله تعالى في (٢٥ ربيع الأول ١٤١٥ الموافق ١ أغسطس ١٩٩٤م).

(١) فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص. ٣٧١).

محمد صفوت الشوادفي (١٤٢١ هـ) (١)

محمد صفوت أحمد يوسف الشوادفي، ولد في قرية الشغابنة من ضواحي مدينة بلبس سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة، تربى في أحضان أسرة أصيلة متأصلة على مبادئ الشريعة الغراء تخرج في كلية الاقتصاد وحصل على بكالوريوس في العلوم السياسية والاقتصادية سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق لثمان وسبعين وتسعمائة وألف ميلادي، وكان أحد قادة الصحوة الإسلامية، حيث قاد الدعوة بكلية الاقتصاد أيام أن كان طالباً فيها، وألف مجموعة كانت تدعو العلماء إلى الكلية لإلقاء المحاضرات الدينية، ولما تخرج من الجامعة لم يلبث في الوظيفة إلا قليلاً، ثم سافر إلى السعودية حيث سمع من شيوخ أمثال فضيلة الشيخ بن باز رحمه الله والشيخ ابن عثيمين، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، وكانت له علاقات طيبة معهم، وقد كان لهذا السماع أثره في تكوين عناصر فكره الديني، فقد أفاد كثيراً في تأصيل المسائل الفقهية، فجمع رحمه الله بين ترتيب الفكر وتنظيمه، وبين تأصيل المنهج وتقويمه. ولم يكتف الشيخ - رحمه الله - بما قرأ أو سمع في السعودية، بل التحق بكلية أصول الدين بالزقازيق، رغبة في الحصول على الإجازة العالية.

(١) "صفوت الشوادفي في ركب العلماء" لأحمد سليمان ومجلة الفرقان (العدد ١٢٥/ص. ٤٥) ومجلة التوحيد السنة التاسعة والعشرون العدد السادس جمادى الآخرة إحدى وعشرين وأربعمئة وألف . موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١٠ / ٤٩٠)

سكن مدينة بلبس ورأس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بلبس، وقد كان له جهد مشكور في بناء مجمع التوحيد بلبس، بل كانت له بصمات واضحة في الدعوة وأعمال البر، ولما انتقل إلى مدينة العاشر من رمضان أنشأ فرعاً للجماعة.

اختير عضواً في مجلس إدارة المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية عام إحدى عشر وأربعمئة وألف للهجرة الموافق لإحدى وتسعين وتسعمئة وألف ميلادي، وعهد إليه تنظيم إدارة الدعوة.

كان -رحمه الله- حريصاً على اتصال الجماعة بمشيخة الأزهر في عهد شيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق رحمه الله وبعده، فأعاد بذلك مسيرة الشيخ حامد الفقي وعبد الرحمن الوكيل و خليل هراس، حيث كانت لهم علاقات طيبة بشيوخ الأزهر وعلمائه.

توفي رحمه الله مساء ليلة الجمعة سبعة عشر جمادى الأولى لسنة تسعة عشر وأربعمئة وألف، إثر حادث أليم.

موقفه من المبتدعة:

كان رحمه الله رئيس تحرير مجلة التوحيد، ومن خلال هذه المجلة كان يطلع القراء على بديع مقالاته التي تلمس منها غيرة على هذا الدين، وشفقة على المؤمنين العازفين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم -، فكانت له مواقف مشرفة منها:

قال رحمه الله: فإننا ننبه إلى قضيتين:

الأولى: أن دعوة التمسك بالكتاب والسنة يدعيها كل الفرق والطوائف والطرق الصوفية والجماعات والجمعيات، وفي هؤلاء من هو

صديق ومن هو كاذب .. وعلامة الصدق: مطابقة القول والفعل بمعنى اتباع السنة قولاً وعملاً لا قولاً فقط.

الثانية: كل من دعا إلى سنة أو حارب بدعة أو حذر من ضلالة يرميه خصومه بأنه يفرق الأمة؟!!! فإذا لم تكن الدعوة إلى الله قائمة على الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة وتصحيح المفاهيم وتوضيح العقيدة الصحيحة فعلى أي شيء تقوم الدعوة؟!!!^(١)

موقفه من المشركين:

خصص رحمه الله في مجلة التوحيد حلقات متواليات يبين فيها كيد اليهود ابتداءً من نشأتهم إلى يومنا هذا، ومحذراً من خطرهم وسياستهم الدفينة البغض للإسلام والمسلمين.

كما فضح رحمه الله العلمانية وبين خطرها على الأمة المحمدية، فقال: العلمانية لا صلة لها بالعلم من قريب أو بعيد!! بل هي ضد العلم وضد الدين، وقد جاء تعريفها في دائرة المعارف البريطانية بأنها: (حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس، وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها)!. وهي وبهذا التعريف الواضح لا تهدف فقط إلى فصل الدين عن الدولة، وإنما تهدف إلى فصل الدين عن الحياة كلها، أو بمعنى أكثر وضوحاً تهدف إلى القضاء على الدين، وبهذا يكون تعريفها الصحيح هو (العلمانية حركة اجتماعية تهدف إلى القضاء على الدين، وإقامة المجتمع اللاديني).

(١) نقلاً عن رسالة صفوت الشواضي في ركب العلماء (ص ٢٠).

وقد تسللت العلمانية إلى كثير من بلاد المسلمين خاصة في مصر! وتهدف العلمانية في مصر إلى القضاء على الإسلام بصورة متدرجة! تحت شعار محاربة التطرف! وكل من وقف في طريقهم أو اعترض على أقوالهم فهو متطرف، ولو كان شيخ الأزهر!!.

ويتبع العلمانيون نفس الخطة التي وضعها ستالين للقضاء على الدين في الاتحاد السوفيتي سابقا، وباءت بالفشل!!.

وتنقسم خطة ستالين إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مهادنة الدين، وإيهام أصحابه أنهم أحرار في عقائدهم، وقد انتهت هذه المرحلة التي كانت أقلام العلمانية فيها تظهر احترام الإسلام، وتوقير علماء الأزهر، وتكتفي فقط بالكتابة عن الحب، والإثارة الجنسية، والتماثيل، والفنون، والأفلام، والأغاني ... إلخ.

المرحلة الثانية: محاولة تنقيح الدين، وتطويره! ومعنى ذلك تفسيره تفسيراً ماركسياً، مستغلين النقاط التي تلتقي فيها الماركسية مع الدين. وفي هذه المرحلة أيضاً يتم إظهار الاهتمام بالدين ورجاله. وهي نفس الخطة التي اتبعتها الأقلام العلمانية لإقناع الرأي العام بأن الديمقراطية من الإسلام! وأن الإسلام والاشتراكية وجهان لعملة واحدة!!.

والإسلام بريء من الديمقراطية، فإنها ضلال وفساد، وأما الإسلام فيرتكز نظامه السياسي على الشورى، وهي تختلف تماماً عن الديمقراطية من جميع الوجوه، ونظامه الاقتصادي متميز، فهو ليس اشتراكياً، ولا رأسمالياً!!.

المرحلة الثالثة: ادعاء وإظهار معائب الدين، وبعده عن الحقائق العلمية، ومهاجمته، وادعاء أنه لا يفي بحاجات البشر، ومتطلبات العصر! وكذلك الاستهزاء برجال الدين، والسخرية من العلماء!

وهذه المرحلة هي التي نعيشها اليوم، ونسأل الله السلامة. ويمكن لكل مسلم أن يتابع هذا التدرج ويدرك خطورته. إلى أن قال: وهم الآن يرفعون شعارين يجاريون بهما الإسلام. الأول منهما: الدعوة إلى حرية الرأي في الدين. وحقيقة الأمر أنهم يهدفون إلى الطعن في الدين، والصد عن سبيله بأقلامهم وألسنتهم، ولأنهم لا يستطيعون الإعلان عن ذلك حتى لا ينكشف أمرهم، ولا يفتضح مكنون صدورهم، فهم يبالغون في الدعوة إلى حرية الرأي في الدين!.

وقد كتبوا في الآونة الأخيرة كلاماً هو الكفر بعينه {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} [آل عمران: ١١٨].

وأما الثاني: فدعوة خبيثة إلى عدم احترام العلماء، وإسقاط هيبتهم من نفوس المسلمين. والهدف هو القضاء على الدين من خلال علمائه بالتقليل من شأنهم، والخط من قدرهم.

والعلماء هم قادة الأمة، وسراجها المنير ولكن هؤلاء لا يعلمون! (١)

موقفه من الرفض:

قال رحمه الله: فإنه من المعلوم أن الشيعة أكثر فرق الأمة الضالة ضلالاً وكفراً، وعقيدتهم تشهد عليهم بذلك؛ حيث يكتشف من يقف عليها أن الكذب والبهتان ركن من أركان الإيمان عندهم!!

(١) مجلة التوحيد (السنة الثالثة والعشرون العدد الخامس ١٤١٥هـ/ص ٧ - ١٢).

ومع ذلك فمازال في المسلمين من هو مخدوع بهم، بل قد يتصور - خطأ- أن بالإمكان حدوث تقارب بينهم وبين أهل السنة!! والحق أن السنة والشيعة ضدان لا يجتمعان ونقيضان لا يلتقيان! وإذا أردت شاهداً على ذلك فإليك البيان^(١).

ثم ذكر اعتقادهم في القرآن والسنة والصحابة وغير ذلك.
موقفه من الصوفية:

- قال: وأما الصوفية فقد حكم عليها العلماء قديماً وحديثاً بالبدعة والضلال، وحاصل كلامهم أن الصوفية قد أدخلت على الدين ما ليس منه، وابتدعت فيه بدعاً كثيرة تزداد بمرور العصور وتعاقب السنين.^(٢)
- وقال: فإن الطرق الصوفية قد جمعت في صفوفها من يعبد الشيطان، ويسمع له ويطيع! وإليك البيان:

بالقرب من ميدان السيدة زينب، رضي الله عنها، يوجد مقر لطريقة صوفية سرية باطنية، شيخها يسمى (عمر أمين حسنين)، مات منذ ست سنوات، ويسمون أنفسهم الطريقة البيومية العمرية نسبة إلى شيخ الطريقة، ومقر الطريقة شقة فاخرة بأعلى وأحلى أنواع الأثاث عامرة، وتقدم فيها للمريدين أطعمة شهية فاخرة لم ترها عين الفقراء في مصر، ولا سمعت بها آذانهم، ولا خطرت على قلوبهم! وهذا الطعام والشراب والأثاث الذي يزيد في مستواه على فنادق السبعة نجوم دليل قاطع على الزهد الذي تتغنى به الصوفية في الماضي والحاضر! وهذه الطريقة يجتمع

(١) مجلة التوحيد (السنة الثانية والعشرون العدد السادس ١٤١٥ هـ/ص ٦ - ٩).

(٢) مجلة التوحيد (السنة الثانية والعشرون العدد التاسع ١٤١٤ هـ/ص ٧).

فيها الشرك مع الموسيقى، والغناء مع الاختلاط، والخرافات مع الضلالات، والبدع مع الأطعمة الشهية، التي تجعل لعاب المريدين يسيل أنهاراً، حتى يفنى الأكل في البطن حسب نظرية الفناء الصوفي!! ونحن نسوق هنا بعض الوقائع التي تقع في مقر الطريقة يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع، فإن الدعوى لا تقبل إلا بيينة.^(١)

- كما أنه رحمه الله تحدى صوفية مصر بعشرين سؤالاً أن يجيبوا عنها، يتبين بها خلطهم وتناقضهم، فقال رحمه الله بعد ذكر هذه الأسئلة العشرين: وإن مما يلفت النظر ويثير الانتباه أن قراء (عقيدتي) قد لاحظوا بوضوح وجلاء أن الصوفية قد فشلت فشلاً ذريعاً في الرد على الأسئلة العشرين، وعن كشف الغموض والطلاسم، وعلامات الاستفهام الكثيرة التي تحيط بالطرق الصوفية .. وقد خرجت جميع الأقلام الصوفية عن الموضوع، وانحرفت بعيداً عنه ثلاثة اتجاهات:

الأول: اتجاه السب والشتم واتهام النيات .. وهذا قد تخصص فيه الأخ محمد المهنا من العشيرة الحمدية، وقلده في بعض ذلك تلميذ الطريقة العزمية غفر الله لهما.

الثاني: اتجاه ترديد محاسن التصوف وفضله على الإسلام، ومحاولة تفهيم القراء أن الله حفظ دينه بالصوفية وأن الأمة المسلمة لا حياة لها إلا به!! وهذا الاتجاه تتبناه كل الطرق.

الثالث: فهو الدعوة إلى الحوار والجلوس على مائدة البحث والمناظرة، وقد تبناه شيخ الطريقة العزمية، ونحن نرحب بهذا الحوار؛ بل ننتظره منذ

(١) مجلة التوحيد (السنة الخامسة والعشرون العدد الحادي عشر ١٤١٧هـ/ص ٦ - ٧).

فترة وقد قمنا على الفور بالاتصال ببعض علماء الأزهر الكبار ليتولى ترتيب هذا اللقاء وتنسيقه على الوجه الأكمل .. تحت رعاية جريدة عقيدتي.(١)

موقفه من الجهمية:

قال: عقيدتنا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وكذلك الإيمان بكل ما نطق به القرآن، أو جاءت به السنة الصحيحة. ونعتقد أن الله له الأسماء الحسنی والصفات العلی التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله - صلى الله عليه وسلم -، من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل؛ وأنه - سبحانه - استوى على العرش، أي علا وارتفع، كما فسرہ السلف بكيفية لا نعلمها. وأنه - سبحانه - يتزل إلى السماء الدنيا كما أخبرت بذلك السنة الصحيحة بكيفية لا نعلمها، والله في السماء، وعلمه في كل مكان! كما نؤمن أنه - سبحانه - خلق آدم بيده، وأن يداہ مبسوطتان ينفق كيف يشاء، كما ثبت له - سبحانه - وجهها، وسمعا، وبصرا، وعلما، وقدرة، وقوة، وعزة، وكلاما، وغير ذلك من صفاته، على الوجه الذي يليق به، فإنه - جل شأنه - : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)}

[الشورى: ١١].

(١) صفوت الشوادفي في ركب العلماء (ص. ١٧ - ١٨).

ونحن نثبت لله كل صفة أثبتتها لنفسه، كما ننفي عنه - سبحانه - كل صفة نفاهها عن نفسه، ونسكت عما سككت عنه النصوص، فإذا قيل: هل لله جسم؟ نقول: هذا مسكوت عنه فلا نثبت، ولا ننفيه، بل نسكت عنه طاعة لله. (١)

(١) مجلة التوحيد (السنة الثالثة والعشرون العدد السادس ١٤١٨ هـ / ص ٦ - ٧).

محمد صفوت نور الدين (١٤٢٣ هـ) (١)

الشيخ الهمام الفقيه الأصولي الداعية إلى الله صاحب الصوت الرقيق والقلب الخاشع واللسان الذاكر، والوجه البشوش، بقية السلف في الزهد والإخلاص وحسن البيان الشيخ الجليل والداعية النبيل أبو عبد الرحمن محمد صفوت نور الدين أحمد مرسي.

ولد رحمه الله - عام ١٩٤٣م في شهر يونيو بقرية "الملايكة" إحدى القرى التابعة لمركز بلبليس بمحافظة الشرقية بمصر، ومعروف عن أسرته عراقته في محبة السنة والدعوة إليها فأبوه هو الشيخ نور الدين أحد دعائم السنة والغيورين عليها، وكان يترأس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بمدينة بلبليس وكان يعمل مدرساً حازماً يهابه الجميع، وكان أبوه يمثل المصدر الأول للعلم والمعرفة والسلوك.

التحق الشيخ بكلية التربية وتخصص في مادة الكيمياء وكان يدرس مادة العلوم بالمدارس الثانوية المصرية ونفعه تخصصه العلمي في رسالته الدعوية إذ أن فهم القوانين الحاكمة للمواد الكيميائية له علاقة قوية بالقوانين الحاكمة لحركة الإنسان والكون، وكان المصدر الثاني لمعارفه الإسلامية هو عمّه الشيخ عبد الله أحمد المرسي وهو أول من أعلن الدعوة

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ٥٣٥/١٠، كتابنا "شموع لا تنطفئ"

إلى التوحيد في قرية "الملايكة" التي ولد بها الشيخ ومنها انتقلت الدعوة إلى بقية المناطق المحيطة بها.

سافر الشيخ محمد صفوت نور الدين إلى ليبيا لمدة أربع سنوات مُعَاراً كمدرس، ولما أحس أن الدعوة بمصر بحاجة إليه قرر الرجوع وبدأ يعيد ترتيب أوضاع شؤون الدعوة بجماعة أنصار السنة ويحل مشاكل فروعها، واستطاع في ذلك الوقت أن يتصدى بقوة لبدعة رد الأحاديث النبوية وتكذيبها استناداً إلى العقل وألقى عشر محاضرات بددت هذه البدعة. ترقى لمنصب مدير مدرسة ثانوية ثم مديراً عاماً للتعليم الثانوي لكن هذا لم يمنعه من عمله الدعوي الدؤوب.

تعرض لعملية جراحية رأى فيها الموت فلماً نجاه الله منها نذر نفسه للدعوة بعد ذلك، وكان يقول لإخوانه: إن كلمة الرئيس العام ليست منصباً علمياً وإنما هي ترتيب إداري لينتظم العمل بين أفراد الجماعة.

شيوخه

كان رحمه الله في فترة الستينيات من القرن العشرين طالباً بالجامعة، ولم تشغله دروسه العلمية عن أن يستمع إلى شيوخ جماعة أنصار السنة الحمديدية في بلده بليس، وفي المركز العام للجماعة، من أمثال الشيخ: عبد الرحمن الوكيل، والشيخ خليل هراس، رحمهما الله.

ولقد عوّض ما فاتته من التلقي على يد الشيوخ الأوائل — أمثال الشيخ محمد حامد الفقي والشيخ أبو الوفاء درويش — بحرصه على معرفة إنتاجهم العلمي في كتبهم وفي مجلة "الهدى النبوي" التي كانت تصدر عن أنصار السنة الحمديدية. وكان على صلة وثيقة بكافة الرموز الدعوية المؤثرة والفاعلة في مصر والعالم الإسلامي.

كلف في جماعة أنصار السنة المحمدية عضواً بمجلس إدارتها منذ ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق لثمان وسبعين وتسعمائة وألف ميلادي. وكان أميناً للدعوة بها منذ عام ثمان وأربعمائة وألف للهجرة الموافق لثمان وثمانين وتسعمائة وألف ميلادي حتى وفاة الشيخ محمد علي عبد الرحيم رحمه الله تعالى حيث توفي عام اثني عشرة وأربعمائة وألف للهجرة الموافق لاثنتين وتسعين وتسعمائة وألف ميلادي، فكلف برئاسة الجماعة.

مساهماته في خارج البلاد

لم يكتف رحمه الله بما كان يقوم به من إلقاء الخطب والدروس اليومية في فروع ومساجد الجماعة، بل امتد نشاطه إلى خارج البلاد محاضراً في بلاد الغرب، كما شهد عدداً كبيراً من المؤتمرات العلمية التي كانت تعقد لمناقشة هموم الدعوة والمسلمين.

وكان آخر مؤتمر برياسته هو المؤتمر الذي عقد بالمركز الدولي لدعاة التوحيد والسنة بمسجد العزيز بالله، وقد انتهت أعماله قبل سفر فضيلته إلى السعودية بيومين تقريباً، وكان شعار المؤتمر ((القدس)).

مساهماته في الصحافة الدينية

كان رحمه الله يحسن استقبال الصحفيين ويدي لهم بآرائه، وكان مرتب الفكر والمنهج بارعاً في الرد على ما يثيره الصحفي من علامات استفهام حول بعض المسائل الخلافية، وكان يتكلم عن منهج الجماعة ورجالها ومسيرتها ولا يتكلم عن نفسه، وقد تم ذلك بأسلوب واضح وعبارات تدل على أن الرجل عالم فطن عزيز العلم واضح المنهج.

ومن أبرز حواراته ما كان على صفحات اللواء الإسلامي مع فضيلة شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي يوم أن كان مفتياً للجمهورية، ود. أحمد عمر هاشم من جهة، والشيخ صفوت نور الدين، وصفوت الشوافي من جهة أخرى.

السبق العلمي

كان للشيخ رحمه الله سبق شهد له به الذين عرفوه عن قرب في استنباطاته من النصوص الشرعية، عن علم وبصيرة نافذة، وعن ذلك يقول الشيخ "محمد عاطف التاجوري":

"منذ ما يقرب من عشرين عاماً، عندما كنت مع الشيخ "صفوت الشوافي" رحمه الله تعالى في مدينة "الرياض" بالملكة العربية السعودية، وقد سأله سائل عن الشيخ "محمد صفوت نور الدين" رحمه الله تعالى وعن علاقته به، فقال له هذه الكلمة التي ما زلت أتذكرها في العديد من المواقف: "سبقنا علماً وفهماً". هكذا كانت كلمة الشيخ "صفوت الشوافي" رحمه الله، وهو المعروف بكلماته القصيرة المعبرة عن شيخه الشيخ "محمد صفوت نور الدين" رحمه الله عز وجل، وهي تعبر عن السبق العلمي والفقهني الذي كان عليه شيخنا الشيخ "محمد صفوت نور الدين" رحمه الله رحمة واسعة، وهذا ما كان يلمسه منه ويعرفه عنه كل المحيطين به، وكل تلاميذه، من استنباطاته الواسعة من النصوص الشرعية، وبالرغم من سماعنا للنص القرآني أو النبوي العديد من المرات وقراءتنا عنه في العديد من الكتب، إلا أننا كنا نسمع من شيخنا الجليل رحمه الله عز وجل شروحات جديدة واستنباطات لم نسمعها أو نقرأ عنها من قبل. لم يكن شيخنا الفاضل رحمه الله هو الوحيد الذي حاز هذه الفضيلة، ولكنه

كغيره من علماء الإسلام في جميع العصور، كانوا على هذه الفضيلة، وكم كنا نقرأ ونعجب من استنباطات شيوخ أهل السنة والوجوه التي يخرجون بها من تدبرهم للنصوص الشرعية؛ حتى إن النص القصير من النصوص الشرعية — سواء كانت قرآنية أم نبوية — يستخرجون منه الفوائد التي تزيد أحياناً على مئة فائدة. هذا هو السبق العلمي المطلوب في أيامنا، وقبل ذلك وبعد ذلك، وقد تكون هذه الكلمة غير مستعملة إلا في العلوم المادية فقط، أو هكذا اعتدنا، ولكنها في العلوم الشرعية والأمور الدينية أكثر طلباً، وأكثر إلحاحاً، ففي العلوم الشرعية حياة القلوب".

تراث الشيخ

كان الشيخ صفوت نور الدين لا يكاد يستريح، ولا يغلق بابه أو هاتفه دون أحد يلتمس منه النصيح أو السؤال في مسألة، وربما تأتية الفتاوى وهو على الطعام فيتركه من أجل قضاء حاجة السائل. ولم يتحفنا الشيخ بمصنفات في فروع العلم؛ وذلك لأسباب، من أهمها: أن الشيخ كان متواضعاً ويرى أنه ليس أهلاً لذلك!! لكنه بالرغم من تواضعه الشديد وعزوفه عن وضع أي مصنف فقد ترك لنا تراثاً ضخماً من مقالاته وأبحاثه في مجلة التوحيد من خلال الافتتاحيات وباب السنة، مع كم هائل من خطبه ومحاضراته التي طاف بها شتى بقاع الأرض.

وللشيخ عدة أبحاث قليلة المبنى عظيمة المعنى، كرسالة "موقف أهل الإيمان من صفات عباد الرحمن" وأخرى بعنوان "التربية بين الأصالة والتجديد" وأيضاً "المسجد الأقصى ودعوة الرسل" وغير ذلك.

وفاته :

توفي رحمه الله يوم الجمعة بمكة المكرمة بعد أدائه العمرة وقبل موته شعر بإجهاد حاد فشقق وتشهد وأسرع فاستقبل القبلة ونام علي شقه الأيمن وشرب جرعة ماء ثم فاضت روحه إلى بارئها، ويسر الله رفقاء من أهل العلم والصلاح فقاموا بغسله وتجهيزه والصلاة عليه في الحرم في جمع كبير مأمومين بشيخ الحرم المكي الشيخ صالح بن حميد.

مات الشيخ وله من الأولاد تسعة: ثلاثة ذكور، وست من الإناث من زوجته التي هي ابنة عمه وأستاذه الشيخ عبد الله بن أحمد مرسي.

شهادات معاصريه

قال عنه الدكتور جمال المراكبي : "لقد كان شيخنا صاحب سنة ووفقه الله سبحانه فحمل لواء السنة وجعله رئيساً لأنصار السنة ومن مات على الإسلام والسنة فقد حاز النعمة العظمي".

وقال عنه الشيخ مصطفى العدوى: "كم حمل هذا العالم الجليل الراحل جميل الخصال ومحاسن الفعال والخلق الكريم" ..

وقال عنه الشيخ محمد حسان: " والله لقد كانت همتي تعلو كلما جالست الشيخ وتتبع أحواله، وكل طلاب الشيخ ومحبيه يعلمون يقيناً أنه كان لا يعرف الكلل والملل فمن مسجد إلى مسجد ومن بيت إلى بيت ليحل مشكلة أو يصلح بين متخاصمين" ..

وقال عنه الدكتور علي السالوس: "كان لي شرف الاشتراك مع الفقيد في لقاءات ومؤتمرات داخل مصر وخارجها في أمريكا فكان نعم المحاضر، ونعم المناقش ونعم المجادل بالحق والتي هي أحسن في سمع العلماء وتواضعهم وهدوئهم يتحدث ويناقش ويجادل لم أره مرة يجترئ

على الفتيا بغير علم، بل دائماً يسند أقواله بالأدلة المعتبرة مستمسكاً بالكتاب والسنة ومارأيته مرة يغضب لنفسه".

وقال عنه الشيخ صالح السدلان: "الشيخ صفوت نور الدين سابع رئيس لأنصار السنة المحمدية بمصر ودامت رئاسته لها ما يزيد على عشرة أعوام شهدت الجماعة خلالها ازدهاراً غير مسبوق من التنظيم والعمل المؤسس الناجح فساهم مساهمة فعالة في نشر دعوة التوحيد في مصر والعالم الإسلامي، وأرسي قواعد الجماعة على المنهج السلفي الصحيح منهج أهل السنة والجماعة في إطار ضوابط لم تتعارض مع الحكومات مما كتب لدعوته الاستمرار والنجاح".

كلمة رثاء

بقلم: أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعدُ. فإن أصدق الحديث كتابُ الله تعالى، وأحسن الهدي هديُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة. وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار. فهذه نفثاتُ مصدور، وأنفاس مقرر، وزفراتُ مهموم، وأَناتُ مكلوم، وحيرةُ مكروب، ولوعةُ محروب، وبكاءُ باكٍ لا ترقأ دموعه، ولا تسكن ضلوعه، ولا يهدأ هجوُّه، مع رُزءٍ جليل أصابنا، وخطبٍ عظيم أناخ ببابنا بموت حبيبنا وصاحبنا في الله تعالى سماحة الشيخ محمد صفوت نور الدين. رحمه

الله تعالى وطيب ثراه، وأجزل له المثوبة بأحسن مما كان يعمل. جاءه الأجل فشق إليه الطريق، وأماط عنه حياطة الشفيق، ونضا عنه طبَّ كلَّ طبيب، فقبض ملك الموت وديعته في الأرض، ثم استودع مسامعنا من ذكره اسمًا باقياً، ومحا عن الأبصار من شخصه رسماً فانياً. فاللهم تقبل عمله، وأغفر زلَّته، غير خالٍ من عفوك، ولا محرومٍ من إكرامك. اللهم أسبغ عليه الواسع من فضلك، والمأمول من إحسانك اللهم أتمم عليه نعمتك بالرضى، وأنس وحشته في قبره بالرحمة، واجعل جودك بلالاً له من ظمأ البلى، ورضوانك نوراً له من ظلام الثرى. مات أبو عبد الرحمن والحاجة إلى مثله ماسّة، فقد كان والله عظيم الحلم، قديم السلم، محسناً لإخوانه، متواضعاً، ما رأيتُ مثله في ذلك، حتى كان يوقرنا أكثر من توقير أبنائنا لنا، مما أحلّه في قلوبنا المحل الأسمى الذي ينبغي أن يكون لمثله، فعلى مثله فليكن الباكون، ويتفجع المتفجعون، والله المستعان.

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم وفناء نفسك لا أبالك أفجع
وقد اقتضت حكمة الله تعالى أنه جعل كلَّ شيء يولد صغيراً ثم يكبر،
إلا المصيبة، فإنها تولد كبيرة كبراً قد يهدُّ الجبال الراسيات، ثم تصغر صغيراً
حتى تضمحل، ولولا ذلك لمات الناس من الكمد موتاً ذريعاً، فإن نجزع
فبسبب جلال المصيبة، لا سيما وقد سبقه إلى حيث يصير الناس شيخاً
الدنيا في زمانهما، وهما الإمامان الجليلان شيخنا عبد العزيز بن باز،
وشيخنا ناصر الدين الألباني ومعهما أئمة آخرون مثل الشيخ عبد الرزاق
عفيفي، وحمود التويجري، وعطية سالم، وابن عثيمين في آخرين أناخوا
بباب ربهم العظيم، فعلى مثل مصابنا فليكن الجزع، لكننا كلما تذكرنا
مصيبتنا بموت نبينا صلى الله عليه وسلم هان علينا ما نجده، فإلى الله

المشتكى مات أبو عبد الرحمن والحاجة إلى مثله تتنامى في زمن القحط والجدب والعقم، وكم من متوثب يتحفز، وماكر يتوقر ليقفز من هذا النقب من أهل البدع والأهواء والضلالات، كان أبو عبد الرحمن ومن سبقوه ممن سميتُ شجى في حلوقهم، وقدأ في عيونهم ردحاً طويلاً من الزمان. وكأني بهؤلاء المبتدعة المارقين وقد تنادوا مصبحين وممسين، وقد اجتمعوا حول نيرانهم، وحول عجلهم مرةً أخرى. يرقصون ويصرخون بفرح مجنون، ظناً منهم أنه بموت هؤلاء العلماء قد خلت لهم الأرض. وبئس ما ظنوا، فإن هؤلاء العلماء خلّفوا وراءهم رجالاً يحملون مشاعل الهداية، يمدون المسلمين في طريقهم إلى الله عزّ وجلّ؛ ففي الزوايا خبايا وفي الناس بقايا. فيا حبيينا: إنني أكتب هذه الكلمات وأمامي بعض ما خرج للناس مما كتبه يمينك مما شفيت به العليل ورويت به الغليل، مما يزيلُ شبهةً، ويزيح ظلمةً، ويجلو غشاوةً إلا غشاوةً من دمعٍ تأبى أن تفارق عيني. إذا ما دعوتُ الصبر بعدك والبكا أجاب البكا طوعاً ولم يُجب الصبرُ فإن ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزنُ ما بقي الدهر وإنا لفراقك يا أبا عبد الرحمن لحزونون، ولا نقول ما يُغضب ربّنا وإنا لله وإنا إليه راجعون.

يذكر أن جهات عديدة مصرية وعالمية أبرقت تواسي في رحيل الشيخ على رأسهم الرئيس المصري حسني مبارك والملك فهد بن عبد العزيز.

موقفه من المبتدعة:

له قلم سيّال يُرى واضحاً من خلال مقالاته في مجلة التوحيد، قال رحمه الله مبيناً سبيل توحيد الأمة: والحديث عن وحدة المسلمين يعني ثلاثة أمور:

الأول: وحدة المسلمين اعتقاداً. وذلك يعني لزوم عقيدة أهل السنة والجماعة، ومخالفة الفرق الضالة الثنتين والسبعين وأصول هذه الفرق في الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة القدرية.

الثاني: وحدة المسلمين في تعبدهم. بمعنى لزوم السنة وترك البدعة ولزوم الطاعة وترك المعصية.

الثالث: وحدة المسلمين صفّاً. بأن يكونوا (كلٌّ على من عاداهم ويسعى بدمتهم أدناهم).

أما الأمر الأول: فقد اتفق علماء الصدر الأول عليه، ومن خالفهم فيه كانوا هم فرق الضلال فلا يجوز التسامح في أقوالهم، فإذا أردنا أن ندعو المسلمين إلى الوحدة دعوناهم للالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة لأنه لا سبيل للوحدة سواه.

أما الأمر الثاني: فهو دعوة المسلمين لإقامة شرع الله وعبادته كما أمر من غير أهواء ولا بدع. فنأتي المأمور ونجتنب المحذور. وكلاً من هذين الأمرين في الاعتقاد والتعبد يخاطب فيه أفراد الأمة وجماعاتها حكماً ومحكومين، فإذا استقاموا على اعتقاد أهل السنة والجماعة وعلى نيل الأهواء والبدعة عندئذ تصبح الدعوة لوحدة صف المسلمين نافعة. وعندئذ يترل الله عليهم نصره ويؤيدهم بجنده ويحيق بأعدائهم بأسه.

لكن إن ظنوا أنهم يمكن أن يتحد صفهم بغير وحدة اعتقادهم وصحة تعبدهم فذلك خيال وخبال؛ لذلك وجب على العلماء التعرف على العقيدة الصحيحة أي عقيدة أهل السنة والجماعة بغير خلط مع الفرق الضالة، فيعرفوا الفرق الناجية بعقيدتها وبأئمتها من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم بعد ذلك ليعرفوا الحق فيعرفوا أهله. فإن الحق لا يعرف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله.

ولا يجوز أن ندعو إلى غير أهل السنة والجماعة، أو أن نهون من أمرهم فنُدعو لموافقة فرق الضلال، ولا أن نقول قول الحائرين (لا ندري أين الحق؟)

لأن الدين كامل بإكمال الله له، لا يعوزه قول مجمع من مجامع العلماء اليوم فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: «تركتم على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك».(١)

فالنجاة في طريق الفرقة الناجية المنصورة فرقة أهل السنة والجماعة وهي واضحة المعالم، بيّنة القسمات، متميزة عما عداها، فهيّا يا دعاة الوحدة، وهيّا يا من تعالجون الفرقة. هيّا إلى الطريق الواضح الصحيح. والله ناصر من نصر دينه.(٢)

- وقال رحمه الله كاشفاً عن أضرار البدعة: أضرار البدع:

١ - ادعاء حق التشريع للبشر واتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى: قال الله تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } [التوبة: ٣١]

(١) أخرجه: أحمد (٤/ ١٢٦) وابن ماجه (١/ ١٦/ ٤٣) .

(٢) مجلة التوحيد (السنة الثانية والعشرون العدد السابع رجب ١٤١٤هـ/ص ٤ - ٥).

{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦)} [النحل: ١١٦].

٢ - اعتقاد أن التشريع جاء ناقصاً وأنه يكمله بالبدعة هذه والله تعالى يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

ومن وصية عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة (عليك بالسنة فإن السنة إنما سنّها من قد عرف ما في خلافتها من الخطأ والزلل والحمق، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وتقوى) فإذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن إلا لخير الناس في دينهم فما أجدره بالحزن العميق على نفسه بموقفه من البدعة التي عرف الشارع ما فيها من خطئاً وزلل وحمق.

٣ - تلبيس الدين على الناس بحيث يعتقدون الدين فيما ليس ديناً كما هو قائم اليوم بشأن كثير من بدع المساجد والصلاة وغيرها من العبادة، حتى إن ترك سنة من السنن لم يلّمه أحد، وإن ترك البدعة هاجت لها أنوف، والله تعالى يقول: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)} [آل عمران ٧١].

وإذا جئت تذكرهم بأن هذا ليس في شرع الله ألقى الشيطان على ألسنتهم ما يحتجون به لبدعتهم وأهم بذلك إنما يحسنون صنعاً والله تعالى يقول: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)} [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

٤ - إن صاحب البدعة محروم من ثواب العمل «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» (متفق عليه).

٥ - أن يحرم يوم القيامة من الشرب من حوض النبي - صلى الله عليه وسلم - ويدعو عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - في وقت هو أحوج ما يكون إلى شفاعته لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : «ألا يُذادَنَّ رجال عن حوضي كما يُذاد البعير الضالَّ، أناديهم ألا هلمَّ ألا هلمَّ، فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك، فأقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً» (الموطأ والبخاري ومسلم. واللفظ للموطأ).^(١)

موقفه من الرافضة:

- قال رحمه الله: وإن أشر البدع تلك التي تفرقت بسببها الأمة، وأشرها قاطبة بدع الشيعة الذين يزعمون حبَّ آل البيت، مع أنهم أشدَّ أعداء أهل البيت، حيث جعلوا ذلك ذريعة ومطية لارتكاب كل منكر وهجر كل شرع، وزعموا أن للقرآن باطناً غير ما يظهر للناس، فمن هذه الأقوال تفرعت أقوال أهل الضلال، فزرعوا فرق التصوف بين أهل السنة، وشوهوا للناس جمال دينهم، وأضلوهم عن طريق ربهم.^(٢)

- وقال أيضاً: وإن هذه القضية هي أم القضايا عند الشيعة إذا انهارت انهار كل مذهبهم، فإذا ثبت أن أهل البيت يدخل فيهم آل عباس وآل عقيل وآل جعفر، بل وبقية آل عليّ، فضلاً عن دخول الزوجات انهار كل مذهب الشيعة وتهاوى ولم يبقَ لهم من قول يعتمد بعد. وسائر

(١) مجلة التوحيد (السنة الرابعة والعشرون العدد الثالث ربيع الأول ١٤١٦هـ/ص ٣ - ٤).

(٢) مجلة التوحيد (السنة الثلاثون العدد الخامس ١٤٢٢هـ/ص ٤).

القضايا التي يبيّن عليها الشيعة مذهبهم إنما يتبعون فيها الشبهات للزيف الذي في قلوبهم ليضلوا الناس، ودين الشيعة مبني على عبادة القبور والشرك الصريح بالله ربّ العالمين، والمطالع لكتبهم في القديم والحديث يعلم أنهم عباد أوثان ينسبون لأئمتهم ما لا ينسب إلا لله ربّ العالمين، ويفضلون أئمتهم على الأنبياء والمرسلين، ولا يغرك دعواهم فهم صنيعة اليهود وتاريخهم في الكيد للمسلمين ملوث بالدماء، أقول هذا لأن دعاوى التقريب تريد أن تجعلهم مذهباً فقهياً خلافاً في الفرعات وليست في الأصول.

فانظر كيف أن الهوى يهوي بصاحبه ليلغيه المهالك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، والحمد لله على الهداية، ونسأل الله أن يجنبنا الهوى والغواية. (١)

(١) مجلة التوحيد (السنة التاسعة والعشرون العدد الرابع ١٤٢١هـ/ص.٥).

الحركة الإسلامية في العصر الحديث

مفهوم الحركة الإسلامية و سبب نشأتها

اختلف الباحثون حول أسباب ظهور الحركة الإسلامية في العصر الحديث، وقد اعتبرها كثيرون ظاهرة جديدة صاحبت انتقال العالم الإسلامي إلى العصر الحديث، و أرجعوها إلى ما اعتبروه حالة اغتراب تعرض لها الكثير من شباب المسلمين بسبب تسارع عجلة التحولات الاجتماعية و الثقافية، تلك التحولات التي اقتبست على نطاق واسع من إشعاع الحضارة الغربية المعاصرة بدرجة اعتبرها البعض صداماً مع عقيدة الإسلام التي هي جزء من الثقافة العربية.

كما اعتبر باحثون آخرون أن ظهور الحركة الإسلامية صاحب هزيمة العرب أمام إسرائيل في ٥ يونيو ١٩٦٧م كردّ فعل لفشل القومية العربية في مواجهة إسرائيل و كبديل لهذه القومية.

و هناك فريق ثالث من الباحثين رأى أن ظهور الحركة الإسلامية هو رد فعل لسقوط نظام الخلافة الإسلامية و الذي تمثل في إلغاء كمال الدين أتاتورك للخلافة العثمانية وإقامة جمهورية علمانية على أنقاضها في تركيا^(١).

(١) الحركة الإسلامية في مصر في العصر الحديث، د كمال حامد مغيث (ص١٣) ، الحركات الإسلامية، د رفعت سيد أحمد (ص٩٥) ط سينا للنشر، المصحف والسيف . نبيل عبد الفتاح ص٦٤ مكتبة مدبولي ، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي . د يوسف القرضاوي ص٢٨ .

و لكننا نرى أن كل هذه التفسيرات غير صحيحة، و ذلك لأن الحركة الإسلامية في جوهرها ما هي إلا عمل سياسي و اجتماعي إسلامي في الفضاء العام يهدف لإحداث تأثيرات إسلامية سياسية و اجتماعية و ثقافية و دينية في ذلك الفضاء العام عبر عمل عام له صور و أساليب شتى، و مادام هذا هو جوهر الحركة الإسلامية المعاصرة، فلا شك أنها ليست أمراً جديداً بل هو قديم قدم الرسالة الإسلامية المحمدية نفسها.

فمنذ بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة للإسلام و هو يسعى لإحداث تغيرات دينية و ثقافية و اجتماعية و سياسية في الفضاء العام الذي تحرك فيه و كلل ذلك كله بتأسيس دولة إسلامية وحدث شبه الجزيرة العربية لأول مرة في تاريخها في دولة واحدة وكانت السلطة السياسية و الاجتماعية العليا فيها للنبي صلى الله عليه وسلم، و سار خلفاؤه الراشدون أبو بكر و عمر و عثمان و علي و الحسن بن علي على نفس المنوال، ثم جاء حكم معاوية بن أبي سفيان ليبدأ معه التغير في هذا النمط الديني في الحكم، و عندئذ فقط بدأ ظهور الحركات الإسلامية التي تسعى للتأثير في الواقع السياسي فظهر "الخوارج" في نهايات عصر علي و نشط بعد معاوية "شيعة أهل البيت" و تحركوا ضد خليفته بما في ذلك الحركة الانقلابية المسلحة التي قادها الحسين بن علي و انتهت بمقتله، كما ظهرت حركة "الزبيرين" بقيادة عبدالله بن الزبير و التي لم تنته بمقتله.

و كل هذه الحركات مجرد مثال لحركات إسلامية متعددة نشأت و استمرت عبر التاريخ الإسلامي الطويل و سعت لإحداث تغيير سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو اقتصادي أو كل ذلك معاً و بعضها أقام دولاً مثل

الخوارج و الشيعة و الصفاريين و غيرهم ، و قد شكل أكثرها في تغيير الوضع السياسي القائم.

و الشاهد من ذلك كله أن الحركات الإسلامية هي إفراز طبيعي لانفصال الدين عن السياسة بدرجة أو أخرى عبر التاريخ الإسلامي و الذي بدأ بالتدريج و ببطء منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، خاصة في نهاية عهده عندما ورث الحكم لابنه يزيد، لقد نشأت الحركات الإسلامية من أجل مكافحة الانحراف عن نظام و أهداف و مقاصد و نمط الحكم الإسلامي الذي أرساه النبي صلى الله عليه وسلم سواء وافق البعض على هذا النمط من الحكم أم لم يوافق فهذا هو دافع و هدف هذه الحركات التي نشأت منذئذ و حتى الآن.

و بالتالي فالحركة الإسلامية ليست جديدة بل هي ترجع للقرن الأول الهجري كما أشرنا. وحتى في العصر الحديث عندما نشأت جماعات منظمة خارج المؤسسات الدينية التقليدية فإنها انبثقت منها و كنتيجة لتكبير هذه المؤسسات التقليدية من قبل الحكام، فمؤسس أول جماعة إسلامية منظمة في مصر "الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب و السنة" و هو الشيخ محمود خطاب السبكي أحد علماء الأزهر الشريف هو من أشهر تلاميذ الشيخ محمد عليش شيخ المالكية بالأزهر الشريف الذي قيل أن الإنجليز قد قتلوه في المستشفى عقب احتلالهم مصر بسبب مساندته للثورة العرابية و معارضته للاحتلال الإنجليزي، و كانت بداية تأسيس و نشاط "الجمعية الشرعية" في نهايات القرن الـ ١٩ الميلادي لكنها لم تسجل قانونيًا إلا بعد ذلك بنحو عشرين عامًا (أي في ١٩١٣م) عندما صدر قانون ينظم تأسيس و إدارة الجمعيات.

و نحن نرى أن ظهور الجماعات الإسلامية في مصر جاء مرتبطاً ،
وكما يرى البعض ، مع انحسار دور الأزهر- الذي كان بمثابة جماعة
إسلامية كبيرة- و تزايد سيطرة الحاكم عليه و ليس مرتبطاً بسقوط
الخلافة الإسلامية و لا بهزيمة يونيو ١٩٦٧م.(١)

بالطبع يمكن القول بأن سقوط الخلافة أو هزيمة يونيو ألهب كل منهما
حماس المزيد من الشباب و دفعهم لنشاط متزايد في إطار الحركات
الإسلامية المختلفة ، إلا أنه لا يمكن القول بأن الحركات الإسلامية لم
تنشأ إلا بسبب هذه العوامل لسبب بسيط جداً هو أن ذلك لم يحدث.

(١) الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي . د رضوان أحمد شمسان الشيباني ص ٣٠ ط
مكتبة مدبولي

الدعوة السلفية في مصر

مرحلة النشأة

تعود نشأة الدعوة السلفية في مصر إلى جماعة أنصار السنة المحمدية التي قد انشقت عن الجمعية الشرعية لاختلافها في وسائل الاعتقاد ، وذلك أوائل الخمسينات من القرن المنصرم ، وكانت جماعة أنصار السنة المحمدية قد تبنت الرؤية السلفية في التعبد والاعتقاد .

ولقد برز التيار السلفي في محيط جامعة القاهرة في هيئة جماعة طلابية كانت تُسمى بالجماعة الدينية تقوم ببعض الأنشطة الثقافية والاجتماعية البسيطة ، في محيط الطلاب ، وكانت هذه الجمعيات قليلة العدد ، ضعيفة الجهد ، غير مؤثرة في النشاط العام للطلاب بشكل ملحوظ ، وكان أساسها طالبًا أو طالبين متحمسين للإسلام ، يقوم عليه أو عليهما العبء كله ... وظهرت هذه الجمعيات الدينية في أوائل السبعينات ... منها : الجمعية الدينية بكلية الهندسة - جامعة القاهرة التي كانت رائدة في هذا الاتجاه... وفي طب قصر العيني عقد أول معسكر إسلامي للطلاب في صيف العام الدراسي ١٩٧٠/٧١ م ... وفي العام التالي ١٩٧٢/٧١ م أقامت جامعة القاهرة أول معسكر إسلامي على مستوى الجامعة... وفي تلك الفترة أيضا أو بعدها بقليل بدأت الجامعات الأخرى في تنظيم مثل هذه المعسكرات ، ونشير هنا إلى أن جامعة الإسكندرية كان لها دورها البارز في دعم وتقوية النشاط الإسلامي ، وبلورة المفاهيم الصحيحة في عقول الطلاب.

والحقيقة أن التيار السلفي حتى أوائل السبعينيات لم تكن قد تبلورت رؤيته بعد تجاه الواقع والتيارات الإسلامية الأخرى ومن ثم لم يجد غضاضة في التعاون مع الإخوان المسلمين في محيط الجامعة والاشتراك في المعسكرات الشبابية التي كانوا يقيمونها ويحاضر فيها دعاةهم.

ولكن مع هذا كله ، لا يمكننا أن نغفل الدور الرائد لحركة الإخوان المسلمين في صقل وتعميق مفاهيم الإسلام الصحيحة في نفوس قادة الجماعات الإسلامية وأفرادها ، سواء عن طريق المحاضرات أو اللقاءات أو الكتب الإسلامية والسياسية التي ظهرت في النصف الثاني من السبعينيات وما تلاه ... بل إننا نقرر ، ونحن مطمئنون أنه لم تكن هناك اختلافات أو فروق تذكر بين فهم وسلوك الجماعات الإسلامية ، وبين الإخوان المسلمين ، اللهم إلا فارق الخبرة وفهم طبيعة المجتمع ، وهو ما استطاعت الجماعات الإسلامية استيعابه بعد ذلك .

والقول بأن الجماعات الإسلامية نشأت مستقلة الفهم والفكر والتصور عن غيرها ، هو الذي يحتاج إلى دليل .

لكن بعد مضي فترة قصيرة لا تتجاوز العامين وبالتحديد في عام ١٩٧٦ بدأ التيار السلفي يختلف مع الإخوان ومع تيار الجهاد الذي برز في حادثة الفنية العسكرية في تلك الفترة وبدأ التيار السلفي يستقل في نشاطه ويصدر العديد من البيانات والكتب المعبرة عنه.(١)

(١) الحركات الإسلامية . د رفعت سيد أحمد (ص١٢٢) دار سينا للنشر ، الجماعة الإسلامية في جامعات مصر . بدر محمد بدر ص٢٢ ، الحركة الإسلامية في مصر . صالح الورداني ص١٤٩

يقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح في مذكراته :

" حين أخذنا- أنا وبعض قادة الجماعة قرار الانضمام للإخوان - كنا نتوقع أن الصف الثاني من بعض قيادات الجماعة الإسلامية سوف يعارض ما تم الاتفاق عليه بيننا وبين الإخوان، وكانت المعارضة تتمثل فيمن غلبت عليهم الرؤية السلفية مثل الإخوة: أسامة عبد العظيم في القاهرة وأحمد فريد ومحمد إسماعيل في الإسكندرية، أو من غلبت عليه الروح الجهادية مثل الإخوة: كرم زهدي وناجح إبراهيم في الصعيد، ولذلك قررنا أن نؤخر إعلام هؤلاء الإخوة بما تم الاتفاق عليه مع الإخوة. ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد كان الأخ خالد داوود - أحد قادة الجماعة الإسلامية البارزين في الإسكندرية- يجلس ذات مرة مع الأخ أسامة عبد العظيم وتطرق الحديث إلى الجماعة والإخوان فرل لسانه وأخبره أن قيادات الجماعة الإسلامية قد أنهت القضية وبايعت قادة الإخوان!. فوجئ أسامة بهذا الكلام، وخرج الأمر منه إلى الآخرين، فاندلعت ثورة من التساؤلات والاستنكارات، خاصة من الجناح السلفي والجناح الجهادي.

أخذنا نفكر في كيفية الخروج من هذا المأزق فقررنا أن نصارحهم بما حدث فعلا، وأنا بايعنا الإخوان وأصبحنا منهم بالفعل، وكانت رؤيتنا أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم .

جرى هذا في الفترة ما بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠، وعلى إثر ذلك ظهرت مجموعة السلفيين أو تيار السلفية العلمية في الإسكندرية، وبمثله الإخوة محمد إسماعيل وأحمد فريد ومعهم أسامة عبد العظيم في القاهرة وعبد الله سعد الذي كان نشطاً جداً في جامعة الأزهر ، كما ظهرت

مجموعة الجهاديين الذين أسسوا تيار العنف في المنيا وأسيوط وعلى رأسهم كرم زهدي وأسامه حافظ وناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد وعصام درباله ...

أخذت الأمور تستقر تدريجياً وانحصر نقد الإخوة في التيار السلفي لنا كإخوان في دروس ومحاضرات تتهمنا بأننا أصحاب بدع وتحلل من الدين، أما مجموعة الصعيد فقد صرنا في نظرهم مهادين متخاذلين آثرنا العافية بدلا من مقارعة النظام، وكنا في البداية نرد عليهم بأن اختيارنا هذا نوع من الإعداد والتمهل وعدم التسرع في الأخذ بالأسباب.

وتدريجياً بدأ التمايز بين هذه المجموعات الثلاث وفقدنا السيطرة على الطرفين الآخرين: السلفية والجهادية، وكان الأشد خطراً مجموعة الجهاديين الذين بدأوا يمارسون العنف بشكل بارز، مثل بعض العمليات التي قاموا بها عام ١٩٨١ من تكسير بعض الكازينوهات، وضرب البنات المتبرجات على كورنيش النيل في المنيا، الهجوم على الطلاب الأقباط واحتجازهم في المدينة الجامعية في أسيوط.

واستمر الحال على هذا حتى وقعت واقعة اغتيال السادات، فالتقينا ثانية ولكن في السجون تحت سياط التعذيب!

وحول وقائع صدامهم مع الإخوان يقول الدكتور ياسر برهامي أحد أبرز دعاة السلفية في مصر:

في السنة الرابعة كان الأخ عماد عبد الغفور اقترح أن نعمل عملاً سلفياً في الجامعة، فوافقت واتفقت أن نكون مشتركين معاً في هذا العمل، فبدأ العمل وبدأ الصدام مع الإخوان المسلمين الذين كانوا يعملون باسم الجماعة الإسلامية، كان هذا في سنة ١٩٨٠، وهي السنة التي حدثت

أحداث كلية الطب فيها، هذه الأحداث كنا نوزع أوراقاً ونعمل محاضرات في ساحة الكلية ونسميها ندوة، ونتكلم فيها عن قضية التوحيد وقضايا الإيمان باليوم الآخر ويتكلم فيها الإخوة، فخطط الإخوان لمنع هذا اللقاء، ومنع خروج الناس والمشاركة، وحصل صدام بين بعض الإخوة وبعضهم، وساعتها حدث نوع من التخبط في الموقف، لأنهم كانوا مرتبين أمورهم جيداً ونحن فاجأنا مثل هذا الموقف، بعض الإخوة طالب بالانسحاب، وبعضهم طالب بالرد بعنف، وظهر ارتباك شديد جدا في صفوفنا أمام الناس..

وساعتها التقى الإخوة مع بعضهم واتفقوا أنه لا بُدَّ أن يتم العمل بطريقة مرتبة بينهم وبين بعض، ما يشبه باتحاد الدعاة بين الإخوة الذين يعرفون الآن بشيوخ الدعوة السلفية أو رموزها، وتم الاتفاق على أن الشيخ أبو إدريس هو قيّم المدرسة السلفية، وتواجد العمل في المساجد بالإضافة إلى العمل في الجامعة، وحدثت احتكاكات أقل بعد ذلك لكن بقيت مستمرة.

ولقد تلاحقت الأحداث فدخل عدد من الإخوة السجن ضمن أحداث سبتمبر ١٩٨٠ التي دخل فيها رموز من مختلف الحركات الإسلامية منهم الشيخ أحمد حطية من السلفيين، كما اعتقل الشيخ محمد إسماعيل بعد ذلك، كما اعتقل الشيخ أحمد فريد بسبب رفض حلق اللحية في الجيش، ولم يبق في الخارج إلا الشيخ سعيد عبد العظيم والشيخ أبو إدريس وأنا فتعاوننا في أمر الدعوة بفضل الله عز وجل إلى أن خرج الإخوة المحبوسين.

ظلت الدعوة السلفية وكذلك الإخوان متأثرين بهذه الأحداث حتى من الله علينا في عام ٨٤ وبدأنا العمل حتى قبل الإخوان، واستأنفنا النشاط في الجامعة وكونّا أربع أُسر في كليات الزراعة والتربية والهندسة والطب، وكتبنا عددًا من الرسائل تم توزيعها من خلال هذه الأسر جمعتها فيما بعد في كتاب "معًا على طريق الجنة"، وكان قد سبق خروج "معًا على طريق الجنة" كتاب "فضل الغني الحميد" الذي أعدده في أول الأمر كمذكرة تشمل اختصارًا لكتاب التوحيد لتدريسه للإخوة، وكان هذا في عام ١٩٨٠ قبل الأحداث التي أشرت إليها. اهـ

سلفيات ... لا سلفية واحدة

- استمر الحال هكذا حتى عام ١٩٩٤ ، حيث انتشار الدعوة السلفية - والتي كانت في أول أمرها تسمى بالمدرسة السلفية - في أنحاء محافظات الجمهورية ، وأخذ قادة ودعاة الدعوة السلفية يجوبون محافظات الجمهورية ينشرون المنهج السلفي... ثم كانت القاصمة :
 - غلق معهد الفرقان في باكوس (وهو بمثابة معمل تفريغ سلفيين جدد يحملون اللواء بعد القادة المؤسسين) .
 - إلزام مشايخ الدعوة السلفية كل في محافظته ، وعدم السماح لهم بالخروج خارجها وإلا... .
 - اعتقال بعض الرموز الدعوية أمثال الدكتور ياسر برهامي ، والدكتور سعيد عبد العظيم ، والدكتور محمد عبد المقصود ، الشيخ فوزي السعيد ، والشيخ نشأت أحمد .
 - إيقاف بعض دروس مشايخ السلفية ، خاصة في الإسكندرية .
- كانت هذه القواصم كفيلة بأن تخرج سلفيات أخرى متعددة ، الظاهر أنها على منهج الأوائل المؤسسين ، لكن الباطن أن لها منحى فكري ومنهجي آخر ... وهذه قاصمة أشد ألماً وجُرحاً من الأولى ، ما زال العاملون في الحقل الدعوي السلفي يتجرعون كأسها .
- فكانت :

سلفية الدكتور الشيخ أسامة عبد العظيم

وهو فصيل له اتباعه في شتى محافظات الجمهورية ، وبعض الباحثين يرى أن الاتباع النشيطون في هذا الفصيل يقدرّون بما يزيد عن مائة وخمسين ألف .

" و تتلخص رؤية هذا الفصيل للتغيير السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي في تفسيرهم الخاص لقوله تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" فهم يرون أن الآية تشير إلى أن تغيير واقع الأمة الإسلامية إلى الأفضل لن يتم إلا عندما يغير كل مسلم نفسه وفق معايير الإسلام فيلتزم بتعاليمه و يؤثر في من حوله من أهله و جيرانه و زملاء عمله فيغيروا هم أيضا أنفسهم بنفس الطريقة و بذا ينصلح حال الأمة من وجهة نظرهم، و من أهم معايير الإسلام التي يسعون لتطبيقها في الواقع تنقية الدين مما يروونه من البدع خاصة المرتبطة بالتصوف و الأضرحة و كذلك منع المسلمين من الافتتان بالحضارة الغربية و متركزاتها الفكرية المخالفة للإسلام، و وسيلة التغيير عندهم تنحصر في الدعوة عبر خطب الجمعة و الدروس الدينية في المساجد بالإضافة إلى الدعوة الفردية، و كان هذا الفصيل يقوم بدعوة الناس في الشوارع للصلاة في المسجد و الاستماع لدروس المشايخ (عندما كانت أجهزة الأمن تغض الطرف عن هذا في فترة السبعينات من القرن الماضي) لكنها توقفت عن هذا النشاط في الثمانينات من القرن الماضي تحت ضغط الأمن".(١)

(١) عبد المنعم منيب : خريطة الحركات الإسلامية في مصر ص ٣٠

سلفية الشيخ أسامة القوصي

وهو مؤسس تيار "السلفية القوصية"، وهو تيار شبيه بتيار السلفية المدخلية في الجزيرة العربية الذي ينسب إلى الشيخ ربيع بن هادي المدخلي..

القوصي بدأ حياته صوفيًا، وانضم بعدها وهو في كلية الطب إلى جماعة تكفيرية مع مجموعة من أصدقائه مطلع السبعينيات في جامعة القاهرة، وكان يعتقد أن الدولة بمؤسساتها كافرة، وأن جميع من حوله ليسوا مسلمين، وتأثر كثيرًا حينها بكتب سيد قطب وأبي الأعلى المودودي، وكان هو ومجموعته يصلون في المسجد ويكررون الآية الكريمة: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}، وقوله: { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ } فيضجون بالبكاء؛ لأنهم كانوا يتصورون أن فرعون هو حاكم مصر، وقوات الأمن المركزي هي جنود فرعون الذين يحفرون لهم الأخدود.

كان القوصي على استعداد للموت في سبيل الله فهاجر إلى اليمن ليستكمل مسيرة الجهاد، لكن الأقدار دفعت به إلى مجلس الشيخ مقبل بن هادي الوادعي الذي قلب أفكار الرجل من النقيض إلى النقيض، ومحا من عقله الفكر التكفيري، وسافر معه إلى السعودية، إلا أن الأقدار التي جمعتهم فرقتهم مرة أخرى بعد أن رحلت السلطات السعودية كلا الرجلين إلى موطنهما بعد سجنهما شهرين بسبب مجموعة جهيمان العتيبي التي كانت تحيط بالوادعي قبل تنفيذ حادثة الحرم، ثم رحل كل من القوصي والوادعي إلى بلديهما قبل حادثة جهيمان العتيبي بشهرين تقريبًا.

القوصي الذي ترك مصر وهو يرى أن حاكمها فرعون، وأن جنود الأمن المركزي هم أصحاب الأخدود، رجع إليها وهو يرفع الشعار المصري العريق (أعطِ العيش لخبازه "الحاكم" حتى لو أكل نصفه)، كما يكرر كثيراً في محاضراته ورجع لينادي "إمام غشوم خير من فتنة تدوم"، و"إمام ظالم وجائر يضرب ظهور الناس ويأخذ أموالهم خير من فتنة تدوم"، ويدعو إلى محاربة المظاهرات والإضرابات والقلاقل والانقلابات؛ لأن أهل البدع لا يعيشون إلا في إثارة الفتن، وأهل السلف يدعون إلى الأمن والأمان.

ويقول الرجل إن ما يدعو إليه هو السلفية الطيبة النقية التي ليست جماعة أبدان، بل هي جماعة أفهام، وليست جماعة بشرية وضعها بشر لا عصمة له، ويرى أن كل الجماعات دعوات جاهلية يجب أن تترك «دعوها فإنها منتنة»، حتى لو غررت بالشعارات الإسلامية، فالمهاجرون والأنصار أسماؤهم منزلة من عند الله، لكنهم كادوا أن يتحزبوا على أساسها لولا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) حذرهم، فالجماعة المسلمة جماعة واحدة لا جماعات، وصراط واحد لا عشرات، وسبيل واحد وليس سبلا، ومن معالم المنهج السلفي تجمع المسلمين على ولاية أمورهم، وإن خالفوا الحق، لكنهم لا يسكتون على الفساد ولكن يقومون بإصلاحه، فالجماعة هي الحق، والجماعة هي السلطان.

والسلفية التي تعترف بالحاكم ولا ترى الخروج عليه لكن من جهة أخرى لا تعترف بمؤسسات الدولة الأخرى كمنصب المفتي وشيخ الأزهر هي خارجة عن النظام أيضاً ويجب التصدي لها؛ لأنها تنازع الأمر أهله، فلو قال المفتي علي جمعة إنه لم تتم رؤية الهلال نقول له حاضر؛ لأن يد

الله مع الجماعة، لكن الأهم من العبادات هي الأمور التي تتعلق بما يعم به البلوى، قال تعالى: {إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}.
كما أن الرجل لا يؤصل لدعوته شرعياً فقط لكن عقلياً كذلك؛ لأن العقل له منزلة مقدمة في الإسلام، فيتساءل: ماذا يستفيد الناس من مهاجمة الحكام والسلاطين؟ أصلح نفسك أولاً وبيتك.. نحن نتحدث عن إصلاح الكون ولا نحسن الوضوء وخلافاتنا الدائرة في بيتنا لا نستطيع إصلاحها.. فلنبداً حيث بدأ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

وينعكس هذا المنهج "الأصل" عند القوصي على الفرعيات الأخرى، فبما أنه ليس لأحد أن يخرج عن فتوى علماء البلد الرسميين؛ لأن هذا نظام جمهورية مصر العربية، فإن فوائد البنوك حلال ليس لأنه يرى أنها حلال، بل لأن مفتي البلاد قال ذلك، وعندما يحلل المفتي البنوك فليس لأحد منا أن يفتات أو أن يخرج عليه "ومن يقدر في الشيخ علي جمعة - حفظه الله وأطال عمره وحسن من عمله- فهو على طريق يشبه طريق الخوارج".

ولأن القوصي يرى أن محور الجماعة المسلمة هي الدولة والسلطان فإنه يحارب أي عمل جماعي خارج على نظام الدولة، ويناهض الجماعات الإسلامية والحزبية؛ لأنها في رأيه ضد مفهوم الجماعة ومن ثم فهم خوارج على النظام ومبتدعة في الدين، وحربه ضدهم تهدف إلى إنهاء التفرق في الأمة والتفافها حول سلطانها.

إلا أن القوصي يعتبر أن أخطر جماعة على الإسلام هي جماعة "الإخوان المسلمين" إلى الدرجة التي وصفها في محاضرة له بأنها "فكرة

شيطانية"، ومن تحت عباءتها خرجت جماعة الجهاد، والتكفير والهجرة، وحزب التحرير، والجماعة الإسلامية.

ودعا الرجل صراحةً وعلناً وفي أكثر من موضع لحظرها عملياً، إضافة إلى حظرها قانونياً لمنع أسباب الإرهاب الفكري، كما دعا إلى منع نشر كتب سيد قطب وأبي الأعلى المودودي، إلا أنه يلتمس للنظام العذر في عدم استئصالها نهائياً؛ لأن الإخوان مخترقون -حسب رأيه- لكل مؤسسات الدولة؛ ولذا فليس من السهل أن يقتلع الإخوان من البلد لأنهم "إخطبوط وسرطان"، لكنه دعا الجميع إلى التعاون في استئصال "الإخوان المسلمين".

ويدافع الرجل عن الحكومات التي لا تحارب المتدين -حسب رأيه- بل تحارب الجماعات.. ويتفهم استدعاء أجهزة الأمن له من آن لآخر واحتجازه في المطار ساعتين إياباً وساعتين ذهاباً، ويقول: لا بد أن يكون الأمر معروفاً لأولي الأمر.. ماذا أدرس؟ وأين أدرس؟ وهذا حقهم كولاية أمر معرفة ما يجري في البلاد، وأنا أقول لهم شكراً وهم يعتذرون لي وأنا أقول لا تعتذروا.. البحث عن إرهابي في وسط ٨٥ مليون مصري يقتضي أن يتعرض الـ ٨٥ مليون إلى مشكلات لكن لصالحهم.

وعلاقة القوصي برموز السلفية الأخرى ليست جيدة؛ فيكاد يكون قد هاجم كل الرموز السلفية المعروفة في مصر الوعظية منها والحركية، ويؤكد دوماً أنه لا يهاجم أشخاصاً بل يهاجم بدعاً وضلالات، حتى إنه هاجم الفضائيات السلفية التي انتشرت مؤخراً، ورفض اسم الفضائيات الإسلامية؛ لأنه ليس هناك إسلام ٢٤ ساعة، فهذا لم يكن على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنه ملل..

كما أن مشايخ السلفية المنتشرين في الفضائيات لم يسلموا من سخرية القوصي الذي وصفهم بأنهم مشايخ صدفة لا يملكون مؤهلا غير الغطرة واللحية، وقال ذات يوم عنهم: "ولو أراد أحدهم أن يشتغل عندي سمكيا لرفضت".

كما سخر القوصي من الهدف الربحي لتلك الفضائيات وقال عنها إنها لا هم لها إلا تحصيل الأموال والإعلانات، فإذا الشيخ فلان مرض يقومون بالإعلان عن مرضه لتتوالى بعدها الرسائل غير المجانية تقول: "شفاك الله يا شيخ"، ثم يتبعه إعلان: "تشرف قناة كذا الذي يديرها الشيخ فلان بالإعلان عن "الغسالة الإسلامية".. غسالة زمزم المباركة.. توفير الطاقة؛ لأن الله سيسألنا عن المال.. البطانية الإسلامية التي تشع الدفء والحرارة والمودة والرحمة"، ويدعو القوصي إلى مشاهدة باقي الفضائيات؛ لأنها مفيدة حتى لو كانت تحتوي على الموسيقى؛ لأنها حلال عند الشيخ ويجد فيها النافع كما أن فيها الضار.

الواقعية السياسية جزء مهم ومفتاحي لقراءة عقلية القوصي؛ فالجهاد عند الرجل يرتبط بالمصلحة من ورائه، ويخضع لمعايير الخسارة والربح؛ لأن الغرض في النهاية هو النفع؛ ولذلك فالرجل شديد النقد والهجوم على الحركات الجهادية في العالم وحتى المقاومة في فلسطين؛ لأنها لا تحكم هذا المعيار، ووصفهم بأنهم حمقى ومغفلون، ونزع عنهم صفة المصلحين.

وذهب الرجل إلى حث حماس على قبول الصلح مع إسرائيل، كما فعل السادات، واستشهد بصلح الحديبية التي كان فيها إجحاف بالنبي، لكن النبي قبله؛ لأنه لم يكن قد تمكن من مقومات النصر بعد، والحال نفسه الآن بيننا وبين اليهود؛ فهم الأقوى ونحن الأضعف.

والقوصي يرى أن الجهاد في زماننا من فروض الكفايات؛ لأن هناك جيشاً لكل بلد والجيش يسد هذا الواجب العيني، ولو قلت إن هذا الجيش جيش الطاغوت ستكون دخلت في عقيدة الخوارج حتى في جهاد الدفع والطلب؛ لأن الجيش المصري هو الموكل عنا وعليه الدفع حتى لو دخل العدو إلى البلاد.

وتأتي آراء الرجل السياسية منسجمة مع هذه القاعدة؛ فلا يكل من المهجوم على حماس والحلف السوري الإيراني، ويرى فيهم محور شر يريدون أن يورطوا بلادنا في الفوضى.

بينما يرى أن أوباما رجل عاقل "فرح العقلاء في كل الدنيا بعقله" أما الحمقى فهم الذين يرفضون ما قاله جملة وتفصيلاً.. وأيد القوصي كلام أوباما عن الهولوكوست؛ لأننا كمسلمين مشفقون على كل من قتل من اليهود، لكن يختلف معه لأن الأمريكيان لا يقبلون أن تقام دولة لليهود في أمريكا، لكن لا يستطيع أوباما أن يذكر ذلك، وختم حديثه عنه بقوله: "أوباما رجل متسامح.. رجل عاقل، وهو من بلد فيه اختلاف وفيه تعدد، نسأل الله أن يسخره، وأن يجعله سبباً في الأمن والسلام في العالم، وأن يجعله سبباً في إنشاء دولة فلسطينية يعيش فيها الفلسطينيون آمنين مستأمنين".

وأخيراً ظهر القوصي في الفضائيات العلمانية الليبرالية وشارك في برامج حوارية، يديرها نساء متبرجات، وأعلن صراحةً أنه لا مانع من تولي النصراني حكم البلاد، وما علينا ساعتئذ إلا السمع له والطاعة!!

سلفية الشيخ أبي إسحاق الحويني

واسمه حجازي محمد يوسف شريف (وإسحاق هذا ليس بولده، إنما تكنّى الشيخ به تيمناً بكنية الصحابيِّ سعد بن أبي وقاص وكنية الإمام أبي إسحاق الشاطبيّ).

ولد يوم الخميس غرة ذي القعدة لعام ١٣٧٥هـ، الموافق ١٩٥٦م بقرية حوين مركز الرياض. محافظة كفر الشيخ. بمصر.

ولد الشيخ في أسرة ريفية بسيطة لا تعرف إلا الزراعة، وما كانت فقيرة ولا غنية، ولكنها كانت متوسطة الغنى، لها وجاهتها في القرية واحترامها، بسبب معاملتها الطيبة للناس و ما اشتهر عن الأب من حُسن خُلُقهِ، وقد كان متزوجاً بثلاث (كان الشيخ من الأخيرة وكان الأوسط -الثالث- بين الأبناء الذكور الخمسة) و كان متديناً بالفطرة -كحال عامة القرويين آن ذاك- يحبّ الدين.

أدخل الشيخ المدرسة الابتدائية الحكومية غير الأزهرية بقرية مجاورة (الوزارية)، تبعد حوالي ٢ كم عن حوين، مضى فيها ست سنوات، وانتقل إلى المرحلة الإعدادية في مدينة كفر الشيخ (تبعد عن حوين ربع الساعة بالسيارة). بمدرسة الشهيد حمدي الإعدادية، بدأ في السنة الأولى منها كتابة الشعر، ومنها إلى المرحلة الثانوية بالقسم العلميّ بمدرسة الشهيد عبد المنعم رياض الثانوية. ولبعد المسافة، أجروا (الشيخ وإخوته) شقة في المدينة، يذهبون إليها في بداية الأسبوع ومعهم ما زودتهم به أمهم (الزّوادة) و نصف جنيه من أخيهما الأكبر.

بعد إنهاء الدراسة الثانوية حدث جدال حول أيّ الكليات يدخل الشيخ، فتردّد بين كليات حتّى استقر على كلية الألسن قسم اللغة الإسبانية بجامعة عين شمس بالقاهرة، والتي لم يخرج عن الثلاثة الأول في السنين الثلاثة الأولى وفي الرابعة نزل عنهم، وتخرّج فيها بتقدير عام امتياز. وكان يريد أن يصبح عضواً في مجمع اللغة الأسباني، وسافر بالفعل إلى أسبانيا بمنحة من الكلية، ولكنه رجع لعدم حبّه البلد هناك.

سافر الشيخ في أواخر العام الأخير من الدراسة الثانوية (سنة ١٣٩٥هـ / ٧٤-١٩٧٥م) إلى القاهرة ليذاكر عند أخيه، وكان يحضر الجمعة للشيخ عبد الحميد كشك في مسجد 'عين الحياة'. ومرة، وجد بعد الصلاة كتاباً يُباع على الرصيف للشيخ الألباني كتاب "صفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها"، فتصفّحه ولكنه وجد غالياً (١٥ قرشا) فتركه ومضى، حتّى وقع على التلخيص فاشتراه، فقرأه ولما أنهى القراءة، وجد أنّ كثيراً مما يفعله الناس في الصلاة وما ورثوه عن الآباء - متضمناً نفسه، خطأً ويصادم السنة الصحيحة، فصمّم على شراء الكتاب الأصلي، فلمّا اشتراه أُعجب بطريقة الشيخ في العرض وبالذات مقدمة الكتاب، وهي التي أوقفته على الطريق الصحيح والمنهج القويم منهج السلف، والتي بسط فيها الشيخ الكلام على وجوب اتباع السنة ونبذ ما يخالفها ونقل أيضاً كلاماً عن الأئمة المتبوعين إذ تبرؤوا من مخالفة السنة أحياء وأمواتاً. وقد لفتت انتباهه جداً حواشي الكتاب - مع جهله التام في هذا الوقت بهذه المصطلحات المعقدة بل لقد ظلّ فترة من الزمن - كما يقول - يظنّ أنّ البخاريّ صحابيّ لكثرة ترضّي الناس عليه -، فهو،

وإن لم يكن يفهمها، إلا أنه شعر بضخامة وجزالة الكتاب ومؤلفه، وصمّم بعدها على أن يتعلم هذا العلم علم الحديث.

توالت الأيام، ودخل الجامعة، وبدأ يبحث عن كتب في هذا العلم، فكان أول كتاب وقع عليه كتاب "الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية" للإمام الشوكاني، فهال الشيخ ما رأى، لقد رأى أن كثيراً من الأحاديث التي يتناولها الناس في حياتهم لا تثبت عن النبي، فعكّر ذلك عليه استمتاعه بخطب الشيخ عبد الحميد كشك، فأصبح لا يمرّ به حديث إلا ويتشكك في ثبوته.

حتى كان يوم، وكانت جمعة عند الشيخ كشك فذكر حديثاً تشكك الشيخ فيه، فبحثه فوجد أن ابن القيم ضعفه، فأخبر الشيخ كشكاً بذلك، فردّ وقال بأن ابن القيم أخطأ، ثم قال كلمة كانت من المحفزات الكبار له لتعلم الحديث والعلم الشرعيّ، قال: يا بني! تعلم قبل أن تُعلم.

يقول الشيخ أبو إسحاق: فمشيت من أمامه مُستخزياً، كأنما ديكٌ نقرني! وخرجت من عنده ولديّ من الرغبة في دراسة علم الحديث ما يجلّ عن تسطير وصفه بناني.

أخذ الشيخ يسأل كلَّ أحد عن أحد من المشايخ يعلمه هذا العلم أو يدلّه عليه، فدلّوه على الشيخ محمد نجيب المطيعي. وأخذ يبحث أكثر عن كتب أكثر، فوقع على المئة حديث الأولى من كتاب "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة" للشيخ الألباني، فوجد أن الشيخ كان يركز على الأحاديث المنتشرة بين الناس والتي لا تصحّ.

لاحظ الشيخ أن أحكام الشيخ على الأحاديث ليست واحدة، فمرة يقول منكر ومرة يقول ضعيف ومرة باطل، فأخذ يبحث وينقبّ كي

يفهم هذه المصطلحات ويفرق بين أحكام الشيخ على الأحاديث، وسأل الشيخ المطيعي، فدلّه على كتابه "تحت راية السنة: تبسيط علوم الحديث"، فأخذه الشيخ وعرف من حواشيه أسماء كتب السنة وأمهات الكتب التي كان ينقل منها الشيخ، ومعاني المصطلحات.

يقول الشيخ: مكثت مع الكتاب (كتاب الشيخ الألباني) نحو سنتين كانت من أفيد السنين في التحصيل. اهـ.

ذهب الشيخ لمجالس الشيخ المطيعي في بيت طلبة ماليزيا بالقرب من ميدان عبده باشا بالعباسية. فأخذ عليه شروح كلّ من: صحيح البخاري، المجموع للإمام النووي، الأشباه والنظائر للإمام السيوطي، وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي. ولزم الشيخُ الشيخَ المطيعي نحوًا من أربع سنوات حتّى توقفت دروسه بسبب الاعتقالات الجماعية التي أمر بها السادات، فرحل الشيخ المطيعي إلى السودان، ثمّ المدينة النبوية وتوفيّ هناك ودفن بالبقيع.

وحضر دروسًا للشيخ سيد سابق -رحمه الله- بالمعادي. وأخذ على بعض 'شيوخ الأعمدة' في الجامع الأزهر، في أصول الفقه واللغة والقراءات، ولكن ليس كثيرًا. وأخذ بعض قراءة ورش على خاله -رحمه الله- (وكان مدرس قراءات).

وفي سنة ١٣٩٦هـ قدم الشيخ الألباني لمصر، وألقى محاضرة في المركز العامّ لجماعة أنصار السنة المحمدية بعابدين، ولكنّه رحل ولم يقابله الشيخ.

وكان قد نشر للشيخ كتاب "فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب"، وكان الشيخ الألباني يقول: ليس لي تلاميذ (أي: على طريقته في التخريج والنقد)، فلما قرأ الكتاب قال: نعم (أي: هذا تلميذه).

سافر الشيخ إلى الشيخ الألباني في الأردن أوائل المحرم سنة ١٤٠٧هـ وكان معه لمدة شهر تقريباً كان - كما يقول - من أحسن أيامه وبذلك أصبح تلميذاً نجيباً له لشهر قضاء مع الشيخ الألباني.

وقد قابله مرة أخرى في موسم الحج في الأراضي المقدسة سنة ١٤١٠هـ، وكانت أول حجة للشيخ وآخر حجة للشيخ الألباني، وآخر مرة رآه الشيخ فيها.

فعلى هذا، فإنَّ الشيخ لم يلق الشيخ الألباني إلا مرتين سجل لقاءاته وأسئلته فيهما على أشرطة 'كاسيت' ونشرت هذه اللقاءات باسم "مسائل أبي إسحاق الحويني"، وهاتفه بضع مرات. فأخذ علمه عن الشيخ من كتبه ومحاضراته المسموعة، ومن هاتين المرتين. وذهب الشيخ إلى المملكة العربية السعودية، فأخذ عن:

الشيخ عبد الله بن قعود. حضر بعض مجالس في شرح كتاب "الكافية في الجدل" للإمام الجويني، وكان يقرأ عليه آنذاك الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- .

الشيخ ابن باز. حضر بعض مجالس في مسجده المسجد الكبير في شروح لكتب: "سنن النسائي"، "مجموع الفتاوى" للإمام ابن تيمية، و"كتاب التوحيد" للإمام محمد بن عبد الوهاب .

كما قابل الشيخ محمد بن صالح العثيمين في الحرم، ودخل غرفته الخاصة وسأله عن بعض مسائل .

وللشيخ خطبتان في كلّ شهر عربيّ، الجمعة الأولى والثالثة، ومحاضرة كلّ يوم اثنين، بين المغرب والعشاء، وكلّهم في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بمدينة كفر الشيخ.

وللشيخ محبون واتباع داخل مصر وخارجها خاصة في المغرب العربي ، ومثله مثل الباقيين لم يسلم منهجه من النقد والطعن ، حتى وصل إلى التبذير والتشهير به في المحاضرات والكتب والرسائل المؤلّفة فقال فيه الشيخ عبد المالك رمضاني صاحب كتاب " مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية":

(السائل: كلمة في منهج الشيخ أبي إسحاق الحويني حتى يكون لنا منك سند عال.

الشيخ: أما الشيخ أبي إسحاق الحويني فأنا أخشاه على مصر كما كنت أخشى على أهل بلدنا الجزائر "علي بلحاج"، يتبع نفس المنهج في الإثارة والدغدغة بالعواطف، وكثرة التهيج السياسي، هذا يظهر في الخطب أكثر منه في الدروس والمحاضرات، ولعل السائل [...] يجد ذلك واضحاً مسموعاً، خطب تخالف السنة: ساعة وساعتين، ثم محتوى فارغ كله حديث عن الوزراء والمسؤولين، وتضييع وقت المسلمين في .. في التحريش السياسي، هذا لا يفيد كما تعلمون، وهذا من باب الأمانة في دين الله -عز وجل- ذكرناها) اهـ منقول من شبكة سحاب السلفية .

وما زال الشيخ توجه له الطعون والافتراءات مرة على أنه قطبي ، أي يقول بمقولة سيد قطب "أخص خصائص الألوهية هي الحاكمية " ، ومرة أنه من الخوارج لأنه يكفر بالمعصية ، ومرة أنه سروري ، ومرة أنه جهمي .

وهكذا أنت ترى أصحاب الدعوة السلفية نفسها منقسمون فيما بينهم ، ناهيك عن خطباء الدعوة ووعاظها أمثال الشيخ محمد حسان ومحمد يعقوب و محمد الزغي ومحمد سعيد رسلان ومصطفى العدوي كلُّ له اتباع وجمهور ومحبون في مصر وخارج مصر ، ومن شاهد قناة الرحمة والناس والحكمة يرى مدى تأثير هؤلاء المشائخ عند جمهور المشاهدين .

وأيضاً هم لم يسلموا من الطعون والاتهامات من دعاة وطلبة علم سلفيين - هكذا يدّعون - في مصر وخارج مصر .
فألف بعضهم " حقيقة التوحيد عند محمد حسان " وهو كتاب يقع في ١٢٤ صفحة ، فيه بعض النقد والطعن الموجه لمحمد حسان ، وأنا هنا أنقل بعض عناوين فصول الكتاب :

- مخالفات حسان في مبحث لا إله إلا الله ص ٤٩
- موقف محمد حسان من حكام المسلمين ص ٦١
- قطبية لا سلفية ص ٦٩
- شبهات حسان حول تحكيم القوانين ص ١٠٥
- ووجه له أحد قادة أنصار السنة (أصل السلفية في مصر) وهو محمود لطفي عامر رئيس جمعية أنصار السنة بدمنهور بعض الأسئلة :
- ما هو موقفك من فكر سيد قطب؟ والجماعات الحزبية الدعوية كالإخوان المسلمين والمدرسة السلفية الإسكندرية إلخ ؟
- ما هو موقفك من ولاية حاكم مصر ؟
- هل توجد جماعة في مصر أم لا؟

- ومن إمامها
- وله السمع والطاعة في المعروف أم لا؟
- ثم ما هو موقفك مما ذكرته في هذا الكتاب بصفة عامة؟
- هل تزكى الجماعات الحزبية كالإخوان والجهاد والمدرسة السلفية بالإسكندرية... الخ؟

فإن أجاب وأفصح محمد حسان عما وجه إليه ووافق السنة وتراجع عن خطئه فيها ونعمت ، وحينئذ لا يطبع هذا الكتاب إلا ومعه إشارة المراجعة ، وتوجيه الشكر والاحترام والتقدير ، ورفع الألفاظ الشديدة التي قد تكون قد دخلت في سياق الرد . اهـ

هذا المشهد الممزق لاتباع الدعوة السلفية ، وكثرة انقساماتهم على أنفسهم ، وكثرة السلفيات الفرعية هذا ببعض قادة السلفيين القدامى أمثال الشيخ سيد غباشي أن يعتزل العمل الدعوي ، ويقتصر على دروسه المنهجية في مسجده ، مسجد أحمد ابن حنبل في منطقته بولكلي بالإسكندرية

وغباشي من الرعيل الأول للدعوة السلفية بالإسكندرية ، وهو صاحب الطاقية السوداء في المناظرة الشهيرة في برنامج " ندوة للرأي " وهو صاحب كتاب " سعة رحمة رب العالمين " .

هذا المشهد المفتت ، لا ندري من السبب فيه : هل الأمن هو السبب ؟ أم المشايخ أنفسهم ؟ أم اختلاف الرؤى مع تطور الزمن وحاجة كل عصر لسلفية جديدة ؟ أم حب الرياسة والزعامة؟
أم ماذا ... الله أعلم .

هل السلفية تنظيم ؟

تمثل قضية "التنظيم" إشكالية كبيرة عند دراسة الحالة السلفية في مصر، فبالرغم من اتساع الرقعة التي يشغلها السلفيون المصريون من الخارطة الإسلامية في هذا البلد، فإن أصحاب هذا الحيز موجودون بلا تنظيم هرمي ينخرطون فيه ويسير شئون دعوتهم.

وعلى عكس "الإخوان" و"الجماعة الإسلامية" و"الجهاد" و"حزب التحرير" و"التبليغ" ليس في أدبيات السلفيين كلمة "تنظيم" على الإطلاق، بل يستعيضون عنها بمصطلح "العمل الجماعي"، ويرون ذلك تحصيل حاصل؛ لأن كلمة "جماعي" تعني عندهم عن كلمة "تنظيمي".

أما تعريفهم للعمل الجماعي فهو: "التعاون على ما يُقدر عليه من إقامة الفروض الكفائية مثل الأذان، وصلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، والأعياد، والدعوة إلى الله، والقيام على حقوق الفقراء والمساكين، وتعليم المسلمين وإفنائهم بمقتضى الشرع، وسائر ما يقدر عليه من فروض الكفايات".

ولأصحاب هذا المنهج تأصيل شرعي في كافة تفرعات العمل التنظيمي، مثل: البيعة، والسرية، والشورى، ووجود الإمام من عدمه، وأيضا قضية "المسمى"، وهم يستمدون موقفهم في العمل الجماعي (التنظيمي) من فتاوى وكتابات عدد من العلماء القدامى مثل ابن تيمية، والإمام الجويني، والعز بن عبد السلام، ومن العلماء المعاصرين الإمام الألباني، وعبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، وعبد الرحمن بن عبد الخالق، الذي يقول في كتابه "أصول العمل الجماعي":

"إن أي جماعة تجتمع على مقتضى الكتاب والسنة والالتزام بإجماع الأمة، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم هي جماعة مهتدية راشدة ما دام أن اجتماعها وفق هذه الأصول ووفق قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: ٢]"، ولا يفرق عبد الخالق في تأسيس الجماعات بين حالتي حضور الإمام وغيبته، مؤكداً "أن وجود الإمام العام لا يلغي وجود الجماعة الصغرى، وجماعة الدعوة والبر والإحسان.. فإذا كان الإمام العام راشداً قائماً بالحق فإن الجماعة الصغرى سند له وقوة".

وبشكل عام يرى السلفيون جواز ومشروعية العمل الجماعي (المنظم)، بشرط تحقيق المصلحة ودفع المفسدة، وهو ما يلزم عندهم أشياء منها: عدم المصادمة مع الحكومات المدنية؛ لأن ذلك يجر على الدعوات كثيراً من المفاسد ويجعل الناس تستهين بدماء المسلمين، والبعد عما يفهم منه خطأ البيعة والسرية حال التمكن من الجهر بالدعوة، فتكون السرية حينئذ مخالفة للمقصود من الدعوة، وعدم التعصب للجماعة، بل يكون التعصب للحق.

البيعة والسرية والخروج على الحاكم

وفي إطار الجدل حول "البيعة" المعروفة لدى "الإخوان" و"الجماعة" و"الجهاد"، وقضايا أخرى مثل "السرية" و"الخروج على الحاكم"، يرى السلفيون أن البيعة ليست شرطاً للعمل الجماعي، بل يرون إمكانية وجود عمل جماعي بغير بيعة، وكذلك عمل جماعي علني غير سري، وأيضاً من دون خروج على السلطات القائمة، بل يرون أن هذا هو الأصل والأكثر شيوعاً لديهم.

فقد سئل الشيخ ياسر برهامي - أحد أبرز رموز السلفية في مصر - عن رأيه في البيعة التي تأخذها الجماعات لقادتها؟

فأجاب: "أقول بلا مداراة، ولا مDAHنة، ولا كذب لمصلحة الدعوة، ولا تعريضاً - كما يحاول البعض أن يتهمنا - ليس عندنا بيعة، وإنما نرى تحقيق التعاون على البر والتقوى.. وأن هذا لازم لنا من غير بيعة، و(البيعة) أمر حصل فيه نوع من الخلل في الفهم؛ لأن البيعة التي رآها بعض العلماء جائزة على الطاعات أو مشروعة، ظنها الناس أنها بالمعنى السياسي، وتحولت على يد الإخوان من بيعة تشبه البيعة الصوفية إلى البيعة السياسية، وأصبح المرشد بمقتلة الإمام والحاكم على أفراد الجماعة".

ويفرق بين معان مختلفة للبيعة بعضها سياسي "وهذا يكون للإمام الممكن"، لكن هناك بيعة أخرى على الطاعات، ويضرب برهامي مثلاً لذلك بالمبايعة على إقامة الصلاة، حيث إن "الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يبايع الناس على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وهو أمر مشروع إذ هو نوع من العهد، كأن أقول لك مثلاً: عاهدي بأن تحافظ على صلاة الجماعة، عاهدي على أن تحقق التعاون على البر والتقوى، عاهدي بأن تحافظ على طلب العلم".

وبالنسبة لـ "العلنية" فهي اختيار فكري لدى السلفيين، غير متأثر بالظروف الأمنية أو غيرها؛ لأن "السرية" كمبدأ عندهم مرفوضة تماماً، رغم كونهم يعترفون بأنها (السرية) منهج نبوي قديم، كما كان عليه الحال في دار (الأرقم بن أبي الأرقم) ودعوات الأنبياء في كثير من الأحيان، وقد سئل الشيخ ياسر برهامي عن شعار (السلمية والعلنية) الذي رفعه السلفيون، فذهب إلى: "أن الأصل في الدعوة العلن والبيان، ونحن في

واقعنا لا نحتاج إلى سرية، وقد تمكنا من الدعوة العلنية بحمد الله"، وبالنسبة للسرية يوضح: "فهي سرية وهمية أضر من العلنية"، أما (السلمية) فيها يحصل أنواع من الخير ودفع الشر لأهل الإسلام، لكن "لا يعني ذلك أن كل أحوال المسلمين في كل مكان وزمان كذلك، فنحن لا نبطل الجهاد بالقوة والسنان، وموقفنا واضح من الجهاد في بلاد المسلمين التي نزلها الأعداء، كأفغانستان والبوسنة وفلسطين والشيشان والعراق"، على حد قوله.

رؤية التغيير تحكم رؤية التنظيم

يرى السلفيون أنهم ليسوا بحاجة إلى ما اصطلح على تسميته بـ "التنظيم"؛ نظراً لأن جل دعوتهم منصب على العمل التربوي والدعوي داخل المساجد، وبالتالي فوحدة العمل عند السلفيين لا تحتاج إلى قدر كبير من العمق التنظيمي، حيث لا حاجة لأجنحة سياسية وأخرى اقتصادية، ونحو ذلك مما "يغري" الأحزاب والجماعات السياسية، ولعل طبيعة العمل السلفي الذي يتعد عن السياسة ومعاركها، جعل اهتمام السلفيين موجهاً بالأساس إلى تربية الأفراد، ورفع مستواهم العلمي (الديني)، وقدرتهم على رؤية الواقع وقياسه بمقاييس شرعية.

ولعل ما سبق يفسر لنا طبيعة الحركة السلفية وعملها في الإسكندرية؛ إذ كان منصباً بالأساس على نشر المنهج السلفي من خلال الدروس والندوات والدورات العلمية، ومن ثم تحول اسم الجماعة إلى "الدعوة السلفية"؛ رغبةً في توسيع المساحة التي يتحرك فيها الدعاة السلفيون والعمل من خلال مساحات دعوية مختلفة، مثل أوساط الشباب بالجامعات، وداخل المناطق السكنية.. ولم يتوقف النشاط السلفي في

الإسكندرية على الجوانب التعليمية والدعوية فحسب، بل تعداه إلى جوانب اجتماعية وإغاثية ككفالة الأيتام والأرامل، وعلاج المرضى، وغير ذلك من النشاطات.

وقد استلزم الانتشار السريع للفكرة السلفية قدرا من السعي نحو ترتيب العمل سواء داخل الإسكندرية أو خارجها، لاسيما مع ازدياد أعداد المنتسبين للدعوة والمتأثرين بمنهجها.

إشكاليات في العمل التنظيمي

لا يُخفي السلفيون أن العائق الأمني وما قد يجره من اتهامات وملاحظات كان نصب أعينهم وهم يتخلون طواعية عن العمل التنظيمي، مبتعدين بمنهجهم عن مسلك باقي الجماعات الإسلامية، وهم يعتبرون في ذلك بتجارب تاريخية مأساوية مرت على المجتمع المصري، وكانت نتيجتها سيئة على صحة العمل الإسلامي، ليس في مصر وحدها بل في العالم، فهم يعدون العامل الأمني أحد العوامل التي تؤثر في رؤيتهم للتنظيم، وإن كان ليس العامل الوحيد.

ولقد كانت للدعوة السلفية في الإسكندرية تجربة عملية في هذا الاتجاه أواخر ثمانينيات وأوائل تسعينيات القرن الماضي، حين استفز توسعهم الأجهزة الأمنية التي شرعت في التضييق عليهم، محاولة تفكيك الروابط التنظيمية لهذا التجمع الأصولي، وبلغ هذا التضييق ذروته في القضية التي تم فيها توقيف الشيخ عبد الفتاح أبو إدريس - قيم الدعوة السلفية (أي مسئؤها) - والدكتور سعيد عبد العظيم عام ١٩٩٤، وهي القضية التي تم فيها وقف مجلة "صوت الدعوة" وإغلاق معهد إعداد الدعاة المعروف بـ(معهد الفرقان) أمامهم، وهو الذي أنشأته الحركة وظل

شيوعها يشرفون عليه باعتباره أول مدرسة منهجية سلفية لتخريج الدعاة السلفيين.

الدكتور ياسر برهامي من جانبه نفى أن يكون قد تم إيقاف جميع أنشطة الدعوة كاملة في عام ١٩٩٤ .. مؤكداً في تصريحات سابقة له أنه "بقي العمل مع الجامعة والطلّاع، وهو لم يتم الاعتراض عليه (من قبل الأمن) وظل مستمرا حتى سنة ٢٠٠٢"، وهو العام الذي تم فيه إيقاف العمل في الجامعة والطلّاع والعمل خارج الإسكندرية، وقد كان السفر والتنقل ممنوعاً على الدعاة السلفيين خارج الإسكندرية منذ أواسط التسعينيات.

وإلى جانب الحاجز الأمني يذهب السلفيون إلى أن ظروف النشأة لديهم - التي تختلف عنها لدى الإخوان - سبب آخر جعلهم لا يفكرون في مسألة التنظيم، فبينما أتاحت نشأة الإخوان القديمة تاريخياً فرصة أكبر من أجل تنظيم صفوفهم وترتيب وظائفهم وواجباتهم والتزاماتهم الإدارية، لم تكن نشأة السلفية الحركية لتهيئ جواً مساعداً للتنظيم، وهم يرون أن الواقع الحالي لا يسمح بأي صورة من صور التنظيمات السلفية، في حين تم التعامل مع الإخوان كأمر واقع مع محاولات عديدة لاستئصالهم لا تنجح غالباً؛ لأن التنظيم عند الإخوان قديم قدم دعوتهم ذاتها.

وفي حين تمثل قضية (السمع والطاعة) عاملاً رئيسياً في الانضباط التنظيمي لدى الإخوان، يعول السلفيون على تقديم الدليل (الشرعي)، والنظرة الإسلامية الأصيلة للعلماء والدعاة من حيث احترامهم وتوقيرهم، مما يجعل جبههم وطاعتهم لازماً من لوازم التعاون على البر يقوي البناء

الروحي بين عناصر الحركة، وإن كان يلغي الارتباط التنظيمي أو على الأقل يضعفه.

السلفية حالة دينية لا تحتاج لـ(تنظيم)

يؤرخ جمال سلطان - الكاتب والمراقب الإسلامي - لفكرة "التنظيم" التي تمثل تراثا حديثا تاريخيا للحركة الإسلامية، بحركة الشيخ حسن البنا رحمه الله، إذ لم يُعرف التنظيم في التاريخ الإسلامي إلا لدى أصحاب العقائد الجديدة التي كانت تريد منازعة الأمة، ولم يكن ثمة ضرورات أو احتياجات لها حينئذ.

أما بالنسبة للدعوة السلفية فهي في نظر سلطان حالة دينية في عمومها تهتم بالأبعاد العلمية والدعوية والتربوية، وهذه لا تحتاج إلى تنظيمات ولا عمل تنظيمي، والسلفيون ليس لهم مشروع حركي - كما يرى - وليس لهم خبرات تنظيمية، ولا يوجد لديهم أي تفكير في عمل تنظيم في مصر؛ لأنه ليس لهم مشروع سياسي (على الأقل حالياً)، والتنظيم إنما يوجد فقط عندما يكون للجماعة مشروع سياسي أو أجندة سياسية تعمل وفقها.

وبشأن الفارق بين السلفيين وجماعات إسلامية أخرى كـ"الإخوان" و"الجماعة الإسلامية" و"الجهاد" في وجود التنظيم الهرمي، يربط سلطان ذلك بوجود المشروع السياسي لهذه الجماعات والتنظيمات متأثرة بخبرات عصرية في هذا المجال.

ومن جهته يرجع الدكتور عمرو الشوبكي - الباحث بمركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية - عدم وجود تنظيمات سلفية في مصر إلى أن السلفية ظهرت بينما كانت هناك تنظيمات عديدة مؤثرة موجودة على

الساحة كالأخوان والجهاد والجماعة الإسلامية، بما يشبه حالة احتكارية
لساحة العمل التنظيمي، ومع فشل التنظيمات الجهادية بشكل أساسي
رأت السلفية أن هناك مساحات دعوية وفكرية لم تستغل بعد، وأن هناك
مجالاً للدعوة الفكرية والانتشار التربوي عبر المساجد بما لا تستفز معه
الدولة وأجهزتها الأمنية. وإن لم يفصل الشوبكي بين إشكالية التنظيم لدى
السلفيين والسياقات السياسية الحالية والأمنية.

قراءة في فكر الدعوة السلفية

أثناء إعدادي لهذا الكتاب ، تصفحت عشرات المقالات والبحوث على الشبكة العالمية (الإنترنت) ، ومن ضمن هذه البحوث والمقالات ، مقالاً للدكتور ياسر برهامي بعنوان : "السلفية ومناهج التغيير " نشر بمجلة صوت الدعوة .

وهذا المقال - في رأي - يبلور فكر المدرسة السلفية التي يمثلها برهامي ، ولأهمية المقال وما تضمنه من معاني وملامح فكر الدعوة السلفية ، رأيت أن أضعه بنصه ولفظه كاملاً غير مبتور ، حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة ايدلوجية هذه المدرسة التي يمثلها برهامي وأقرانه ، فيلى المقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

فرض الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية أن تعلي كلمته في الأرض وأن تسعى أن يكون الدين الظاهر على الأرض هو دين الله سبحانه وتعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة: ٣٣] ، وأوجب على كل مسلم أن يكون مؤثراً فيمن حوله والمجتمع الذي يعيش فيه بالخير، ناهياً عن الشر، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

ولا شك أن حياة المسلم بإسلامه لا تكون على الوجه الأكمل إلا في مجتمع مسلم، والحياة بالإسلام في مجتمع لا يلتزم بالإسلام في أنظمتها ومناهجها قبضٌ على الجمر - وما أقل من يقدر على أن يكون قابضاً على الجمر - فإن نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم نجد الانحراف عن دين الله إلى مناهج الباطل والضلال ظاهراً منتشراً في الأفراد والمجتمعات، مما يستوجب على كل مسلم غيور على دينه يفهمه الفهم الصحيح الشامل أن لا يقف موقف المتفرج السليبي الذي يتحسر على وجود الفساد دون أن يحرك ساكناً لإزالته ولإقامة الخير والمعروف مكانه، وهذا الموقف السليبي من الكثيرين من الملتزمين يدل على نقص الإيمان ولا بد، لأن الجميع يخالط المجتمع ويعيش فيه هو وأهله وأبنائه، ويتأثر وهو يرى منكراته المختلفة في التعليم والإعلام والقضاء والتشريع والحكم والحرب والسلام والاقتصاد ووضع المرأة وسائر أنظمة المجتمع، فمن لم يستشعر وجوب تغيير تلك المنكرات ويشارك في تغييرها بكل ما يقدر عليه من أنواع القدرة بنفسه أو مع غيره من إخوانه المسلمين أو بأمره القادرين وحثهم على التعاون على ذلك، فهو كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" رواه مسلم.

ولا شك أنه يلزم أهل السنة والجماعة من هذا الواجب أكثر مما يلزم غيرهم لأنهم الطائفة الظاهرة على الحق التي تعلمه وتعمل به وتدعوا إليه، وهم المؤهلون لتحقيق التغيير المنشود وإقامة الحق على صورته الكاملة، بل لن تكون الخلافة على منهاج النبوة التي بشر بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم تكون عليه وسلم - بقلبه: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم تكون

خلافة على منهاج النبوة ثم تكون ملكاً عاضاً ثم تكون ملكاً جبرياً ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"، إلا من خلال عمل أهل السنة والجماعة ومنهجهم ودعوتهم، لذا فإن تقصير بعض من ينتسب لأهل السنة ومنهج السلف في هذا الباب يقدر في صدق انتمائه لهم.

وما أكثر ما تتردد الأسئلة وتتعدد المحاورات حول مناهج التغيير ووسائله بين الاتجاهات الإسلامية المعاصرة، والتي يتبنى كل منها جماعات مختلفة، كل منها تؤيد ما تراه بالحجج وبيان الإيجابيات، وربما جزم البعض أن لا وسيلة ولا منهج إلا ما يرونه هم، ونحن في هذا العدد نطرح بعض الاتجاهات الأساسية في التغيير دون بسط في الأدلة ونعرض سلبياتها وإيجابياتها لينتفع أبناء الصحوة الإسلامية بالإيجابيات ويحذروا من السلبيات وليكون ذلك خطوة على طريق التكامل والتناصح المطلوب بين أبناء الصحوة الإسلامية.

أولاً: من يرى التغيير من خلال الانتخابات البرلمانية

ترى كثير من الجماعات الإسلامية العاملة على الساحة أن المشاركة في العمل السياسي بتكوين الأحزاب في البلاد التي يسمح فيها بتكوين أحزاب إسلامية أو بمشاركة الأفراد التابعين لهذه الجماعات في الانتخابات البرلمانية، والبعض يجوز التحالف مع الأحزاب الأخرى ولو كانت علمانية ليحصل بذلك على أصوات في المجالس المسماة بالتشريعية ليدعو إلى تطبيق الشريعة من خلالها، وليستغل الفرصة المتاحة بالسماح للمشاركين في الانتخابات بالدعوة إلى أنفسهم للدعوة إلى الإسلام وإلى شرع الله سبحانه، وقبل أن نبين موقفنا من هذا الأمر نقرر أولاً عدة أمور:

١. التشريع حق خالص من حقوق الله - عز وجل - ، وهو من أهم خصائص الربوبية والألوهية، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله تعالى والدين ما شرعه سبحانه، قال تعالى: { إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } [يوسف: ٤٠]، وقال - عز وجل - : { وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا } [الكهف: ٢٦]، وقال سبحانه: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } [الشورى: ٢١].

٢. القوانين الوضعية مخالفة للشرعية الإسلامية وكل ما يخالف الشريعة فهو باطل، قال تعالى: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [الحاثية: ١٨].

٣. الحكم بغير ما أنزل الله سبب يوجب غضب الله، ويترل مقتته وعقابه، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إذا حكم ولاية الأمر بغير ما أنزل الله وقع بأسهم بينهم، وهذا من أعظم تغير الدول كما جرى قبل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله ونصره ويحتنب مسلك من خذله الله وأهانته فإن الله يقول: { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } [الحج: ٤٠]، [٤١]، منذ وعد الله بنصر من ينصره ، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله لا بنصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم) انتهى.

٤. النظام قسمان: إداري وشرعي: أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم، ويدخل في ذلك كتابة أسماء الجند

والدواوين على وجه لا يخالف الشرع ويحقق المصلحة العامة، أما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمة كفر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج ٣ ص ٢٦٧): (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه كان كافراً أو مرتداً باتفاق الفقهاء وفي مثل هذا أنزل قوله تعالى: { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [المائدة: ٤٤]، أي هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله)، وقال رحمه الله في موضع آخر: (هؤلاء اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله إذا علموا أنهم بدلوا دين الله فتابعوهم على التبديل واعتقدوا تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء) انتهى.

٥. فارق أساسي وكبير بين الحكم الإسلامي والحكم العلماني الديمقراطي: فتشريعات الحكم الإسلامي تبنى على الكتاب والسنة وهو يوجب الحكم بما أنزل الله ويرى العدول عن ذلك فسقاً وظلماً وكفراً، فلا يمكن الفصل بين الدين والدولة في نظر الإسلام، أما الحكم العلماني الديمقراطي فمصدر السلطة عنده هو الشعب، وتشريعاته تبنى على إرادته وهواه، فلا بد للسلطة من الحفاظ على رغبة الشعب ومرضاته ولا يمكن لها أن تعدل عن إرادة الشعب وهواه حتى لو أدى ذلك إلى تحليل الزنا

واللواط والخمر، فالمبادئ والتشريعات كلها عرضة للتغير والتبديل في الحكم العلماني والديمقراطي حسب ما تطلبه الأغلبية.

٦. الشورى في الإسلام تختلف عن الشورى في النظام الديمقراطي، يقول الجصاص: (والاستشارة تكون في أمور الدنيا وفي أمور الدين التي لا وحي فيها، ويستشار الصالحون القائمون على حدود الله المتقون لله من ذوي الخبرة والدراية)، وأين هذا من استشارة الملاحدة المحاربين لدين الله ممن يشرع مع الله في النظام الديمقراطي.

٧. لا يجوز شرعاً عرض الشريعة الإسلامية على الأفراد ليقولوا أطبق أم لا تطبق، قال تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء: ٦٥]، وقال سبحانه: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا } [الأحزاب: ٣٦]، وحكى الشافعي الإجماع من الصحابة فمن بعدهم على أنه من استبانت له سنة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس أيا كان.

٨. المجالس التشريعية التي تسن قوانين مخالفة للشرع يلزمون بها العباد، وترى أن للأغلبية أن تفرض رأيها حتى ولو كان مخالفاً للشرع مجالس كفرية وهؤلاء هم الشركاء الذين عناهم رب العزة بقوله: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } [الشورى: ٢١].

٩. الأحزاب التي تقوم على مبادئ العلمانية والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية وغيرها من المبادئ الوضعية التي تخالف أصل الإيمان والإسلام من فصل الدين عن الدولة وأنظمة المجتمع والمساواة بين الملل كلها،

واحترام الكفر والردة وقبولها، كتعدد الشرائع لا يفسد للود قضية كما يزعمون، كل هذا من العصبية الجاهلية والولاء للكافرين والمنافقين مما يستوجب على كل مسلم رده وهجره ومحاربته والتبرؤ منه كما قال تعالى: { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } [النساء: ١٤٠].

١٠. هناك فرق بين النوع والمعين، وبين الحكم والفتوى، فقد يكون الفعل كفر والقول كفر وفاعله وقائله ليس بكافر، وذلك بأن يكون الفاعل أو القائل جاهلاً أو متأولاً أو مكرهاً أو حديث عهد بالإسلام، وليس لنا أن نكفر الشخص المعين إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه على يد عالم أو ذي سلطان مطاع حتى تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير ويحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

١١. العبودية لله وحده، والبراءة من عبادة الطاغوت والتحاكم إليه من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

١٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة تتحقق تارة بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتارة بالقدوة الصالحة وتارة بتغيير المنكر باليد أو اللسان أو القلب تبعاً للاستطاعة وبما يحقق المصلحة ويستدفع المضرة والمفسدة، ومن المعلوم أن هذا الواجب يسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة وهذا من رحمة الله - عز وجل - بهذه الأمة إذ لم يكلفنا إلا ما في طاقتنا وقدرتنا، قال تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة: ٢٨٦]، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مكان وكل مجال وكل قطاعات المجتمع من واجبات المسلمين عموماً وأهل العلم خصوصاً.

وأما عن حكم دخول هذه المجالس والمشاركة فيها فإن الحكم يختلف باختلاف الداخل والمشارك، وكما يقولون الحكم على شيء فرع عن تصويره، ولكل صورة حكمها:

أولاً: حكم الداخل والمشارك بغرض تحقيق الديمقراطية بإباحة التشريع لغير الله طالما كان حكماً للأغلبية، فهذا شرك مناف للتوحيد إلا أن يكون صاحبه جاهلاً أو متأولاً ولم تبلغه الحجة فلا يكفر بعينه حتى تقام عليه الحجة الرسالية.

ثانياً: الداخل والمشارك بغرض تطبيق الشرع بشرط إعلان البراءة من الأصل الذي قامت عليه المجالس من التشريع لغير الله فهذا من المسائل الاجتهادية المعاصرة وهو مختلف فيه بين العلماء المعاصرين على قولين: القول الأول: أن المشاركة في ذلك بغرض تطبيق الشرع طاعة إذا كانت المصلحة في ذلك.

القول الثاني: أن المشاركة في ذلك لا تجوز، وهذه المشاركة من باب الذنوب والمعاصي وليست من باب الكفر والردة لأن المشارك حقق البراءة اعتقاداً ولم يطبقها عملاً.

موقف الدعوة: ترى الدعوة عدم المشاركة في هذه المجالس المسماة بالتشريعية سواء بالترشيح أو الانتخاب أو المساعدة لأي من الاتجاهات المشاركة فيها وذلك لغلبة الظن بحصول مفسد أكبر بناء على الممارسات السابقة وإن كنا نقر أن الخلاف بين أهل العلم في هذه المسألة خلاف

معتبر، ولو تفاوت بين الطاعة والمعصية، لأن كلا الفريقين يريد خدمة الإسلام ويقر بالبديهيّات والمسلّمات التي ذكرناها في أول كلامنا، وما نراه اليوم في الجزائر رأينا مثله بالأمس في تركيا وكيف أن الديمقراطية مثل صنم العجوة الذي كان يصنعه المشرك فإذا جاع أكله، فالحكام العلمانيون إذا أحسوا بأى خطورة على مواقعهم وأن الإسلاميين على مقربة من الحكم سيسارعون بحل المجالس النيابية والأحزاب ويكون الجيش مستعداً دائماً وفوراً لإجهاض هذه الديمقراطية التي اخترعوها، لهذا وغيره نرى أن الحل البرلماني على ضوء ما طرحناه ليس هو الطريق.^(١)

ثانياً: من يرى حتمية المواجهة العسكرية

يرى فريق آخر أن تغيير الوضع الحاضر للمسلمين لا يمكن أن يتم إلا من خلال المواجهة العسكرية المسلحة مع الحكومات المعاصرة ولا بد من بث روح الجهاد في المسلمين للخروج على الحكام المرتدين وإعداد العدة لهذا الأمر، ويرى أن هذا هو أولى أولويات العمل الإسلامي بل قد يذهب البعض إلى الحكم بأن كل ما سواه خيانة للدين، ونحن نحب أن نقرر هنا جملة أمور:

١. أن حب الجهاد فرض على كل مسلم، لا يفقد من قلبه إلا بنقص الإيمان أو زواله بالكلية نعوذ بالله من ذلك، وتذكير المسلمين به وبدورهم في إعلاء كلمة الله في الأرض كلها ومحاربة الشرك والكفر حتى يظهر

(١) والآن وبعد ثورة ٢٥ يناير، اختلف رأي برهامي - وبعض ممن معه - في جواز دخول

المجلس التشريعي، بل وجواز تكوين أحزاب سياسية مشاركة في الحياة السياسية !!

الإسلام من أهم الأمور التي يجب الاعتناء بها في إيقاظ الأمة فإنها ما ذلت إلا بمخالفة الشرع ومنه ترك الجهاد في سبيل الله.

٢. الجهاد ماض في هذه الأمة إلى يوم القيامة، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لا تزال عصاة من أمي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم إلى يوم القيامة" رواه مسلم.

٣. أن الإعداد للجهاد والأخذ بأسباب القدرة والقوة واجب على الأمة بحسب الاستطاعة، خاصة عند العجز عنه، مع لزوم تحديث النفس به والحزن على فواته قال تعالى: { وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ } [التوبة: ٩٢]، وينطبق على الإعداد ما ينطبق على الجهاد من شروط القدرة ومراعاة المصلحة.

٤. مراحل تشريع الجهاد: في السنة الثانية من الهجرة فرض الله القتال و أوجبه بقوله تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢١٦]، وقد مر الجهاد بعدة مراحل: الأولى: الكف والإعراض والصبر على الأذى مع الاستمرار في الدعوة.

الثانية: إباحة القتال من غير فرضية.

الثالثة: فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط.

الرابعة: قتال الكفار ابتداءً.

وقد استقر أمر الجهاد على المرحلة الأخيرة التي ذكرت في سورة التوبة وهي قتال المشركين حتى يسلموا وقاتل أهل الكتاب والمجوس حتى

يسلموا أو يدفعوا الجزية مع الذل والصغار -على الخلاف المشهور في جواز قبول الجزية من الكفار غير اليهود والنصارى والمجوس- وقد فهم البعض القول بالنسخ فهماً غير صحيح فأنكر المرحلية بالكلية، وهذا ما قرره أهل العلم يقول ابن تيمية: (فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفا والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركون وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)، والنسخ عند السلف يشمل التقييد والبيان والتخصيص ولا خلاف بين العلماء في العمل بمراحل الجهاد وإلا فالسلف لا يكلفون المستضعف من المسلمين الذي حاله مشاهمة بحال النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكة بالقتال وإنما الواجب عليه أن يجتهد لكي يصل إلى حال قوة يجاهد فيها الكفار، وكيف يكون الجهاد واجباً على الناس وهم غير قادرين ولا مستطيعين؟ فالواقع هو الذي يحدد أي الأحكام هو الأنسب في مراحل الجهاد وأن التطبيق بحسب الظروف الموجودة فلا بد من النظر بعين الاعتبار لحالة المسلمين وماهم عليه من ضعف أو قوة.

وقد تكلم العلماء في جواز مهادنة الكفار بمال عند ضعف المسلمين قال ابن قدامة: (لا يجوز المهادنة مطلقاً من غير تقدير مدة لأنه يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية وتجوز مهادنتهم على غير مال لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - هادنهم يوم الحديبية على غير مال لهم ويجوز ذلك على مال يأخذه منهم فإنها إذا جازت على غير مال فعلى مال أولى وأما إن صالحهم ببذله لهم فقد أطلق أحمد القول بالمنع منه وهو مذهب الشافعي

لأن فيه صغاراً للمسلمين وهذا محمول على غير حالة الضرورة فأما إذا دعت إليه ضرورة وهو أن يخاف على المسلمين الهلاك أو الأسر فيجوز لأنه يجوز للأسير فداء نفسه بالمال فكذا ههنا ولأن بذله المال وإن كان فيه صغار فإنه يجوز تحمله لدفع صغار أعظم منه وهو القتل والأسر وسي الذرية الذي يفضي سبيهم إلى كفرهم)، وهذا الكلام من الأئمة الأعلام رد بليغ على التهور والاندفاع المفضي إلى الشر والفساد.

وقد بين أهل العلم أن العجز كما يشمل العجز الحسي كالأعذار المنصوص عليها في القرآن من المرض والعمى والعرج والضعف وعدم النفقة فإنه يشمل كذلك مسألة الضرر والهلاك الذي يغلب على الظن حصوله لضعف المسلمين ونقص قوتهم عن نصف قوة عدوهم قال تعالى: {الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٦٦]، قال النووي رحمه الله (روضة الطالبين ١٠ - ٢٤٨): (إذا زاد عدد الكفار على مثلي المسلمين جاز الانهزام...) وقال: (وإذا جاز الفرار نظروا إن غلب على ظنهم أنهم إن ثبتوا ظفروا استحب الثبات وإن غلب على ظنهم الهلاك ففي وجوب الفرار وجهان وقال الإمام: إن كان في الثبات الهلاك المحض من غير نكاية وجب الفرار قطعاً وإن كان فيه نكاية فوجهان)، وهذا الذي قاله الإمام النووي هو الحق وأصح الوجهين أنه لا يجب أي الفرار ولكن يستحب، ومن هذا يتضح أن الجهاد بمفهومه الصحيح في واقعنا اليوم لن يقوم على أكتاف أفراد قلائل بلا قوة بل إن جهاد المئة والمئتين ضرره أكثر من نفعه.

هل الجهاد هو الخروج على الحكام فقط؟

الجهاد إذا أطلق فالمراد به قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقريضة تدل على المراد ، فهو كما يقول ابن القيم أربع مراتب: (جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين فجهاد النفس مقدم على جهاد العدو فإن من لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج فكيف يمكن جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله)، ويقول الشيخ ابن باز: (الجهاد جهادان جهاد طلب أى طلب الكفار في عقر دارهم - وجهاد دفاع والمقصود منهما جميعا هو تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه وإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعلاء دين الله في أرضه وأن يكون الدين لله وحده)، ومن هنا تكون الدعوة إلى الله جهاداً شرعياً قال تعالى: { فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } [الفرقان: ٥٢]، والآية مكية وعليها أن ننظر إذا أتى الحاكم ما يستوجب العزل هل عندنا الاستطاعة على عزله أم لا وهل المصلحة متحققة بهذا العزل أم أن هذا المنكر سيزول بمنكر أعظم، فقد نزيل كافر أو نستجلب الشر والبلاء على البلاد والعباد ويتسلط الكفار على رقاب الناس، ومن المعلوم أن شرع الله مصلحة كله ولذلك لم يقتل النبي - صلى الله عليه وسلم - ابن سلول - رأس المنافقين - وقال: "كيف إذا تحدث الناس أن محمداً قتل أصحابه".

الجهاد له سبيله وصراطه:

حاجتنا شديدة لسلوك صراط الله المستقيم حتى ننتقل من ضعف إلى قوة ومن ذل إلى نصر ولا بد في ذلك من اتباع السياسة الشرعية في حال الضعف والقوة وهذه السياسة يجب أن تكون ربانية وعلى منهج الأنبياء فالغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة بل الغاية والوسيلة كلاهما يجب أن تكون مشروعة وليس التمكين في الأرض بغاية مقصودة لذاتها بل هي من وسائل الدعوة لتحقيق العبودية لله في أكمل صورها، وهو في ذات الوقت منة من الله ليس بيد أحد سواه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، والواجب علينا أن نعيش طاعة الوقت سواء مكن لنا أو لم يمكن، ونحذر الابتداع والانحراف، وأول ما بدأ به الرسل في دعوتهم الدعوة إلى الإيمان والتوحيد يقول الشيخ الألباني رحمه الله: (الواجب هو العمل للأهم فالأهم والأهم هنا هو إصلاح عقائد المسلمين وتزكية النفوس والدعوة على أساس التصفية من البدع والتربية على التوحيد).

ولابد لنا أن نتعلم أحكام الجهاد فلا بد من نية وصحة أو إخلاص ومتابعة وكما أن للصلاة شروطاً يحرص المسلم على تحقيقها كالطهارة واستقبال القبلة وستر العورة ودخول الوقت فكذلك لا يصح الجهاد بغير تحقيق شروطه، والقتال إنما يكون بين معسكرين وجيشين وفريقين أحدهما مسلم والآخر كافر أو مستحقة للقتال، وأما عند الاختلاط فلا بد أن تضيع دماء المسلمين وتحدث المفسدة ولا تتحقق الغاية.

لهذه الأسباب وغيرها بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - جهاده بالدعوة وإعداد المؤمنين إعداداً روحياً وبدنياً لتحمل أعباء الجهاد بالسيف، ثم كانت الهجرة حيث بدأ جهاده بالسيف وتوالى عليه أحكام الجهاد، فينبغي علينا أن نتعلم سنن الجهاد حتى لا تتحول ديارنا إلى ساحة حرب بين المسلمين أنفسهم وحتى لا يكون حماسنا وطموحنا على حساب سنن الله في النصر والهزيمة، ولا يدفعنا التهور إلى الوقوع فيما وقع فيه غيرنا وقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن دخول مكة في السنة السادسة عام الحديبية حفاظاً على حرمة المسلمين الذين كانوا سيقتلون مع من يقتل وتأخر بذلك الفتح سنتين علماً بأن مكة يومئذ دار حرب والكعبة كانت مليئة بالأصنام ولو حدث قتال -يوم الحديبية- لانتصر المسلمون على المشركين وفي ذلك يقول الله تعالى: { وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } [الفتح: ٢٢]، واليوم نحتاج لدعوة تضيف لإمكانات العاملين لكي نجس بها دماء المسلمين وحتى لا نخرج من نكبة إلى نكبة ومن فتنة عمياء إلى أخرى أشد عمى ونكون كمن يلدغ من نفس الجحر ألف مرة فالمنكر يخلفه من المنكرات والآثام والمصائب ما يتضاءل أمامه المنكر المزال وبذلك نخرج من بلاء أقل إلى بلاء أعظم وينفر الناس عن الدين الذي يرونه وسيلة للفتنة والقتل.

ثالثاً: من يرى التركيز على العمل الفردي في الدعوة والتربية

يتبنى هذا المنهج بعض الدعاة الذين يرون أن الدور الأساسي للدعاة والعلماء هو إصلاح أفراد الأمة -مع الاختلاف حول أولويات الإصلاح- فالبعض يراه في إصلاح العقيدة ونشر العلم والبعض يراه في التربية على العبادة والذكر وفضائل الأعمال ويرون أن انتشار الأفراد الصالحين في مجتمع كفيل بإصلاحه تلقائياً ومن بين أصحاب هذا المنهج من لا يرون مشروعية العمل الجماعي أو على الأقل يحصرونه في صور محدودة لا يتعداها ويرون أن مضار الجماعات الإسلامية -خاصة الحزبية والتعصب وكونها مستهدفة من الحكومات العلمانية- أكثر من منافعها، ولقد حقق هذا المنهج بعض الإيجابيات منها: إيجاد أفراد ملتزمين ونشر العلم ومبادئ الإسلام وأحكامه بين قطاعات من الأمة، وأيضاً التركيز على عدد محدود من الأفراد يمكن إعدادهم إعداداً جيداً من خلال المعاشرة الطويلة والمتابعة المستمرة، وكان للابتعاد عن الأحداث السياسية المعاصرة حتى بمجرد التعليق أثره الواضح في توفير قدر كبير من الحماية ضد ضربات الأعداء، ويؤخذ على هذا الاتجاه قصور النظر إلى نوع واحد من الواجبات الشرعية وإهمال واجبات أخرى نص عليها الكتاب والسنة وأجمع أهل العلم على فرضيتها ووجوب السعي إلى إقامتها مع كون الكثير من هذه الواجبات يمكن القيام به أو بشيء منه على الأقل إذا اجتمعت الجهود وتضافرت إذ أن فروض الكفاية من التعلم والتعليم والحسبة وسد حاجات الفقراء والمساكين والأرامل وغيرهم وفصل الخصومات وفق شرع الله وإيصال الحقوق إلى أصحابها والسعي إلى إقامة الخلافة والجهاد وغير ذلك من فروض الكفاية المضیعة -التي استفاضت أدلة كل منها كتاباً وسنة- لا

يمكن أن يقام إلا على جهة الاجتماع والتعاون الملزم وليس المطلوب إقامته في جزء صغير من الأمة بل الواجب شرعاً إقامة كل ذلك في كل مكان وزمان تمكن إقامته فيه وفي كل القطاعات من المجتمع وعلى أوسع نطاق ممكن في المسجد والمدرسة والجامعة والمصنع وأصحاب المهن وغير ذلك.

كما يؤخذ على كثير من أصحاب هذا الاتجاه ترك الإنكار على المنكرات التي تتبناها الحكومات وتنشرها بين الناس كقضية الحكم بغير ما أنزل الله ومسائل الولاء والبراء ونشر الغزو الفكري والتعبية للمبادئ الوضعية للغرب، ولا يصح التعلل بتوفير الحماية للدعوة فإن الدعوة تفقد هويتها إذا رأت الناس يقعون في الضلال بل في الشرك وهي لا تحرك ساكناً وكأن الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد.

كما يؤخذ على أصحاب هذا المنهج المبالغة في تضخيم سيئات الجماعات الإسلامية والإجحاف بمنافعها ومحاسنها، فجعلت علاج المريض قتله أو إيقاف قلبه، إذ أن جماعات الصحوة الإسلامية هي قلب الأمة النابض بالحياة بعد أن فقد الجسد كله مظاهر الحياة، وكم كانت هذه الجماعات الإسلامية سبباً لهداية الشباب والشيوخ والنساء والأطفال وعودتهم إلى دينهم.

الدعوة السلفية والتغيير

وقبل أن نطرح تصورنا في التغيير نقرر أن واقعنا لا يزال أصغر بكثير من منهجنا، وأن حالنا أبعد عما نعلم أن يلزمنا أن نكون عليه، ولكن الواجب النصيحة، والأمل في أن يكون الجميع على الطريق المستقيم - ولو كان سيره بطيئاً لا خارجاً عنه - هو الذي يدفعنا إلى هذا الطرح، فمنهج الدعوة السلفية يمكن تلخيصه في الآتي:

أولاً: الدعوة إلى الإيمان بمعانيه وأركانه كلها من معرفة الله بأسمائه وصفاته والتعبد له بها وتوحيد الربوبية والألوهية والكفر بالطاغوت ومحاربة الشرك في كل صوره القديمة والحديثة من شرك القبور والخرافات وشرك الحكم والولاء وغير ذلك، وكذا الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر، وما يتبع ذلك من قضايا الاعتقاد في الصحابة ومسائل الإيمان والكفر، وتحقيق الاتباع للسنة ومحاربة البدعة، وتقرير مناهج الاستدلال وتحقيق التزكية عبادة وخلقاً ومعاملة والسير في طريق الدعوة وإقامة الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض، كل هذا على وفق منهج أهل السنة والجماعة إجمالاً وتفصيلاً.

نقرر أن الدعوة إلى الإيمان بهذا المفهوم الشامل هي أصل دعوة الرسل وهي الطريق الذي سار عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته، فهذا المنهج هو أولى الأولويات في العمل، والذي لا يتحقق أي واجب بعده بدون هذا الواجب الأول، وهذا المنهج تجب الدعوة إليه بكل الطرق وتربية الناس عليه بالوسائل العامة كالخطبة والدرس الجامع والكتاب والنشرات العامة وقوافل الدعوة وغير ذلك من الوسائل الخاصة كالدرس الخاص والمعاهد العلمية والمجموعات التربوية وغيرها.

ثانياً: إيجاد الطائفة المؤمنة:

إن إيجاد الطائفة المؤمنة الملتزمة بالإسلام - عملاً من أجله - المجتمعة على إقامة فروض الكفاية المضیعة وبكل ما أوتيت من قدرة والساعية في نفس الوقت لتحصيل أسباب القدرة فيما تعجز عنه في الحال - تحديثاً للنفس به وحباً للخير وحرصاً عليه ونصيحة للمسلمين واهتماماً بشأنهم - نرى أن إيجاد هذه الطائفة المؤمنة على منهج أهل السنة والجماعة والتي يجتمع عليها باقي أهل السنة هو من أهم الواجبات والأولويات، وهذه الطائفة تسعى إلى أن يكون أفرادها في خاصة أنفسهم يؤدون الواجبات العينية عليهم في العقيدة والعبادة والسلوك والمعاملة والخلق، ويتركون المحرمات، كما أنهم ملتزمون بالتعاون المنضبط على إقامة الفروض التي خوطبت بها الأمة ككل كالتعلم والتعليم قال تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [التوبة: ١٢٢]، وللعلم مترلة خاصة وأهمية كبرى في دعوتنا إذ عليه تقوم وبدونه تفقد هويتها وانتمائها للسلف ولا بد أن يكون هذا الأمر على كل المستويات، للصغار والكبار للرجال والنساء وفي سائر قطاعات المجتمع، وكالحسبة والدعوة، قال تعالى: { وَلِتُكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [آل عمران: ١٠٤]، ولا بد في هذا الباب من مراعاة المصالح والمفاسد وفق ما تأمر به الشريعة وعلى ميزانها، وكالواجبات الاجتماعية من سد حاجات الفقراء والمساكين ورعاية اليتامى وحث الأغنياء على الزكاة والصدقة ومعاونتهم في إخراجها على ما جاء في الكتاب والسنة، وعيادة المرضى ودعوتهم إلى الله، وإحياء

الروابط الأخوية بين المسلمين من اتباع الجنائز والتعزية في المصائب وإجابة الدعوات والتهنئة في الأفراح وغير ذلك، وكالسعي إلى إيجاد نظام المال الإسلامي لإبعاد الناس عن الربا والريبة وسائر المعاملات المحرمة، وكذا تربية الأمة على روح الجماعة برد الناس إلى أهل العلم منهم وجمعهم عليهم ونهيهم عن التفرقة، وكذا إقامة الجهاد في سبيل الله طالما وجدت مقوماته وشروطه والسعي إلى أسبابه عند العجز عنه، فما تعلمه المسلمون في أفغانستان مثلاً هو من أعظم الواجبات والقربات، وكذلك تعليم الناس لزوم التحاكم إلى الشرع برد موارد النزاع إلى أهل العلم الذين يجب وجودهم والسعي إلى إيجادهم في كل مكان لفض الخصومات وفق الكتاب والسنة بعيداً عن القوانين الوضعية الطاغوتية، وهذه وغيرها من فروض الكفاية كإقامة الجمع والجماعات والأعياد يمكن للمسلمين إذا اجتمعوا وتعاونوا على إقامتها كما أمرهم ربهم فقال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢] أن يقوموا بأضعاف ما يقومون به الآن من غير مفسدة ولا مضرة بإذن الله، وما قاوموا به من الحق كان سبباً لتمكين الله لهم مما عجزوا عنه فإن الطاعة سبب للطاعات.

ثالثاً: كيفية التمكين:

وأما نهاية المطاف وكيف تقام دولة الإسلام بعد ذلك فنحن لا نوجب على الله أمراً معيناً نعتقد حتميته ولزومه وأنه لا سبيل سواه، بل قد قص الله علينا من قصص أنبيائه ورسله من آمن قومه كلهم بدعوته بالحكمة والبيان، قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِثَّةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُونَ، فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات: ١٤٧، ١٤٨]، ومنهم من نصره الله بإهلاك أعدائه بقارعة من عنده أو بأيدي الرسل وأتباعهم، وقد جعل

سبحانه وتعالى في سيرة نبينا - صلى الله عليه وسلم - هذه الأمور أيضاً،
ففتح الله عليه المدينة بالقرآن، وكذا فتح عليه البحرين واليمن وكثيراً من
جزيرة العرب، كما فتح عليه مكة باللسان، وفتح على أصحابه العراق
وما وراءه والشام ومصر وغيرها باللسان كذلك، وله الحمد سبحانه على
كل حال، فالتمكين منة من الله ووعد غايته تحقيق العبودية لله - للفرد
وللأمة - والأخذ بالأسباب المقدورة لنا واجب علينا والنصر من عند الله
لا بالأسباب، قال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
{ [النور: ٥٥]، وقال سبحانه: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ
أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ { [الأنبياء: ١٠٥]، وقال سبحانه: {
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ { [التوبة: ٣٣].

السلفيون بعد الثورة

هيأت الثورة المصرية الطريقَ أمام كثير من التيارات الإسلامية للانخراط في العمل السياسي، بعد أن كان هذا الطريق مقتصرًا على بعض التيارات الإسلامية المعروفة تاريخيًا بتوجُّهها السياسي، والتي تقوم في أساسها على فكرة التغيير من خلال الانخراط في العملية السياسية، رغم ما جرَّ هذا التوجُّه عليها كثيرًا من التضيق والخنق؛ فقد كان الإطار العامُ لكثير من سياسات الدول العربية والإسلامية غالبًا ما يحُول بين التيارات الإسلامية والتعاطي السياسي، وعانت بعضُ التيارات بسبب تعاطيها للسياسة - بل لمجرد خطابها السياسي - كثيرًا من التضيق والخنق، والحظر والمنع، والعداء الإعلامي من أنظمة كثيرة في عالمنا العربي والإسلامي.

ومع هذا التحوُّل الذي أحدثته الثورة المصرية، أصبحت الساحة السياسية مفتوحةً على مصراعيها أمام تيارات المجتمع كافة؛ إسلامية كانت، أو غير إسلامية - والتصنيف هنا تصنيفٌ فكري، وليس تصنيفاً دينياً - ووجد التيار السلفي نفسه أمام حالة جديدة لم يعهدها من قبل. والتيار السلفي من التيارات الإسلامية الفاعلة والتي كسبت أرضاً واسعة، واستقطبت جمهوراً عريضاً في الفترة الماضية؛ لأسباب قد تكون سياسية أو فكرية، أو بفعل تحولات مجتمعية - ليس هذا محلَّ بحثها - لكنه بالفعل تيار موجودٌ وبقوَّة في المجتمعات العربية والإسلامية عامة، وفي المجتمع المصري بصفة خاصة.

وقد حظي التيار السلفي بأرضية واسعة لخطابه المحافظ، القائم على تصحيح الاعتقاد، وإحسان العبادة، وتبني الآراء الفقهية التي تبني الأخذ بالأدلة دائماً، مع الالتزام بالهدي الظاهر، والاهتمام بالعلم الشرعي بروح ثرائية مُجرّدة، فبدا خطابه في إطاره العامّ أمام بعض فئات المجتمع خطاباً ماضوياً، أو على الأقل نخبوياً، منعزلاً في بعض أطروحاته عن الواقع، ولم يُعطِ الخطاب السلفي مجالاً واسعاً للانخراط المجتمعي أو السياسي، بل بدت هذه الأمور هامشية في خطابه.

ولم يكن التعاطي السياسي مطروحاً في العقل السلفي، حيث كان يرى أن الأولوية للدعوة القويّة، والتربية القلبية والعلمية، والاهتمام بتهديب النفس وإصلاحها، بعيداً عن أحداث المجتمع ومستجدّاته، وتُترك السياسة لأهلها، ويبقى عليه دور النصّح ما لم يأت بصدام مباشر، فإن أدّى النصّح إلى صدام فتقدّم المصلحة؛ عملاً بقاعدة: درء المفسدة مقدّم على جلب المنفعة، ويكفي استغلال المساحة المتاحة من العمل الدّعوي.

كان هذا هو التوجّه العامّ للتيار السلفي، ومع تحولات الحياة السياسيّة في مصر، بدأت فكرة التعاطي السياسيّ تداعب العقل السلفي، وتشغله، فوجدنا رموزاً سلفيّة تُبدي رأيها في كثير من القضايا السياسيّة المطروحة على الساحة، وبدأت دعوات سلفيّة للمشاركة في العملية السياسيّة، بل تناقلت وسائل الإعلام نوايا صريحة وواضحة من خلال رموز سلفيّة للانخراط السياسيّ للتيارات السلفيّة. كما طرحت بعض الأسماء السلفية للترشح في المجالس النيابية أو حتى رئاسة الدولة، وصار التيار السلفي – أو على الأقل بعض فئاته – طرفاً في كثير من الأحداث التي شهدتها المجتمع المصري في الفترة الأخيرة.

ومع هذا التحوُّل السلفيِّ، فإن هناك كثيراً من الإشكاليَّات التي قد تواجه التيار السلفي في العملية السياسيَّة، وتُطرح هنا عدة تساؤلات، تعبّر عن هذه الإشكاليَّات:

- ما البرنامج السياسيُّ الذي يمكن أن يَحْمِلَه التيار السلفي؟ وربما يكون موقف العقل السلفيِّ رافضاً لكثير من الأدوات والأوعية السياسيَّة المعاصرة.

- وهل سيكون دور التيار السلفيِّ دوراً مُساعدًا، أم دوراً أصيلاً له خصوصيَّته؟ بمعنى هل يكتفي التيار السلفيُّ بدفع ومُناصرة بعض التيارات الإسلاميَّة الموجودة، والمعروفة تاريخياً بدورها وتعاطيهما السَّياسي، وهناك حالة من الخِلاف الفكريِّ المعروف بينه وبين هذه التيارات؟ أم هل سيدخل التيار السلفيُّ ويلعب دوراً أصيلاً ومنافساً للتيارات السياسيَّة المختلفة؟

- وهل سينخرط السلفيون في الحياة السياسيَّة برُمَّتِها؟ أم سيكتفون بالعمل المجتمعيِّ القائم على نشر الثقافة السياسيَّة في الإسلام دون المشاركة الفعليَّة، أم سيظلُّ الدور السلفيُّ - كما كان سابقاً - دوراً مقتصرًا على الدعوة القوليَّة، والتوجيه الدَّعوي للمجتمع بكافة أطرافه، ومنها العاملون في السَّياسة، دون الانخراط في العملية السياسيَّة؟

• وإذا انخرط السلفيون في السياسة، فهل سيكون في الإطار الحزبي القائم على المنافسة السياسية أمام تيارات أخرى تحمل خلفيات فكرية، ربما تكون متناقضة - في كثير من أحوالها - مع الفكرة الإسلامية عموماً، إن لم تكن منافسة لها، عاملة على إقصائها، أو على الأقل إضعافها؟

• وكيف سيكون موقفها وتعاملها مع التيارات المناهضة للفكرة الإسلامية، سواء العلمانية، أو الليبرالية، أو اليسارية، أو غيرها؟

• وما موقف السلفيين مثلاً إذا انتخبت الجماهير حزباً مناهضاً للفكرة الإسلامية؟ فهل سيقروا بهذا الحزب، ويعطون له ولاءهم، أم سيخرجون عليه؟!

تساؤلات عديدة تحتاج إلى إجابات، وقبل الإجابة تحتاج إلى تفكير واع؛ حتى لا يجد التيار السلفي نفسه مندفعاً في الساحة السياسية دون أن يكون له هدفٌ محدد، وبرنامج عمل يستطيع من خلاله أن يُقنع الجماهير الغفيرة المتعاطفة معه، والتي ربما تأثرت به لخطابه المحافظ - بالتعبير العصري للكلمة - فربما إذا أخذ هذا الخطاب شكلاً آخر ربما تخف درجة هذا التأثير، وأيضاً فإن عليه إقناع التيارات المجتمعية والسياسية المختلفة سواء الموازية له، أو المناوئة والمتخوفة أساساً من وجود أي تيار إسلامي في الساحة السياسية، أو حتى المجتمعية، بحيث لا يكون عبئاً على العمل السياسي الإسلامي.

والأهم من هذا وذاك: هل ستكون عنده القدرة على الحفاظ على خطابه المحافظ، والذي يبدو في بعض الأحيان متشددًا في بعض القضايا التي رُبما تحتاج إلى قدرٍ من المرونة النابعة من رؤىٍ شرعيةٍ معتبرة؟ وهل ستكون عنده القدرة على رسم ملامح للعمل السياسي النابع من السياسة الشرعية، والمراعي لمتغيرات المجتمعات المعاصرة، بحيث يكون نموذجًا يُحتذى في العمل السياسي بصفة عامة؟

ومن هنا يحتاج التيار السلفي إلى تأنٍّ وترثٍ وبلورة لأفكاره قبل التفكير في الانخراط السياسي، دون أن تكون عنده الدربة السياسية الكاملة والتجربة التطبيقية، كما أنه يحتاج إلى رؤية نظيرية واضحة يهيئ بها المجتمع لاستقباله سياسيا حيث فرضت عليه الظروف السياسية السابقة خطابًا وعملاً كان فيها بعيداً تماماً عن التعاطي السياسي، ومن هنا فإنه إما أن يدخل الساحة السياسية مُجازِفاً بفكره وخطابه، ومتخففاً في كثير من الأحكام التي كان يتبناها، فيأتي على حساب خطابه الفكري والدعوي، فيخسر خطابه الدعوي الذي استقطب جمهوراً عريضاً، وإما أن يظل على كثيرٍ من أطروحاته الفكرية التي ربما تصطدم بثوابت سياسية ومجتمعية معاصرة، فيخسر نفسه سياسياً، وإما أن تكون عنده حالة من التوازن بين قناعاته الفكرية وبين متغيرات السياسة، وهذا ما نرجوه ونأمله.

المحتويات

- مقدمة هامة في الفرقة والافتراق
- مفهوم السلفية
- تاريخ السلفية ونشأتها
- عبد الرحمن بن عبد الله آل الشيخ
- عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ
- عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ
- إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ
- السلفية في العصر الحديث
- محمد رشيد رضا
- علي محفوظ
- عبد الظاهر أبو السمح
- محمد أحمد عبد السلام الشقيري
- أحمد محمد شاكر
- محمد حامد الفقي
- أبو الوفا محمد درويش
- محب الدين الخطيب

- عبد الرحمن الوكيل
- محمد عبد الرزاق حمزة
- محمد خليل هراس
- أبو السمح عبد المهيمن محمد نور الدين
- محمد رشاد سالم
- محمد جميل غازي
- رشاد الشافعي
- محمد علي عبد الرحيم
- عبد الرزاق عفيفي
- محمد صفوت الشوادفي
- محمد صفوت نور الدين
- الحركة الإسلامية في العصر الحديث
- الدعوة السلفية في مصر
- سلفيات.. لا سلفية واحدة
- سلفية الشيخ أسامة عبد العظيم
- سلفية الشيخ أسامة القوصي
- سلفية الشيخ أبي إسحاق الحويني
- هل السلفية تنظيم؟
- قراءة في فكر الدعوة السلفية
- السلفيون بعد الثورة